



إحياء علوم الدين الإمام الفسزالي

دع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور بدوي طنبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

المجلد الأول

دار الإحياء الكتب العربية

ميسى البابي الحلبي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الغزالي وإحياء علوم الدين

تمهيد في التصوف الإسلامي :

- ٩ -

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، وبعث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليعيد لعقيدة التوحيد صفاءها ونقاها ، ويطهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليعدل زيف البشرية في عقائدها وعباداتها ومعاملاتها ؛ وليرسي القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتمم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً للمجتمع قوى سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وسعرياته ، وتحدد فيه أعباؤه وتكاليفه في المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنساني .

فقد جعلته تلك التعاليم يعتقد أن عليه رقيقاً حسيباً : « مَا يَلْقَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو الذي : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » . وبذلك يعلم أنه لو خُلِّيَ بينه وبين المعصية لما اقتربها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب في السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه في جنح الظلام ، كما يرى الذين يخشام في راحة النهار وأنها : « إِنْ تَكُ مِنْقَالًا حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ للدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان في قوله تعالى : « وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول : « أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

ومقتضى العمل للدنيا أن يكون الإنسان فرداً فعالاً يؤثر فيما حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحق مناص من خوض معترك الحياة ، يضطرب فيما يضطرب فيه الناس ، ساعياً في رزق ، أو طالباً لمجد وكرامة ، وتلك سنة الحياة وطبيعة الأحياء ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبتل والانقطاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن في النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ما يؤيد فكرة العمل وما يحث عليها ويطلب بها في إصرار وتوكيد ، حتى لتصبح فكرة التبتل والانقطاع وسيلة لسكبح جماح النفس ، والمبالغة في طلب الحياة والحرص عليها ، واستسلام النفس للنزوات وحب الشهوات .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومتهمى القول فيه أنه إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وآثاره صلى الله عليه وسلم في العمل والكسب كثيرة ، منها قوله : « من سعى على عياله من حله فهو كالجاهل في سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حالاً في عفاف كان في درجة الشهداء » . وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي صنع شيئاً ترخص فيه ، ونزله عنه قوم ، فبلغه ذلك . فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتزهدون عن الشيء أصنعته ؟ فوالله إنى أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان للدنيا ، وإن كان للأفرد يتعمى به خيره أو خيره غيره ، عمل الآخرة إذا ما اتبع فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس من نفسه ، وابتغى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، ورأى أصول العقائد والعبادات التي تكون بين العبد وربّه ، لاتتجاوز تلك الدائرة إلا قليلاً .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذي يمتت الغلو أشد المقت . فالإسراف في النفقة رديلة ، والمسرّف من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكنزه يوجب العقاب : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَنُكُورٌ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » . ولما كان الذي يضيع ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولوفى الخير كبناء المساجد ؛ منفيه ينبغى الحجر عليه ومنعه من التصرف في ماله .

والذي يعتت نفسه في ضروب العبادات ويبالغ فيها مسرفاً ، كالمثب الذي لا يقطع أرضاً ، ولا يبقى ظهراً . ومثله سواء بسواء المقبل على الدنيا ، العاكف على لذتها ، المتهالك على عرضها الزائل ، الذي شغل بها عما عند الله ، وغفل عن حقّ ربّه ، وحقّ دينه ، وحقّ غيره فيما عنده .

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاةً وزكاةً وصوماً وحجاً ؛ وكتب عليه جهاداً لا يقوى عليه إلا بحسن التدبير الذي يستلزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المسال والرجال ، من غير طغيان حق على حق ، أو إثارة العاجلة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة في الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى ملك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فتناً لا يتخرج فيه عن الوسيلة في التماس الغلبة ، وطغت المادية على رجال الحكم ، وقلدهم في ذلك رعاياهم ، فأقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخداع واللبو ، واتخذوا الجوارى والقيان ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطنعوا الملاذ التي كان يترفع عنها المسلمون في الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهقروا بها ، وتأولوا في استباحتها آي القرآن وسنة النبي .

وقد كان خلفاء بني أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك في يديهم يتوارثه أبناؤهم وخلفاؤهم ، فهم يتبعون سياسة القمع ويعملون السيف والعسف مع الخارجين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شعبة لحلي وأهل بيته ؛ وهم يتولونهم بالحنانة الغلاظ من الولاة والعمال ؛ على حين يصانعون أشراف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين الناقين على سياسة بني أمية تتطلع إليهم ، فتري الخلفاء يلبنون لهم في القول ويتجاوزون هن مسيئتهم ، ويشجعون حياة اللهو والترف فيهم بما يقدقون عليهم من المعطاء ، ليشغلهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب الدولة .

أما ذوو الجاه الذين مد لهم السلطان في الأسباب فظلوا سادرين في لهوهم وترفهم . على حين ينس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرمان من البر والفرار من الفتنة التي حسدت في صفوف المسلمين ، مدعاة لعكوفهم على العبادة والزهادة ؛ فانطوا على أنفسهم ، يتذاكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص الوعد والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

عاد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منها نصوص الترغيب فيما عند الله وابتغاء ثواب الآجلة ليجعلوه منهجهم في الدار الفانية ؛ ورأوا الزهد والانصراف إلى العبادة مرقاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوته الله ، وهم يوقنون أن أسرار المالكوت محجوبة عن القلوب التي دنسها حب الدنيا التي استغرق أكثرهم طلب العاجلة ؛ بما فيها من رغد وزينة وجاه وسلطان : « زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيكفي فيه الإيمان المطلق ، فإن للعارف المطيع معاداً مسعداً ، وللجاحد العاصي معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك ، لكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير ^(١) .

وذلك الأصل هو الذي أفنى فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذي أنفقوا في التعرف عليه جل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذي ساقهم إلى التدبر في فهم آثار الصنعة ، حتى يتسنى لهم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية في ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفي ذلك تلك الغاية السعادة الحقة ، وكل ما يصطنعه العبد من عمل ومجاهدة إنما هو للوصول إلى تلك الغاية ، غاية المعرفة .

ولا تكون تلك الغاية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عمى عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يحمل بالحر المريد أن يتدلل للعبيد ، كيف وهو يجد عند الله كل ما يريد ^(٢) ، وإذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالسكينة فأول ما يفيد الاستغناء به عن الناس .

(١) الفزالي : جواهر القرآن ١٢ (طبعة الرحمانية - القاهرة ١٣٥٢ هـ)

(٢) راجع فوات الوفيات لابن شاكر ٣/١ (مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

والطريق إلى الله يستلزم أمرين : الملازمة والخالفة . والملازمة ملازمة ذكر الله تعالى ، والخالفة لما يشغل عن الله ، وهذا هو السفر إلى الله . وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه ، فإنهما معاً . أو ما سمعت قوله تعالى ، وهو أصدق القائلين : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » ١٩ .

بل مثل الطالب والمطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة ، ولكن ليست تتجلى في المرآة لهدأ في وجه المرآة ، فتنى صفتها تجلت فيها الصورة ، لا بارتحال الصورة إلى المرآة ، ولا بحركة المرآة إلى الصورة ، ولكن بزوال الحجاب ، فإن الله تعالى متجل بذاته لا يختفى ، إذ يستحيل اختفاء النور ، بل بالنور يظهر كل خفاء ، والله نور السموات والأرض .

وإنما خفاء النور من الخدقة لأحد أمرين : إما لكدورة في الخدقة ، وإما لضعف فيها ، إذ لا تطابق احتمال النور العظيم الباهر ، كما لا يطابق نور الشمس أبصار الخفافيش . . . والنور يتجلى في بعض المرايا أصبح وأظهر وأقوم وأوضح ؛ وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرآة وصقالتها وصحة استدارتها ، واستقامة بسط وجهها ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ^(١) » .

ومن هذا الدليل المادى كان الاتجاه العملى إلى جلاء النفس وصقلها ، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام مخالفتها بالانصراف عن الدنيا ، والعكوف على العبادة ، وترويضها بطول الخلوة والسياسة والصوم وقلة الطعام في الفطر وكثرة الذكر ، وغير ذلك من وسائل حل النفس على غير ما تشتهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام ، ومجاربة النفس كانت الأصل عند أئمة الزهادين في الدنيا وزينتها .

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اقتضت أودية التفكير الإسلامى ، ونهبت المسلمين إلى ألوان من المعرفة لم يكن لهم من أكرها حظ ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مزاولتها ، والأمة الإسلامية تتطلع إلى احتلال منزلتها ؛ وبناء مدينتها على تلك الأسس الوطيدة التى أرسى دعائمها الإسلام ، وهو دين البشرية الذى بعث صاحبه إلى الأسود والأحر : « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم النبيين .

ولذلك كان على حماة هذا الدين والقوامين عليه أن بطؤوا بكل جهات المعرفة ، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأم من ضروب المعرفة وألوان التفكير ، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل ، ولذلك لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً ، ولم يعودوا يكتفون بالإيمان المجرد . بل أحشوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا فى نصوص الدين ما يبحث على ذلك النظر وما يشجع على إعمال العقل والتفكير .

وكانت هنالك أم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى النكون وخالقه ، والحياة وما وراءها ، والإنسان فى

حياته وموته وبعثه . وكان لتلك الأم تراث خلفه علماءها، وورثته حكماؤها الإنسانية لتفتخر فيه ، وتنفص منه أو تزيد عليه ، ما وسعها الزيادة وما وسعها التهذيب والتصحيح .

وجد المسلمون في جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربي ، حتى إذا اجتمع لهم منه شيء كثير ، أخذوا في تفهمه ومدارسه ، وجدوا في تطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وعقيدة وعبادة ومعاملة وسلوك .

وقد بلغ هذا التيار مداه في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي هذين القرنين كانت أودية العلم تخرج بتلك التيارات الفكرية الطارئة التي حذقها كثير من المسلمين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وطمح الجدل بين العلماء طغياناً كاد يُنسى كثيرا منهم الأصل الذي ورثوه عن إسلامهم وعروبهم .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يجري على ألسنة العلماء والمتكلمين من المسلمين ويشغل بالهم ، ويدعوهم إلى البحث في دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التي جدت على بيتهم ووجد فيهم من يتعصب لتلك الثقافات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصيلة ، إلى جانب الذين وصلوا هذه بتلك ، وكوّنوا من هذا المزاج زاداً جديداً للعقل العربي الإسلامي .

وعاد الأسر إلى أولئك الزهاد الذين صدقوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تعد السلبيّة التي كانوا يؤثرونها تقبل منهم في هذا المجتمع المضطرب ، فقد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجاً نظرياً ، أم منهجاً عملياً . ولذلك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى فلسفة فكرتهم في الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التي أقام عليها غيرهم سلوكهم في الحياة .

الإمام الغزالي

وقد أنجب القرن الخامس الهجري عالماً من أعلام الفكر الإسلامي ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي ، ويحمل بناءً أن نشير إلى شيء من تاريخ هذا الإمام ، لنقف من هذا التاريخ على العوامل التي تظاهرت على تكوين هذه العقلية الفريدة ، وألوان الثقافة التي احتشدت في ذهنه ، وجعلته أهلاً لأن يحتل تلك المنزلة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوفهم وأنبياء مفكرهم .

وفي مدينة طوس^(١) وفي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠ هـ) ولد أبو حامد من أب عفّ القلب واليد ، يغزل الصوف ويبيعه ، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم . والفقهاء في دروسهم ، والوعاظ في مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطالع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة ، ويلاطفهم بما يعضل من قوته وحاجته . وكان

(١) طوس : مدينة بحراسان . بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، فتحبها المسلمون في أيام عثمان بن عفان ، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .

قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل العلم والفقهاء مالا يحصى ، وحسبك بأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأبي الفتح أخيه .. (معجم البلدان ٦/٧١) .

تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيمًا ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولداً من صباه يجلس مجالس أوثق الفقهاء والوعاظ الذين يعلمون الناس أمور دينهم ، ويبصرونهم بخير الحياة الدنيا والآخرة . واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذي نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذي اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة ^(١) .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصّى بأبي حامد وأخيه صديقاً له من أهل التصوف . وقال له : إن لي اتسفاً عظيماً على ما فاتني من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فاتني في ولدي هذين ، فعلمهما ، ولا عليك أن ينفد في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما !

وأفند الصوفي وصيته ، وأقبل على تعليمهما ، حتى فنى المال القليل الذي خلقه أبوهما ، وتعذر عليه المضى في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنعاً إلى هذين اليتيمين اللذين لا هائل لهما ولا مال يعينهما على الحياة ، ولذلك كان الغزالي يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يُجرى عليهما بسببه ما يُجرى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلهما إلى الغاية الحقيقية من طلب العلم ، وهي معرفة الله تعالى حق المعرفة !

هذا أبو حامد يقرأ في صباه طرفاً من الفقه ببليده (طوس) ثم يسافر إلى (جرجان) ^(٢) ويأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ما شاء الله حتى يرتحل إلى (نيسابور) ^(٣) فيلازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، ويمجد في طلب الفقه ، فيبرع فيه وفي الجدل والمنطق والفلسفة ويفقه كلام أهل تلك العالوم ، ويتصدى للرد عليهم ، وإبطال دعاوهم ، ثم يقصد (العسكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، وينظر في مجلسه الأئمة والعلماء ، ويقهر مناظريه ، حتى يعترف الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى (بغداد) والتدريس في المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفي تلك المدرسة يعظم مجده ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

(١) هو أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الملقب بمجد الدين . قال ابن خلكان : كان واعظاً مليح الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ ، فقلب عليه ، ودوس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد . لا ترك التدريس زهادة فيه ، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بإحياء علوم الدين في مجلد واحد ، وسماه (لباب الإحياء) وله تصنيف آخر سماه (الذخيرة في علم البصيرة) وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة . . وتوفي أحمد بقروين في سنة عشرين وخمسمائة [أنظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٥ هـ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، فبعث أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وقد خرج منها صفوة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه حزة بن يزيد السهمي . قال الإصطخرى : أما جرجان فإنها أكبر مدينة بنو أحميا ، وهي أقل ندى ومطراً من طبرستان ، وأهلها أحسن وقاراً وأكثر مروءة من كبارهم . ولجرجان مياه كثيرة وضباب عريضة ، وليس بالشرقي بعد أن تجاوز المراق مدينة أجمع ولا أظهر حسناً من جرجان (راجع معجم البلدان ٣ / ٧٥ طبعة السعادة ١٩٠٦ م)

(٣) نيسابور : بلد كثير الفواكه والخيرات ، كان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأما عبد الله بن عامر ابن كرز في سنة ٣١ صلحا ، وقيل لأنها فتحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأخنف بن قيس ، وإنما انتفضت في أيام عثمان ، فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية .

حتى يقال إن مجلس الغزالي كان يحضره ثلثائة عمامة من أكابر العلماء . وأصبح مضرب المثل في التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رحال طالبي العلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم الذي يقوم به ، غير خالصين لوجه الله تعالى ، بل باعثهما ومحركهما طلب الجاه وبعد الصيت ، فتيقن أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشفى على الهلاك إن لم يسرع بتلافى ما هو فيه .

وحينئذ يظهر هزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لا يصرح بنيته خذراً أن يدلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتطلف بلطائف الحيل في الخروج من بغداد وهو ينوي ألا يعاودها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كان فيه سبباً دينياً ، فقد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وإما من قرب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سماوي ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزمرة أهل العلم .

وفارق بغداد ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يذكر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مُرصدٌ للمصالح لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم ير في العالم مალأ يأخذه العالم لعياله أصالح منه . ودخل الشام ، وأقام به ما يقرب من سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يعتكف في مسجد دمشق ، يصعد منارته طول النهار ويعلق بابها على نفسه ، حتى رسل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، ويعلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبته الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد اخلق عن نية الرجوع إليه .

وفي تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ، وابس الخشن من الثياب ، وقل طعمه وشرا به ، وصار يطوف المشاهد ويזור المقابر والمساجد للعظة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكافئها مشاق العبادات ، ويملوها بأنواع القرب والطاعات ، وفي هذه الأثناء ألف هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) حتى رجع إلى بغداد فحدث به .

عاد الغزالي بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه فخر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ولكن الغزالي تأبى وقال : أريد العبادة ! فقال له : لا يحل لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول الغزالي في ذلك : ترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعاملاً بالعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، فقدّر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج ، فأمر أمر إلزام بالهوض إلى « نيسابور » لتدارك هذه الفترة . وبلغ الإلزام حداً كان ينتهى - لو أصررت على الخلاف - إلى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة السكسل والاستراحة . وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بعسر معاناة الخلق ، والله تعالى يقول : « أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . . » الآية . ويقول عز وجل لرسوله ، وهو أعز خلقه : « وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنفَعَهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ » . . . فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله تعالى على رأس هذه المائة ، وقد وعد الله سبعمائة باحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسّر الله تعالى الحركة إلى (نيسابور) للقيام بهذا المهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة . . .

قال : وأنا أعلم أنى وإن رجعت إلى نشر العلم ، فما رجعت ؟ فإن الرجوع عود إلى ما كان ! وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذى به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولى وعملى ، وكان ذلك قصدى ونيتى . وأما الآن فأدعو إلى العلم الذى به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتى وقصدى وأمنيتى ، يعلم الله ذلك منى !

وأنا أبني أن أصلح نفسى وغيرى ، ولست أدرى أصل إلى مرادى أم أخترت دون غرضى ؟ ولكنى أومن بإيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأنى لم أتحرك ، لكننى حرّكتنى ، وأنى لم أعمل ، لكننى استعملت ، فأسأله أن يصلحنى أولاً ، ثم يصلح بى ، ويهذب بى ، ثم يهذب بى ^(١) .

وأخيراً يعود الغزالي إلى طوس بعد المدة التى قضاه فى نيسابور ، ويتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية ، ويوزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفى فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .



ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تعيه من حياة أبى حامد الرجل فى هذه الحياة الدنيا . أما عقليته ، فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة السكاملة ، ولن نجد فى هذه الترجمة إلا لمحات من فقره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء فى هذه الصورة شيئاً غريباً ، إنها صورة عادية تمثل رجلاً نشأ فقيراً ، فزهد كرهاً أو طوعاً ، وتصوف راضياً أو مضطراً .

وتلك الملاحة كثيرة الوجود فى البيئات الإسلامية فى عصر أبى حامد وفى غيره من العصور الإسلامية .

وإنك لو أجدت العلم الديني يطالبه الغنى والفقير ، والعلم العربي يجري في المجالس والمدارس والمساجد ميسراً لطالبه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسبيلاً من السبل التي يسلكها الكثيرون من طالبى الحياة لأجل القوت ، حتى يقولوا على السعى والسكد في طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، ويهيئ لهم بين العلماء منزلة تهى لهم منصباً وجاهاً ، ينالون به الخطوة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فتدبر لهم أخلاف العطاء ، وينالون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكد قصة الصوفى مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلهما مدرسة كأتهما من طلبة العلم . ويؤكد أنه أيضاً كلمة الغزالي السابقة : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبل التي سلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يتمتعوا بما متع به من العقلية الصافية والذكاء الخارق والإخلاص للعلم ، والتفانى في طلب الحقيقة ، بساوك سبيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا بقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا اتوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الغاية ، جددوا العزم وشحذوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا في هذا العناء وفي تلك المصاهرة والمثابرة متعة لنفوسهم وراحة لعقولهم الجادة في طلب المعرفة .

الشك عند الغزالي :

عاش الغزالي في القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى نضجت فيه العقول واستوت أودية التفكير وتعددت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختلفت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التي ينشدها كل مفكر . وكثر المتكلمون في العقائد وفي أصول الدين ، وفي الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفي المذاهب والديانات ، وفي أفعال العباد وغاياتهم .

وكثر المتكلمون في كل مسألة من تلك المسائل ، واختلفوا فيما بينهم اختلافاً عظيماً ، حتى يكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة في أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يخطط لنفسه خطة بين هذه الخلط الكثيرة والأكثرين يتخبرون لأنفسهم طريقة من الطرق المسلوكة يمكنهم عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم يقولون بها ما وسعهم المغالاة . وربما كانت مقالاتهم دون غيرها من المقالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم في الواقع يؤثرون السلامة بالبحث في دقائق إحدى النواحي ، على حين يغفلون غيرها أو يملون بها إلاماً عاماً ، ولم يتسع لهم الوقت للإيمان في المناهج الكثيرة التي تباين منهجهم ومقاتتهم .

وأمام هذا الغلو في الاعتقاد والتعصب لرأى أو لمنهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك في أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد في إثارة هذا المذهب على ذلك .

وجد الغزالي نفسه بين هذه المذاهب التي لا تكاد تحصى ، وأمام تلك الاتجاهات التي يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره يلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للمزيد ، وإذا المزيد الذي يريده لليقين يسلمه إلى شك طويل ، وإذا هذا الشك يبدو أمامه في كل أثر ، ولسكنه لا يسرع إلى النفي ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى المسكابة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجراءة من الارتفاع عن حضيض التقايد إلى يفاع الاستبصار .

إن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق - كما يرى الغزالي - بحر غرق فيه أكثر من ، وما نجا منه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » ، وهو الذي وعد به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » فقد كان ما وعد أن يكون !

ورأى الغزالي أن أصحاب الأديان كان التقليد ، كما كانت الوراثة ، السبب في نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فصبهان النصراني لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر ، وصبهان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبهان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ! » .

ويحكي الغزالي عن نفسه في « المنقذ من الضلال » أنه لم يزل في عنفوان شبابه ، منذ رآه البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف سنة على الحسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوف الجبان الحذور ، ويتوغل في كل مظلمة ، ويتهمج على كل مشكلة ويتقحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين الحق ومُبطِل ، ومتسنن ومبتدع ، لا يفادر باطنيا إلا أحب أن يطلع على بطائنه ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلميا إلا اجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجاداته ، ولا صوفيا إلا حرص على العنور على سر صفوته ، ولا متعبدا إلا ترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا إلا تجسس وراءه لانتبه لأسباب جراته في تعطيله وزندقته .

ويقف الغزالي عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتحرك باطنه إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقايدات التي أوطنها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول في نفسه : إنما مطلوب العلم بمقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هي ؟ ويظهر له أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الخلط والهم . ويعلم أن كل ما لا يعلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني !

فهو يتطلب المعرفة الحقة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوقن في قرارة نفسه بذلك النظرية الثابتة « إن الحقيقة لاتتعدد » ولكنه يرى التعدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو بعبارة أخرى لا يكون المعتقد إلا واحداً ؛ والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير المستقيم هو الذي يسلم إلى هذه الغاية .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هناك عوائق ، سالت بين العقول وبين النسيج السوي ؛ لآفة أصابتها ، أو غلة اعترتها ؛ فكان هذا التصيب للملل والنحل ؛ والناس شبيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .

٢٢

سبل المعرفة :

قلنا إن الغزالي ابتدأ طريق المعرفة بالشك فيما هو حاصل لدى بعض العقول ، وفيما هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطبيعته تأبى التعدد ، فما الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني الملائم للفطرة الصافية والعقل السليم ؟

نشدد الغزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحسيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالحواس وأمانه من العاط في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له ؟

وأقبل نجد يبالغ في تأمل الحواس والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسه بتسليم الأمان في الحواس أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالحواس ؟ إن أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى السكوك فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . هذا وأمثاله من الحواس يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل ويخونه ؛ تسكذباً لاسبيل إلى مدافعتة . فقد بطلت الثقة بالحواس أيضاً !

لعل سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً .

هنا لا يجد الغزالي سبباً واقعياً واحداً ينفي به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب العقول قاطبة ، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجري مع مذهبه في التشكيك ، ولكنه لا يستطيع أن ينفي الثقة بالعقليات عن سبيل العقل ، ولا عن سبيل التجربة والحس والملاحظة ، وإذ ذاك يلتبس الشك من سبيل الجدل والسفسطة ؛ ويخترع لذلك قياساً مجيباً ؛ فيزعم أن الحواس جادله وناقشته وحاجته قائلة : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالحواس ؟ وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ؛ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، ولعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلى كذب العقل

في حكمه ، كما نجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم نجلى ذلك الإدراك لا يدل على استحالته ؟
وتتوقف النفس في جواب ذلك قليلاً ، وتؤيد إشكالها بالنام ، وتقول : أما تراك تعتقد في النوم أموراً ،
وتخيل أحوالاً ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجميع
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فم تأمن أن يكون جميع ماتعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة
إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تعلم عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى
منامك ، وتكون يقظتك نوعاً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ماتوهمت بعقلك خيالات
لا حاصل لها . ولعل تلك الحالة ماتدعيه الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذا غاصوا
في أنفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً لاتوافق هذه المعقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت ، إذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فلعل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات
الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ
الْيَوْمَ حَرِيدٌ » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو في غمرة الشك والارتياب ؛ إنه يبحث عن يقين يجعله محور البحث ، ونقطة
يبدأ منها سبيل الأمان ؛ ليسير نحو الغاية المنشودة بخطا ثابتة ، لانتقل إلا إذا اطأ أنت إلى سلامة ما قبلها ، وعرفت
أنها تسير فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا الظن ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لا وسيلة إلى القضاء على تلك
الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العاوم الأولية ، فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية
مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل .

إن نقي الاعتماد على الحواس في سبيل إدراك العلم اليقيني اعتماداً على بعض ما يبدو من خداعها قد يكون له
مأسوؤه . ولكن هنالك من طرق الكشف ما يمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه الغزالي نفسه
إلى شيء من هذا يمكن به تحقيق بعض الشبه العارضة . ولكن مذهب إليه من جواز تفنيد أحكام العقل لا يجد
مسوغاً إلا هذا القياس الذي رأيناه ، وفيه من الضعف ما فيه ؛ إذ أن التفكير السليم إذا خضع للمنطق واعتمد على
المقدمات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التي تفضي إليها نتائج نهائية في كل زمان وفي كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء ؛ كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة في بينات التفكير الإسلامي ، وهيام
بعض المقلدين بآرائهم واعتناقمهم إيها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباهة للجمهور الذي قد يجهل كثيراً من تلك
الأفكار الطارئة ، ولا يبي إلا الأفكار التي أخذها عن الإسلام وتراث العروبة ، ورأى الغناء بها عن تحصيل هذا
العلم الطارئ ، الذي لاصلة له بمعتقد ولا أثر له فيه ، ولا سيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من
القدماء ؛ يعرف عنهم قبل كل شيء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا الغزالي في التفات ، وأنه رأى طائفة
يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظر بمزيد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحققوا شعائر الدين من وظائف الصلوات والتوقى عن المحظورات ، واستهانوا بتعهدات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيدوه ، بل خلعوا بالسكينة ربة الدين بفنون من الظنون ، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لكفرهم غير تقليد سماعي "إلفى" ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشوهم وأولادهم ؛ وعليه درج آباؤهم وأجدادهم ، وغيرُ بحث نظرى صادر عن التعثر بأذيال الشبه الصارفة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما اتفق لطوائف من النظائر فى البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط^(١) وبقرات^(٢) وأفلاطون^(٣) وأرسطوطاليس^(٤) وأمثالهم ؛ وإطباب طوائف من متبعيهم ، وضلالهم فى وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لفرط الذكاء والفطنة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والمثل ، ومعتدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تحيزاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخرطوا فى سلكهم ، وترفعوا عن مسابرة الجماهير والدهماء ، واستنكفوا من القناعة بأديان الآباء ، ظناً بأن إظهار التكاسى فى النزوع عن تقليد الحق بالشروع فى تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد عن تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة فى عالم الله أحسن من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقاً ، دون أن يقبله خبراً وتحققاً^(٥) ؟ .

وقع الغزالي فى هذه الأمشاج من المقالات والدعاوى ، ووجد نفسه أمامها ؛ فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطول ، وبسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ؛ وكلم من حسن فتن صاحبه فأرداه ؛ وكلم من عقل أضل صاحبه فأغواه عن سبيل الرشاد .

فلما رجعت نفسه إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضروريات العقلية عنده مقبولة موثوقاً بها عن أمن ويقين .

(١) هو الفيلسوف المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغورس ، واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها ، وأعلن بمخالفة اليونانيين فى عبادتهم الأصنام وقابل رؤسائهم بالحجج والأدلة ، ثوروا عليه العامة ، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) عن بعض علوم الفلسفة ، وهو سيد الطبيعيين فى عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله فى الطب تأليف مشهورة فى جميع العالم ، وفى صدور كتبه وصايا جميلة من التحنن والشفقة على النوع ، وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والحسد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان ، أخذ عن فيثاغورس وشارك سقراط فى الأخذ عنه ، ولم يشتهر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتباً مشهورة فى فنون الحكمة ، وذهب فيها إلى الرمز والإغلاف ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عليه ؛ وسمى الناس فرقته المشائين لأنه كان يعلم تلاميذه الفلسفة وهو ماش .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه العقل ، وإلى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصناعة المنطق ، وله فى جميع العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة ، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطوطاليس معلم الإسكندر ابن فيليبس ملك مقدونية ، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة مملكته ، وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة فى البلاد الإسلامية .

(٥) الغزالي : تهافت الفلاسفة : ص ٣ . (المطبعة الحيدرية - القاهرة ١٣١٩هـ) .

ولم يكن السبيل إلى ذلك نظام الدلائل وترتيب الكلام ، بل كان السبيل نوراً يقذفه الله تعالى في صدره ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ثل أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومعناه في قوله تعالى « فمن يُرِدِ الله أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » ! فقيل : وما علامته ؟ فقال . « التجافي عن دار النور ، والإنابة إلى دار الخلود » وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله خالق الخلق في ظلمة ، ثم رشح عليهم من نوره » . فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب الترشد له ، كما قال عليه السلام « إن ربكم في أيام دهركم نفعات ، ألا فتعرضوا لها » .

ولم يرد الغزالي بذلك كُفَّ نفسه ، أو كُفَّ الناس ، عن الدرس والتأمل والبحث ، اعتماداً على هذا النور الذي لا يأتي إلا نفعات ، وفي بعض الأحيان ، ولكنه أراد أن يعمل كمال الجسد في الطلب حتى يُسْتَهَي إلى طلب مالا يطلب ، ومالا قدرة على إدراكه ، وهو الذي يحتاج إلى ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلوب الصالحين الأخيار من عباده .

✽

وإذا كان الغزالي معذوداً في أئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا تسير في ركاب فكر أخرى ، مهما يكن حظها من الذبوع ؛ وحظ أصحابها من الجسد في دنيا التفكير .

وإذا كان الغزالي معذوداً في رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حق أيضاً ، ولكن ينبغي أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البُله من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستنيرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجسد الذي يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التي يرضاها ؛ والمعرفة التي ينكرها ، والمعرفة التي قد يسلم بها ولكنه لا يأخذ بها .

وهي صوفية تقف في وجه الابتداع ، وتقف أيضاً في وجه التقليد ، صوفية تفند مزاعم الهواة من أهل العقل ، وهي في الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التي لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدها بعض الجامدين خروجاً على الدين ومخالفة لنصوص سادت في بيئاتهم ؛ إنه يقول تلك النصوص تأويلاً يجاري به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويطعن في صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الراهنة الشائعة ، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على ما فيها مضر بالإسلام ومشكك في صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسماً من هذا الخلاف ، لا يصدده مذهب الفلاسفة فيه أصلاً من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انحناء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر في ظل الأرض

انه طامع عنه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في المدةتين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحاول الغزالي أن يخوض في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، وبصرح بأن من يظن أن المناظرة في هذا من الدين ، فقد جنى على الدين وضعف أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريبة ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب في الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ يقول الغزالي : ليس في هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته ، والأمر بالصلاة عنده . والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحباباً ؟ .

فإن قيل : فقد روي أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى شيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما المروي ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ ! فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فسواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم مسدساً ، أم ممتناً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قل ، أم أكثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالمتصود كونه من فعل الله تعالى فقط كيفما كان !

إن مثل هذه العقلية الواعية ، هي العقلية التي تخدم الدين ، وتبسط ساحته ، وتدعو إليه ، وترغب فيه ، لا العقليات الجامدة التي تقف في سبيل كل علم ، وتعترض على كل نظر واجتهاد وتعد من الأمور المحدثة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار . حتى حار كثير من المسلمين في تقبل ألوان المعارف التي لم يكن للسلف عهد بها ، خشية أن تكون من تلك البدع التي تقود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه في جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بدل أن يتقدم ، وأحجم حيث يجب أن يُقدم . وزعم بعض الغافلين أن الدين نصٌ ينبئني الوقوف

عند حروفه ودلالات ألفاظه ؛ وما ليس في هذه النصوص فالإسلام منه براء ؛ وهو لغو يحمل بالمسلم أن يتحاشاه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب العقول ، كما أتى في القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ؛ وأنه أمر بالسعى كما أمر بالنظر والبحث في ملكوته ، لتبين آياته للمتوسمين .

الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ؛ وإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحقيقة مطمع ؛ إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتها .

وقد بحث عنهم الغزالي في عصره فألفاهم أربع فرق :

- (١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأي والنظر .
 - (٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والخصوصون بالاعتباس من الإمام المعصوم .
 - (٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .
 - (٤) الصوفية : وهم الذين يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة .
- وقد درس الغزالي مباحث هذه الفرق ، وأمعن في درس مناهجها في البحث .

الغزالي وعلم الكلام :

ابتدأ بعلم الكلام فحفظه وعقله ، وطالع كتب المحققين من المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . فقد أطلق الله ألسنتهم لنصرة الشنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيس أهل البدعة الحديثة على خلاف السنة الماثورة . وقامت طائفة منهم بما ندبهم الله إليه ، فأحسنوا الذب عن السنة والتضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتفكير في وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى الغزالي بأنه صادف علم الكلام وافيًا بالغاية التي كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم يف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملاً في بحوثه والتجرد في طلبه ، بل أتى المتكلمين اعتمدوا في سبيل غايتهم على مقدمات تسلموها من خصومهم ، واضطروهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان في استخراج مناقضات الخصوم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات بشيء أصلاً . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فحاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، ولم يكن من ذلك ما يمحو بالكلية ظلمات الخيرة في اختلافات الخلق .

ولذلك لم يجد الغزالي علم الكلام وافيًا بمراده ، ولا شافياً لدائه . وإن كان لا ينسکر أن هذا العلم قد شفى نفس غيره ووفى بمقصوده ، بل لا يشك في حصول ذلك الطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتقاييد في بعض الأمور . والغزالي

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكمن دواء ينتفع به مريض ، ويستضر به آخر !

الغزالي والفلسفة :

وثنى بلم الفلسفة ، درسه في سنتين ، ثم لم يزل يواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، يعاوده ويردده ، ويتفقد غوائله وأغواره ، ويطلع على مافيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخيل . وقد رأى الفلاسفة أصنافا ، ورأى علومهم أقساما .

عرف منهم (الدهر بين) الذين جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيعيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيرا عظيما في قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطالانه ، وإذا انعدم فلا يعقل إعادته ؛ فالتنس تموت ولا تعود ، فجددوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للعصية عقاب ، فأنهمكوا في الشهوات انهمك الأنعام . وهؤلاء أيضا زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهيين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسططاليس الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر مالم يكن محررا من قبل ، وأنضج لهم ما كان فجا من علومهم . وهؤلاء بحملتهم ردوا على الدهريين والطبيعيين وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم ، وكذلك رد بعضهم بعضا . ولهم شيعة من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي .

أما العلوم التي خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيه فيها ، وهي العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والخلقية ، وتكلم عن آفاتهما وعما يتعلق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولا يؤثر في العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التي تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفيا وإثباتا ، بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادلتها بعد فهمها ومعرفتها . ولكن تولدت منها آفتان :

الأولى : أن من ينظر فيها يتمعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعظيمهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ؛ ويقول : لو كان الدين حقما لاختفى على هؤلاء مع تدقيقهم

في هذا العلم . فإذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم استدلل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين ، وكم رأيت من يضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواء ؛ مع أن الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا لكل صناعة . والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم في السكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهان ، لكن اعتقد أن الإسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد للفلسفة حبا ، وللإسلام بغضا . ولقد عظم على الدين خيانة من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات . وبهذا الأسلوب عالج الغزالي سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكمال الغرض ، وأن العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع العضلات .

الغزالي ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسمون أنفسهم (التعليميين) الذين شاع بين الخلق تحذيرهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، وبحث عن مقالاتهم ، وإطلاع على ما في كتبهم ؛ وهنالك عامل خارجي أعانه على هذا البحث ضمنية للبائع الأصلي من الباطن في طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسعه مدافعتهم .

وخلاصة رأى الغزالي أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لسكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولسكن شدة التعصب دعت الذآبئين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به ، فجادواهم في دعواهم « الحاجة إلى التعليم والمعلم » ودعواهم أنه « لا يصاح كل معلم بل لا بد من إمام معصوم » وظهرت حججهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضعف قول المنكرين في مقابلته ؛ فاغتر بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقة ، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم معصوماً . ولكن معلنا المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميت! فنقول : فعلمكم غائب .

فإذا قالوا : معلنا قد علم الدعاة وبشهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلنا قد علم الدعاة وبشهم في البلاد ، وأكمل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تضر غيبته !

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويجهد في البرهان على إبطالها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جربناهم ، وسبرنا ظاهريهم وباطنيهم ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى العلم ، ومجادلتهم في إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفعم ، حتى إذا ساعدتهم على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال هاتِ علمه ،

وأفدنا من تعليمه ، وقف وقال : الآن سلمت لي هذا فاطلبه ، فإنما غرضي هذا القدر فقط . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا فيضح ، ولعجز عن حلّ أدنى الإشكالات ، بل عجّز عن فهمه ، فضلاً عن جوابه .
فلما خبرهم نقض اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئاً من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء .

الغزالي والصوفية :

وبقي من طوائف الباحثين عن الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقهم إنما تمّ بعلم وعمل ، وحاصل علمهم قطع عقبات النفس والنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله .

يقول الغزالي : وكان العلم أيسر على من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلمت على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدّل الصفات . . . وعلمت يقيناً أنهم أرّباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

ولقد أثنى الغزالي على الصوفية ثناء عظيماً ، وامتنح سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم علماً وعملاً واقتداءً وتجرداً ومجاهدة نفس ، حتى انتهى إلى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السّير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه ليذهب إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالسكينة عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالسكينة بذكر الله ، وآخرها الفناء بالسكينة في الله ؟

وهو على مذهبه في حرية البحث ، وفي حرب التقليد ؛ لا يقرهم على كل شيء إقراراً مطلقاً ، بل إنه ليصف بالخطأ ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجري على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالانحداد ، ومن يدعون الوصول ؛ وغير ذلك مما يده أثراً من آثار عدم القدرة عن الإفصاح عما يرون وما يشاهدون من آثار عظمة الله ، إلى درجة يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح ^(١) .



آثار الغزالي :

تلك لمحات من الجهود المضنية التي بذلها الغزالي في العلم وتحصيله ، وفي سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طالبيها ، والوقوف على ما عندهم من فنونها ؛ مع تمحيص مقالاتهم والفحص عن حقيقة مذاهبهم وعلومهم ؛ ولا نشك في أن الذين أبلوا مثل هذا البلاء أقل من القليل ، فقد جرت الغالبية العظمى من المفكرين على أن يتخذوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعدونه ، وتهديهم الملامسات إلى فكرة واحدة يحومون حولها ، أو يحسرون أنفسهم في دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفكار ، على ذلك النحو الذي ذكرنا طرفاً منه .

وإنك لتعجب لتلك الآثار التي خلفها الغزالي ؛ فإنها على كثرتها المعجبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد في كل أثر منها لونا خاصاً متميزاً مما عداها ، وتجد فيه ما تنشدهم العمق والأصالة ، وإنك لتراه في كثير من المواضع إذا قارب فكرة من الأفكار ، أو مشكلة من المشكلات ، يكون قد درسها في كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الكتاب الذي عرض فيه لتلك الفكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمكن .

ومن تلك الآثار التي خلفها :

- (١) كتاب إحياء علوم الدين : وسنخصه بشيء من الدراسة .
- (٢) كتاب تهافت الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، وبين أغلاطهم ، التي حصرها في عشرين أصلاً ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديعهم في سبعة عشر .
- (٣) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد : في مقدار مائة ورقة يحوى أبواب علم المتكلمين .
- (٤) كتاب المنقذ من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .
- (٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوى على أصناف النفائس .
- (٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ما جاء في علوم الدين من الغايات والمقاصد .
- (٧) كتاب المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى .
- (٨) كتاب في فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيه فساد رأى من يسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .

(٩) كتاب القسطاس المستقيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم .

(١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف في أصول الدين . وفي هذه

الكتب الثلاثة تعرض لمذهب التعليلية وبين فساد مذهبهم .

(١٣) كتاب كيمياء السعادة : حصر فيه الشبه التي توهمها أهل الإباحة وكشفها .

(١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهي كتب

تبحث في علم الحدود الموضوع للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من المباحث الفقهية .

(١٨) كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل : في أربعين مجلداً .

(١٩) كتاب المستقصى (٢٠) كتاب المنحول . وهما في أصول الفقه .

(٢١) كتاب المنتحل في علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .

(٢٤) كتاب المضمون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محك النظر (٢٧) كتاب

أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج العابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب

الأنيس في الوحدة (٣١) كتاب القرية إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار

(٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين في أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة

(٣٦) كتاب المبادئ والغايات (٣٧) كتاب تلبس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العليل

في القياس والتعليل (٤٠) كتاب إجماع العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب العلوم الدنيوية

(٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجليل في الرد على

من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالي .

ومن هذه الكتب ما هو ضخم رحب المادة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لا يرقى إلى درجة الكتاب ،

ولكنه ربما كان أشبه بالمقالات التي تقضيها المجادلات في موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه العارضة .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل صدق دلالة على أن صاحبه من الذين وقفوا حياتهم على

العلم ؛ وتبتلوا في محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين ، وتفان في سبيل الذود عن حياضه ؛ إلى ما يدل عليه من كثرة

التحصيل وغزارة المعرفة ؛ والحياة المباركة التي هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

كتاب إحياء علوم الدين

ذكر المؤرخون أن الغزالي حدث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أي بعد

تلك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا وزهدت فيها وقطع فيها ، العلائق بينه وبين الناس ، وذكروا أنه كان

يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن الغزالي « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث »

والذي يفهم من ظاهر هذا الكلام أن ما حدث به الغزالي في بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان

ثمرة من ثمرات المعرفة التي أفاضها الله عليه في مرحلة نسكه وتصوفه .

هذا ولا يستطيع أن نقرّ هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين : إن كل مافي « إحياء علوم الدين » كان وحياً أو إلهاماً ، وأنه كان ثمرة حياة العزلة والتأمل التي قضاها في دمشق وبيت المقدس وفي البلد الحرام .

ونحن في هذا لاننكر أثر النسك والخلوة في تطهير النفس وتصفيتها وإطلاقها من قيود المادة ، فإن في قطع العلائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التي يستنفدها الاضطراب في الحياة والاتصال بالناس ، وانشغال القلب بأقوالهم وأعمالهم وتزاحمهم في طلب الحياة .

لاننكر أثر التصفية والتخلية في إرهاف الملسكات وتنقية الروح من الشوائب التي تقعد بها عن بلوغ درجة التفكير المجرد في هذا الملسكوت ، وفي الخلق والخلق ، وفي البداية والنهاية ، وفي مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لانشك أن الخلوة وطول التأمل وكبح جماح النفس من أعظم أسباب تحرير الروح من قيود المادية ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، وتمثل مافي السكون من الماديات ، وما ينطوى فيها من الآيات ، وما ينبغي وراءها من الأسرار التي أعيت على العقول

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون مافي « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً ألهمه الغزالي في رحلاته أو أوحى به إليه في خلواته ، ونرى في مثل هذه الدعوى سذاجة قد يشك فيها البئله من العوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتمل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرفه الغزالي من غير معلم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مروية معروفة خرجها المحرجون من رواة الأحاديث والعالمين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لاشك في بطلانه بحكم العقل وبحكم الشرع أيضاً .

ولا شيء من هذه الدعاوى يرتفع به الغزالي بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية ، إذا كان هنا لك من يريدون له تلك المنزلة بين الباحثين والمفكرين والمتصوفة عن مثل هذا الطريق التي لا يرضاها الغزالي لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحي ولا مجال إلهام ، وكيف الإلهام بحاصل موجود يعرفه العامة ويعرفه الخاصة ، وليس في تحصيله كبير عناء ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ؟

وإنما الجهد أو الاجتهاد الذي لاننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ما علل به لتلك الأحكام وما جمعه منها ، وما نظم به طرائق البحث فيها ، وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليسكون عملاً واجتهاداً ، كما كان معتقداً وإيماناً ، وفي « الإحياء » من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على طول الباع ، كما يدل على سعة الاطلاع ، ويدل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء في الرواية والدراية ، وفيما تقدم الكثير من الأدلة على ذلك .

تنقل الغزالي بين خراسان والعراق والشام والحجاز ، فماذا وجد في تلك البلاد التي تعد معاقل للإسلام ؟ وجد فيها خلفاء أبطرم السلطان وفتنتهم الدنيا ، وحولهم من الرعية من يقتل لهم بين الذروة والغارب ، وفيهم

الصابر يأساً ، والمصعر خذته تيهاً ودلاً ، وألنى رجال الدين في شغل عن الدين ، يتنزلونه في استرضاء السلطان ، وإشباع نهمه في الاستعلاء والكبرياء ، والسكل عن الدين لاهون ، إلا بالقدر الذي تدّر به معايشهم ، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى المعرفة ؛ وتتخذ دين الله هزواً ، وترى الآخذين به جهلةً من الطعام ، ومن عوام الدهاء ؛ والأخذ به غفلة وجهوداً ، حتى زاد الخطب وعمت الرزية ، وأحوج الأمر إلى من يذكر بالله ، ويحث على التدبر في آياته ، والرجوع إلى دينه الحق وصراطه المستقيم .

إلى هؤلاء وأولئك أشار الغزالي في خطبة « الإحياء » إذ وجد في الناس المتأثر على ما هو عليه من العمى عن جليلة الحق ، مع اللجاج في نصره الباطل وتحسين الجهل والتشفيب^(١) على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ، ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم ، طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب . . وأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغل منهم الزمان ، ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، حتى ظل علم الدين مندرساً ، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق ألا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام ، أو جدل يتدرب به طالب اللبابة إلى الغلبة والإفحام ، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام ، وشبكة للحطام ! فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً ، وضياءً ، ونوراً وهداية ، ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطولياً ، وصار نسياً منسياً .

ورأى الغزالي ما آل إليه الأمر ثلماً ملماً ، وخطباً مدلهماً في الدين ، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء علوم الدين ؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاح لمناهج العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين^(٢) .

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة ، فقد صنف الناس في المعاني التي ألف فيها كتباً ، ولكن كتابته تميز عن كتاباتهم بخمسة أمور :

الأول : حل ما عقده ، وكشف ما أجهله .

الثاني : ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .

الثالث : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما قررروه .

الرابع : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً : إذ السكل وإن تواردوا

(١) التشفيب : تهيج الشر

(٢) إحياء علوم الدين : ص ٩ من هذه الطبعة .

على منهج واحد ، فلا مستفكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويفعل عنه رقفاؤه . أولا يفعل عن التنبيه ، ولكن يسهو عن إirاده في الكتب . أولا يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف .

وما قرره صحيح ، يمتد له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لابد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السابقة فيه ، ليعرف مواضع النفس ومواطن الخلل ، ثم يخرج من تلك الجهود ما يستحق التحرير ، ويضيف إليه ما عنده من المعرفة فيه ، والتحرير جهد يقتضي الإحاطة ، والإضافة هي ما يمتاز به جهد عن جهد ، ويفضل بها الكاتب سواء من الكاتبين .

أو بمعنى آخر لابد من العنصر الذاتي والأصالة في كل عمل له وزن بين الأعمال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الذاتية في الكلمات السابقة .

واقدر ذكر الغزالي نفسه أن العلوم التي تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الأحوال في حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها أقيمت فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم . فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى (الإلهام) .

والذي يحصل بالاستدلال يسمى (الاعتبار) و (الاستبصار) ويختص به العلماء .

ثم الواقع في القلب بغير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) ما لا يدري العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) ما يطلع العبد معه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب ، وهذا يسمى (وحيا) ويختص به الأنبياء .

ويقرر الغزالي أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم النور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد في الدنيا ، والتبرؤ من علائقها ، وتفرغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه المهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك بصرح بأنه « إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تعلمن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، وينقضى العمر قبل النجاح فيها ، وكما من صوفي سلك هذا الطريق ، ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التماس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أو توق وأقرب إلى الغرض .

لقد زعموا أن ذلك بضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قريبا بالوحي والإلهام من غير تكرير وتعليل ، ثم يقول قائلهم : فأنا أيضا ربما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه ؟ ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء العثور على كنز من الكنوز . إن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا . فكذا هذا !

لابد أولاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم يكشف لسائر العلماء ، فعمامه يكشف بعد ذلك بالجاهدة^(١) .

فليتدبر هذا الكلام جيداً أولئك الغافلون ؛ ليعرفوا أن طريق الآخرة معرفة وعمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ؛ وليعلموا أن الغزالي وهو من أقطابهم في القمة لم يبلغ ما انتهى إليه إلا بالسكفاح الطويل في تحصيل المعرفة .

— ٢ —

قسم الغزالي « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

(١) ربيع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد العقائد ، وأسرار الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر في هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه ، .

(٢) ربيع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسمع والوجد ، والأسر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وآداب المعيشة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها .

(٣) ربيع المهلكات : وقد شرح فيه عجائب القلب ، ورياضة النفس ، وآفات شهوتي البطن والفرج ، وآفات اللسان ، وآفات الغضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والتعجب ، وذم الغرور .

وقد درس في هذا القسم كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته ، وتزكية النفس منه ، وتطهير القلب منه ، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حذره وحقيقته ، ثم ذكر سببه الذي يتولد منه ، والآفات التي تترتب عليه ، والعلامات التي يعرف بها ، وطرق المعالجة للتخلص منه .

(٤) ربيع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصيلة مرغوب فيها من خصال المقرئين والصدّيقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر في كل خصلة حذرها وحقيقتها وسببها وثمرتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هي : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد ، والتوحيد والتوكل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والمحاسبة ، والنفكير ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام في فضل العلم والتعليم ، ليكشف عن العلم الذي يعبد الله تعالى به ، حتى تصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ما هو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود ، وما هو مذموم ؛ وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه ، وحكم كل علم منها .

(١) راجع الجزء الثاني من الإحياء (ص ١٧ - ١٩) من هذه الطبعة .

والذى ينظر فى هذه الموضوعات يتضح له أنها تعالج النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علاقتها .

لقد درس فيها الغزالي الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التى تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة ؛ أو تسخير مامن العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجة حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار . أغراض تتلاقى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوتة بهذه الحياة المحدودة ؛ وما دام العقل والاستدلال والمعرفة تُقضى جميعاً إلى التسليم بالبعث والنشور والحساب والجنة أو النار . وكان الذى حفز الغزالي إلى تلك البحوث المستفيضة ما رأى من فتور الاعتقادات فى أصل النبوة ، ثم فى حقيقة النبوة ، ثم فى العمل بما شرحته النبوة ، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق ، فنظر فى أسباب الفتور وضعف الإيمان ، فإذا هى أربعة :

- ١ - سبب من الخائفين فى علم الفلسفة .
 - ٢ - وسبب من الخائفين فى طريق التصوف .
 - ٣ - وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم .
 - ٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس .
- وقد تتبع مدة آحاد الخلق ، بسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسرته ، ويقول له : مالك تقصر فيها ؟
- فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعدها ، وتبيعها بالدنيا ، فهذه حماقة ! فإنك لا تتبع الاثنين بواحد ، فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟
- وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ! فدبر نفسك فى طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخفى الذى هو مذهبك باطنياً ، وهو سبب جرائك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجمل بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع !
- قائل يقول : هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك ! وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلى ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحتز عن الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .
- وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويزعّم أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .
- وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .
- وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقائل رابع اتقى أهل التعليم فيقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ! وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟

وقائل خامس يقول : است أفعل هذا تنقيداً ، واسكني قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق ، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حجر التكليف ؛ وإنما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغنٍ فيها عن التقليد^(١) . . .

إنك تقرأ هذه الشبه العارضة التي جعلت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العمل ، والأسباب التي ينتحلها المقصرون ، والأعذار التي يدلى بها الغافلون . وتقرأ في (الإحياء) تنفيذ كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والمنطق الذي يسلم إلى اليقين .

إنك تقرأ في الإحياء بحثاً شبيهة عميقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما تطالعها فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك انتقراً من أصول التأديب وقواعد التربية ومراعاة حال النشء في تلقى العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفي أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد المعلم »^(٢) وأنه مشغول بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه التي تحتم عليه :

(١) الشفقة على المتعلمين ، وأن يحريهم مجرى بنيه . . .

(٢) الاقتداء بصاحب الشرع الشريف ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل الخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاتسكاس . . .

(٣) ألا يدع من نصح المتعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفي ، قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح بهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإضرار .

(٥) أن التشفيل ببعض العلوم ينبغى ألا يقبيح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، كعلم اللغة إذ عاداته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عاداته تقبيح علم الحديث والتفسير ، وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه . . . فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب ، بل التشفيل

بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلاً به لوم فينبغي أن يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره ، أو يخبط عليه عقله . فليثبت إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا ينبغي أن يفشى العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولذلك قيل : **كَلِّمْ لِكُلِّ عَبْدٍ بِمِيعَارِ عَقْلِهِ** ، ووزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار .

(٧) أن التعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجليّ اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقاً يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجليّ ، ويشوش عليه قلبه ، ويؤلم إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئاً وقال للناس : لا تناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء والأذها لما كان يستأثر به .

وما بسطه الغزالي في هذه الآراء هو ما يقوله الربون المحدثون في الانتقال بالمعلمين من الجليّ إلى الخفيّ ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس في الإدراك وأثر الحواس .

وتجد هذا السكتاب زائراً بمثل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرأها بالحاجة الملحة إلى دراسة « الغزالي المربي » وسيجد الدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تتسع تلك الصفحات لاستقصائها ، ولسكتنا نجتزئ بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

— ٤ —

ودراسة صلة الإنسان بخالفه دراسة لأصول العقائد والعبادات التي فرضها عليه ، والتي يلتزم بها الزاني إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التي درسها في تلك الأصول . وبقي أن تذكر أن الغزالي لم يكتف في تلك العبادات بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم وفي تصانيفهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيراً من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، وتعمق في فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها وتخليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفي استيعاب ليس له نظير .

فليست (الطهارة) عند الغزالي كما هي عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخبث تكون في البدن والثوب والمساكن ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والذائل المعقوتة . والرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى ^(١) ، ثم يفيض بعد ذلك في ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التي

(١) الإحياء ١/١٣١ من هذه الطبعة .

يدعو إليها ، والشرعية التي فقها وأجاد تمهيداً لها ، والعقل الذي عرف موارده ومصادره .
(والصلاة) عنده مناجاة ، والمصلي مُناجٍ به عز وجل ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة - وإذا كان الفقهاء يفتنون بصحة الصلاة مع الغفلة ، فإن الغزالي يتأدب في الرد عليهم ، ولا يطمع في مخالفتهم فيما أفتوا به ، ويعمل بأن ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذي يعرف سر الصلاة يعرف أن الغفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم الظاهر والعلم الباطن ، ويرى أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع ^(١) .

ورأيه في (الزكاة) أن التلغظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فإن المحبة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلاق ، لأنها آلة تمتعهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا العالم ، وينفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب ، واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ أُجُورَةٌ كَثِيرَةٌ ﴾ وذلك بالجهد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ، نزلوا عن جميع أموالهم ، فلم يدخروا ديناراً ولا درهماً ، فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما على العوام بمحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ^(٢) .

وهكذا نجد أنفسنا دائماً ونحن نجول في (الإحياء) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وفقهه وعمل به ، ورأى وراء هذا التشريع العام الذي ينتظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصاً هو في حقيقته أثر لذلك التشريع العام وتمسكين له ، وهذا الخاص فضل وزيادة ونافذة بعد أداء الفروض التي لم يغفل (الإحياء) ركناً من أركانها أو سنة من سنتها .

وهذا هو التصوف المستنير الذي أشرنا إليه ، تجدد فيه الحجة البالغة ، وتجدد فيه التقوى والورع وقطع العلائق بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد والمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه وتحرص عليهم .

في تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته ، ويجد المتصوف طلبته ، ويجد صاحب العقل والباحث عن اليقين ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين ، وبهذه السعة وبذلك الشمول أحيا الغزالي علوم الدين ، أحياها في الحياة المضطربة الجادة العاملة ، والمأجنة الهائلة ، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينهما وبين حكمة العقل والمنطق التي تفضي إلى الصحيح من النتائج ، وتلزم الشاك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .
والناس عند الغزالي ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص يعالج به ما عنده من الجهل أو الشك أو الغرور .

(١) أما الصنف الأول : فهم (العوام) ، ويفهمهم بأنهم الأتباع ، وبأنهم أهل السلامة . وهؤلاء هم الذين أبس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يُدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثانى : (الخواص) ، وهم أهل الذكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها القريحة النافذة والفتنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها . الثانية : خلوص باطنهم من تقليد وتصيب لمذهب موروث مسموع ، فإن التقليد لا يصح ، والبليد وإن أصفى لا يفهم . الثالثة : أنه يؤمن أن أستاذه (الغزالي) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يعالجهم الغزالي بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع الخلاف بينهم عن قرب ، ويدعوهم إلى الله بالحكمة ، كما دعا العوام بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِّتِ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فعمل أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة الحسنة قوم ، وبالمجادلة قوم . فإن الحكمة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشتمأزوا منها ، كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : (أهل الجدل) ، وهم طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ، ولكن كياستهم ناقصة إذا كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد ، فذلك يمنعهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعواهم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتعصب عليهم أو ينفهمهم ، ولكنه يرفق بهم ، ويجادلهم بالتى هى أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التى يتكون منها المجتمع الإسلامى ، وعرف فلسفتها فى الحياة وما تعالجه من أسباب التعادة ، وما تعانیه من أسباب الشقاء فى الفكر والعمل ، ولا نعرف هذه السعة وذلك الشمول على هذا النحو مثل ما نجدهما فى إحياء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاعتقاد وأصول العبادات - وهما كما قد منا صلة بين الإنسان وربّه وقيام بطاعته وامتنال لأمسه ونهيه وفيهما دلالة على المحبة - ما كتبه فى الربع الرابع من الإحياء ، وهو (ربع المنجيات) لأنه يختص بتصفية النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المعرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئه الشىء الكثير .

ومقدمة (التصوف) التوبة عما اقترفه العبد قبل أن يسلك طريق المعرفة ، ثم آداب السلوك وهى : الصبر ، والشكر والخوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والشوق ، والأنس ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكير ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل العامة ، التى ينبغى توافرها فى الإنسان الفاضل ؛ ويطلب الناس جميعاً بالتزامها ، ماداموا يتطلعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لاشك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك بعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطرق المتطامن إلى المعرفة فإنهم يجمعونها جميعاً

و يصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون نفوسهم جهاداً عنيفاً ، ويحملونها على ما تذكره ، مما يهدده غيرهم إسراراً وعنتاً ، ولا يعترفون بالضرورات ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً عسيراً ؛ ولا ينبغي لسالك الطريق أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مفارقة المعاصي ، وأنست بها نفسه ، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير تحرّم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته . هكذا كانت عادة سالكى طريق الآخرة ، فقد روى أن رجلاً من العباد كَلَّمَ امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على فخذه ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست ؛ ويحكى أن أحدهم تكشفت له جارية ، وهو في بعض المغازي ، فنظر إليها ، فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت ، وقال : إنك للحاظلة إلى ما يضرّك ! ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الحار لينقص على عيشه » (١) .

ففي هذا الربع ، ربع المنعيات ، يظهر ما يتعلّق به القلب من الصفات المحمودة التي ذكرت ، وهو يقابل مافي الربع الثالث ، ربع المهلكات ، الذي بسط فيه ما تجب تزكية النفس وتطهيرها منه ، وهي شرور وآثام مردية ، كالشره والغضب والكبر والرياء والعجب والحسد وحب الجاه وحب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (المنعيات) لأن الأولى تطهير وتخلية ، والثانية تزكية وتخلية ، والأولى في أصول التربية والتهديب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيما ذكره في المهلكات ، ولسكن في استطاعته النهوض منها وجبرها بالمنعيات ، ولأن التجرد للخير المحض دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للحض الشر دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولسكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الأدمنين .

— ٦ —

وبعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جامع عقليات ثلاث :

(١) : العقلية الشرعية : وتبدو آثارها فيما بسطه الغزالي من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتمد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضي الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرع والحديث والتأويل ، وهو يعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث في الحياة

الأولى ، وأن الفقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعَلَّ لذلك بأن الناس لو تناولوا الدنيا بالعدل لا تقطعت الخصومات وتعمل الفقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فمسّت الحاجة إلى سلطان يسوسهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا ، وهو معلم السلطان ، ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لتتنظم باستقامتهم أمورهم الدنيوية . والملك والدين توأمان ، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضائع ^(١) .

ولا يسلم له هذا الرأي كاملاً ، لأنه إن استقام في أحكام الجراحات والحدود والنمرات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام .

والذي دعاه إلى هذا الوصف أنه جعل هذا العلم علمين : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثاني يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القاب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه ، وهو الذي خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والحمود هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المعصية ، فإن للطاعة نوابها ، والمعصية عقابها . ولكن المرضي في علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة للمعرفة السكاملة ، والقناء ، وقهر النفس وتركيتها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يُفتي بالصحة ، أي أن ما قُبل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة ، وبه ينفع العمل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن النزالي وإن عدّ الفقه علم الدنيا والفقهاء علماء الدنيا ، فقد درس في الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على الفهم والاستيعاب ؛ إذ كانت الشريعة سُلّم الحقيقة ، والعبادة سبيل المعرفة الحقة التي نشدها وعدّ من رجالها .

(٢) العقلية الفلسفية : ونعني بها يقظة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بظواهره وشواهد ، ومحاولة الوصول إلى أعماقه ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التي تعارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

وقد أشرنا فيما سبق إلى نزوع الغزالي إلى التحرر ، ونفوره من التقليد الذي لا فضل فيه للعقل ، وفي الإحياء كثير من الشواهد على ذلك .

قد بحث الغزالي كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التي تتصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما بحث في أعمال العبد ، ومبدأ الخلق وغايته .

ومن ذلك البحث الفلسفي الذي عقده في « ربيع المهاركات » في شرح عجائب القلب ، وفي بيان معنى النفس والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

فلفظ (القلب) له معنيان : أحدهما : اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود . . . الخ .

والمعنى الثاني للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو الخاطب والمعاقب والمطالب والمطالب .. وتعلقه بالعقل الجسماني يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالسكان . . .

و (الروح) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني ، فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهي فيضان النور من السراج في زوايا البيت ، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان ، والروح مثالها السراج ، ومريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ (الروح) أرادوا به هذا المعنى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب . والروح معنى آخر ، وهو اللطيفة للعالم المدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معني القلب .

وللفظ (النفس) معان كثيرة ، ومن تلك المعاني ما يريد به أهل التصوف في استعمالهم ، وهي الأصل الجامع لصفات المذمومة من الإنسان ، وهي المعنى الجامع لقوة الشهوة والغضب في الإنسان ، فإنك تراه يقولون : لابد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » . ومن معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم (العقل) وقد يطلق ويراد به العلم بمقتضى الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب . وقد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب .

هذا شيء ، قابل نشير به إلى جهاد الغزالي في تلك الدقائق التي حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة ، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان ، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة . ولكلام الغزالي ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديمها وحديثها .

ثم الفلسفة الأخلاقية ، وقد أفاض فيها في المنجيات والمهلكات والعادات ، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له مثيل في القديم والحديث . وما بالك برجل يعالج الفضائل السكينة والرضاثل المستترة ، فضلاً عن الأخلاق الظاهرة والسلوك الملحوظ . ولا نحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج ، فإن المطالع لأكثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما نقول .

(٣) الدقاية الصوفية : ظهر للغزالي أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور ، والإقامة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والمهر من الشواغل والعلائق .

ثم لاحظ أحواله فإذا هو منغمس في العلائق . ولاحظ أحواله . وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا هو فيها مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكر في نيته في التدريس فإذا هي غير خالصة لله تعالى ، بل باعنها ومحرّكها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فتيقن أنه على شفا جُرف هار ، وأنه قد أشتى على النار ، إن لم يشتغل بتلافي الأحوال ^(١) .

وقد رأى العلوم التي حصلها لا تجدى فيما أراد ؛ إلا بنفحة من الله الذي يهب من يشاء من عباده الإيمان والمعرفة ، ورأى ذلك محتاجاً إلى جهد ومشقة ، وعلم وعمل .

وقد ساق الغزالي كثيراً من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة ، لا من التعلم ، ولا من الطريق المعتاد ^(٢) ، من ذلك قوله تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » أي مخرجاً من الإشكالات والشبه ، ومعنى يرزقه من حيث لا يحتسب : يعلمه علماً من غير تعلم ، ويفلّنه من غير تجربة . . وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » . . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فعمل باطن في القلب ، فذلك هو العلم النافع . . » وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سرٌّ من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً . . وفي الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووقفه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة . . » .

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٢٢/٣ .

وقد أورد كثيراً من الأدلة التي تؤيده في إمكان الكشف والإلهام بنير الأسباب الظاهرة ، مما وقع للخلفاء الراشدين وأهل التقوى والزهد والتصوف . وهذا هو العلم الدُّنْيَ ، وهو غير العلم الدنيوي الذي يكون بوسائط تعليم الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحمل النفس على مالا تطيقه أكثر النفوس ، ولقد كتب الغزالي في هذا الجهاد كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف عنها عند غيرهم .

ومابالك برجل يجعل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون للمرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال ، ويسميه (زهد الخائفين) ؟ ويجعل الدرجة الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته . أما الدرجة العليا عنده فهي (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى إلا من عرفه ، وزهدهم ليس عن رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقتصدوا والخلاص منها ، ولا إلى اللذات ليقتصدوا نيلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد الحقيقي والتوحيد الحقيقي الذي لا يطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله فقد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفي .

وما أكثر ما يزخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشبع الغزالي بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصل إلى المعرفة بالله والقرب من رحمته ، وتجدر أن هذا التشيع والفهم العميق لفلسفة التصوف في أبواب كثيرة نخص بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة في (ربيع المنجيات) في أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا . . . الخ .



وأخيراً . . .

تلك بعض إشارات إلى ينابيع الطاهرة والمناهل الصافية ، التي يفيض بها هذا الأثر الخالد ، يقصد إليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون في أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لعقولهم ، ورياً لظمئهم ، وشفاء لأدواء قلوبهم ، وتبديداً لظلمات الحيرة في نفوسهم وأمنافى سلوكهم ، ونجاة من موبقات هذا السراب الأخاذ في دنيا الباطل والضلال ، وسبيلاً إلى السعادة بالمعرفة النافعة والحسنة البالغة .

وقد كتبت هذه الكلمات استجابة للرغبة الكريمة التي أبدتها (دار إحياء الكتب العربية) في تقديم هذه الطبعة من (إحياء علوم الدين) الذي عظم نفعه ، وعمت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام الغزالي ، الذي نعتز به عالماً بدين الله ، ومؤمناً بالله ، وداعياً إلى الله ، ونعتز به مسلماً من أولى البصيرة واليقين ، وعلماً من أعلام الصوفية وفلاسفة الإسلام .

وأقدمت على هذا العمل مستعيناً بالله ، حتى وفق إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحاً للكشف عن شخصية الغزالي وعقليته ومعارفه ، وما بث في (الإحياء) من آيات الهدى والحكمة .

والحمد لله على ما هدى إليه ، وأعان عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم المولى ونعم النصير .

بروفيسور محمد طيخان

مصر الجديدة { ٣ من جادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ
٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٧ م



مواد المقدمة

- صفحة
- (١) تمهيد في التصوف الإسلامي ٣ - ٧
- تعاليم الإسلام - المسلم بين الدنيا والآخرة - المسلمون في الصدر الأول - صراع بين المادية والروحية - عودة إلى الله - البحث عن الحقيقة - السلبية في بعض مناهج التفكير - ألوان جديدة من المعرفة .
- (٢) الإمام الغزالي ٧ - ١١
- مولده ونشأته - أبوه - علم للحياة وعلم لله - في طوس - في جرجان - في نيسابور - في العسكر - مع نظام الملك - إلى بغداد - في المدرسة النظامية - صدود عن المنصب والجاه - في الشام وبيت المقدس - إلى مكة والمدينة - تنسكه - عودة إلى خراسان - العزلة والخلوة - أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس - عودته إلى طوس - وفاته .
- (٣) الشك عند الغزالي ١١ - ١٨
- اختلاف مناهج البحث في العقائد - التعصب للآراء - الغزالي والتقليد - سهل المعرفة: الحسيات والعقليات - عقبات تعترض طريقهما - أثر الفلاسفة والطبيعيين في بثاث التفكير الإسلامي - ليس الكشف موقوفا على الأدلة المحررة - فلسفة الغزالي ونصوفه - الغزالي بين الابتداع والاتباع .
- (٤) مناهج البحث عن الحقيقة ١٨ - ٢١
- الغزالي وعلم الكلام - الغزالي والفلسفة - الغزالي ومذهب التعليم - الغزالي والصوفية - مزايا كل منهج وعيوبه .
- (٥) آثار الغزالي ٢٢ - ٢٣
- (٦) كتاب (إحياء علوم الدين) ٢٣ - ٣٨
- مقدمات - متى حدث به ؟ - متى ألفه ؟ - بين التحصيل والإلهام - لماذا ألف الإحياء ؟ - الفرق بين كتابة الغزالي وكتابة الذين سبقوه .
- أقسام الإحياء : العبادات - العادات - المهلكات - المنجيات - أسباب الفتور وضعف الإيمان - الإحياء والتربية - صنوف الناس في نظر الغزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف - الشريعة والفلسفة والتصوف في الإحياء - خاتمة .

إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ
لِلْإِمَامِ الْفَكْرِيِّ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حق جلالة حمد الحامدين ، وأصلى وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تعجبك رابعاً ، أيها العادل المتعالي في العزل من بين زمرة الجاحدين ، للسرف في التفرغ والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهد الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جليلة الحق مع اللجاج في نصرته الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر بأساً من تمام التلافي والجبر وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم المحدثين عن دركها فرجمت بكلامها ، أحمده وأستكين له من مظالم أقتضت الظهور بأثقالها ، وأعبدته وأستعين به اعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدرجات وأهوالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عني علمه ثم شرعت في تبييضه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمال غير متعرض لتزك وإهماله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمالها فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقترعت فيه على ذكر طرف الحديث وصحايه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته الى من خرجه من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزه إلى غيرهما إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق

لنشر المحاسن وطبها

في أحسن كتاب

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

المآب والصلوة والسلام

على سيدنا محمد الذي

أحيا بأحياء شريعته

وطريقته قلوب ذوي

الألباب وعلى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرفت شمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همة

روحانية مصنفه الولي

الوهاب الى إسماع

ملازمي مطالعته

وحبيه بالمطلوب .

وبعد : فان الكتاب

العظيم الشأن المسمى

بإحياء علوم الدين

المشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

العالمين وأهل طريق

الله السالكين المشايخ

العارفين المنسوب إلى

الامام الغزالي رضى

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه (١) » واعمرى إنه لاسبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولارقيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستفواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندساً ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام أو جدل يتدفع به طالب البهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقها وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطويّاً وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً فى الدين ملأ وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمنهاج العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهى : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع النجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولاً عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم (٢) » وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع (٣) » وأحقق ميل أهل العصر عن شاكله الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الترم مخزجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه فى الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان فى باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لغرض أو لدهول عن كونه تقدم وإن كرره فى باب آخر ذكرته ونهت على أنه قد تقدم وربما لم أنه على تقدمه لدهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغنى عنه غالباً وربما لم أذكره . وسميته :

المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار

جعل الله خالصاً لوجه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بأسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بأسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور
والأعوام تاج المجتهدين
سراج اللهجين
مقتدى الأئمة مبين
الحل والحرمة زين الملة
والدين الذى باهى به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضى عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظيم الوقع كثير
النفع جليل المقدر
ليس له نظير فى بابه ولم
ينسج على منواله ولا
سمحت قريحته بمثاله
مشتغلاً على الشريعة
والطريقة والحقيقة
كاشفاً عن الغوامض
الخفية مبيناً للأسرار
الدقيقة رأيت أن أضع
رسالة تسكون كالعنوان
والدلالة على صباغة
من فضله وشرفه
ورشحة من فضله
جامعه ومصنفه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالمقدمة فى عنوان
الكتاب . والمقصد
فى فضائله وبعض
المدايح والثناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحبة والعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر الموت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطالع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين . وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتركه النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التي بها يتخلص ، كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصادقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : الأول : حل ما عوقده وكشف ما أجملوه . الثاني : ترتيب ما بدوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه . الرابع : حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً إذاً السكول وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفاقه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراد في الكتب أو لا يسهو ولكن يصره عن كشف الغطاء عنه صارف في هذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لجامع هذه العلوم . وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلي : أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكار عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة في ترجمة المصنف رضي الله عنه وسبب رجوعه إلى هذه الطريقة .

(المقدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة التي يتقرب بها إلى الله تعالى تنقسم إلى ظاهرة وباطنة والظاهرة قسمان معاملة بين العبد وبين الله تعالى ومعاملة بين العبد وبين الخلق . والباطنة أيضاً قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تخليته القلب به من الصفات الحمودة وقديني الامام الغزالي رحمه الله كتابه إحياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال في خطبته : ولقد أسسته على أربعة أرباع ربيع العبادات وربيع العادات وربيع المهلكات وربيع المنجيات فأما ربيع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والقصود من هذا الكتاب علم العاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إبداءها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم العاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيعاء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحمال والعلماء ورثة الأنبياء فمالهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والافتداء . ثم إن علم العاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم للمسكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم العاملة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرب به إلى المباحة والاستظهار بجاهه ومنزله في المناقسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزني بزى المحبوب محبوب فلم أبعداً يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب ولهذا تلتطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى العلم الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبداً فأين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآمال فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والساداد إنه كريم جواد .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تعدد العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم للمذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهد من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثني بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء ونبلاً وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما نخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العالم كتاب قواعد
العقائد كتاب أسرار
الطهارة كتاب أسرار
الصلوة كتاب أسرار
الزكاة كتاب أسرار
الصيام كتاب أسرار
الحج كتاب تلاوة
القرآن كتاب الأذكار
والدعوات كتاب
ترتيب الأوراد في
الأوقات . وأما ربيع
العادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب
آداب الأكل كتاب
آداب النكاح كتاب
آداب الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب
آداب الصحة كتاب
العزلة كتاب آداب
السفر كتاب
آداب السماع والوجد
كتاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
كتاب أخلاق النبوة .
وأما ربيع للهلكات
فيشتمل على عشرة
كتب كتاب شرح
عجائب القلب كتاب
رياضة النفس كتاب
آفة الشهوتين : البطن
والفرج كتاب آفة
اللسان كتاب آفة

نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم - رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله . وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وريشا - يعني اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم - وقال تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال تعالى - خلق الإنسان علمه البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢) ومعلوم أنه لارتبة فوق النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض»^(٣) وأى منصب يزيد على منصب من تشتمل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم «إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك»^(٤) وقد نبهنا على ثمراته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمع وقعه في الدين»^(٥) ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتسج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «الايان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد» أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل»^(٨) . وقال صلى الله عليه وسلم «لموت قبيلة أيسر من موت عالم»^(٩) وقال عليه الصلاة والسلام «الناس معادن كعادن الذهب والفضة يخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء»^(١١)

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغنى الأزدي في آداب الحديث من حديث أنس باسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا تجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الايمان عريان الحديث الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٩) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف

الغضب والحق والحدس
كتاب ذم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب التور . وأما
ربع المنجيات فيشتمل
على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب
الخوف والرجاء كتاب
الفقر والزهدي كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب النية
والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة
كتاب التمسك كتاب
ذكر الموت . ثم قال
رحمه الله : فأما ربع
العبادات فأذكر فيه
من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار
معانيها ما يضطر العالم
العامل إليها بل لا يكون
من علماء الآخرة من لم
يطلع عليها وأكثر ذلك
مما أهمل في التفهيمات .
وأما ربع العادات
فأذكر فيه أسرار
للعاملات الجارية بين
الخلق ودقائق سننها

وخفايا الررع في مجاريها
وهي مما لا يستغنى المتدين
عنهما . وأما ربيع
الله كات فأذكر فيه
كل خلق مذموم ورد
القرآن بما طهته وتزكية
النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر في كل
واحد من هذه الأخلاق
حده وحقيقته ثم سببه
الذي منه يتولد ثم
الآفات التي عليها يترتب
ثم العلامات التي بها
يتعرف ثم طرق
العلاج التي منها يتخلص
كل ذلك مقرونا بشواهد

من الآيات والأخبار
والآثار . وأما ربيع
المنجيات فأذكر فيه
كل خلق محمود وخصلة
مرغوب فيها من خصال
القربين والصديقين
التي يشرب بها العبد
من رب العالمين
وأذكر في كل خصلة
حدها وحقيقتها وسببها
الذي به تجتلب وتمرتها
التي منها تستفاد
وعلامتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها
فيها يرغب مع ما ورد
فيها من شواهد الشرع

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقها عالما ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهله ورزقه من حيث لا يحتسب ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمحبابي ^(٨) » فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاها لم تكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ^(١٠) » فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقهه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ^(١١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه ^(١٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة ^(١٣) » وقال

(١) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة. ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقها عالما ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي بإسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له بإسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة بإسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمحبابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن جبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء للتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف: فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث مجن بن الأدرع بإسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

والمقل

(المقصد في فضل الكتاب للشار إليه وبعض الدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه) اعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبهم فقصروا وماقصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردوا فيما علمت بتأليف وهي جسديرة بالتصنيف غاص مؤلفه رضى الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر للعاني ثم لم يرض إلا بكبارها وجلال في بساين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها وسما إلى سماء العاني فلم يصطف من كواكبها إلا السيارة وجللت عليه عرائس أسرار العاني فلم ترق في عينه منهن إلا بادية النضارة تجمع رضى الله عنه فأوعى وسعى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطبأؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطبأؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضر سبعين سنة (٢) » وقيل يارسول الله : أى الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له نسأل عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذب بكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٤) » نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكيل يا كيل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق . وقال على أيضا رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإدامات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ بما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر بعلم تعيش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملوك فاختر العلم فأعطى المال والملوك معه ، ومثل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الدين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا لجامع فان أخس العاصير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال فتح الموصول رحمه الله أليس للريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياتهما كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذهب الدنيا وشغلها بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

فشكر الله له ذلك
المسعى فله دره من عالم
محقق مجيد وإمام جامع
لشتات الفضائل محرر
فريد لقد أبدع فيما
أودع كتابه من
الفوائد الشوارد وقد
أغرب فيما أعرب فيه
من الأمثلة والشواهد
وقد أجاد فيما أفاد فيه
وأمل يبدأه في العلوم
صاحب القدر المعلى
إذ كان رضى الله عنه
من أسرار العلوم بمحل
لا يدرك وأين مثله
وأصله أصله وفضله فضله:
هيات لا يأتى الزمان
بمثله

إن الزمان بمثله لشحيح
وما عسيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشات
الفضائل وأخذ برقاب
الحامد واستولى على
غايات المناقب فشجرت
في فوارى العلم والعمل
والعلا والفهم والذكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضى الله عنه ذا الصدر
الرحيب والقرينة
الثابتة والدرية الصائبة

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من
خوفه والفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فتعود بالله من يوم كشف
الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح
مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعته موت رواه
فوالذى نفسى بيده ليوذن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبيتهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان
أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى
من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى
- ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسنه في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة
وقيل لبعض الحكماء أى الأشياء تفتنى قال الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك بمعنى العلم
وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجأما اتخذها الناس إماما ومن
عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعى رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب
اليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضى الله عنه يأبى الناس عليكم بالعلم فان الله
سبحانه رداء يحب به فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استغفبه ثلاث مرات لثلا
يسلبه رداءه ذلك وان تناول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا
وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم وأعتقنى فقلت
بأى شيء أحترفت فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائرا فلم أذن له وقال الزبير بن أبى
بكر كتب إلى أبى بالعراق عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا .
وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله سبحانه يحبى القلوب
بنور الحكمة كما يحبى الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى
الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات فقولته تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين - وقوله عز وجل
- فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقولته صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا
يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها
لطالب العلم رضا بما يصنع ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تغدو فتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى
مائة ركعة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ^(٤) » وقال
صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث
إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث
صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتعلم بابا من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة ابن عبد البر
من حديث أبى ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من
العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن
البصرى ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من
حديث أبى ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من
حديث أنس وقال البيهقى متنه مشهور وأسانيده ضعيفة .

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزان مفاتيحها السؤال ألا فاسألوه فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٢) » وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة ، فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم (٣) » . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينبهه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة (٤) » . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلت طالبا فعززت مطلوبوا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفق فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنى لأرحم رجلا كرحمى لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تسكن الرابع قهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن العبد إلى طلب العلم ليس بمجاهد فقد نقص في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذنا من الميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما أتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه (٥) » وقال تعالى - ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله وعمل صالحا - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها (٦) »

(١) حديث العلم خزان مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاء الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة المعلمين من حديث الحسن قتيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسل (٥) حديث ما أتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال معاذا حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمني سئل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الإمام الكبير أبو الحسن علي بن حرزم الفقيه للشهور المغربي كان بالغ في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الإحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

فما أقبل ابن حزم
قال الغزالي هذا
خضمي يا رسول الله فان
كان الأمر كما زعم ثبت
إلى الله وإن كان شيئاً
حصل لي من بركتك
واتباع سنتك فخذلي
حق من خضمي ثم
ناول النبي صلى الله عليه
وسلم كتاب الأحياء
فتصفحه النبي صلى الله
عليه وسلم ورقة ورقة
من أوله إلى آخره ثم
قال والله إن هذا شيء
حسن ثم ناوله الصديق
رضي الله عنه فنظر فيه
فاستجاده ثم قال نعم
والذي بعثك بالحق إنه
لشيء حسن ثم ناوله
الفاروق عمر رضي الله
عنه فنظر فيه وأثنى
عليه كما قال الصديق
فأمر النبي صلى الله عليه
وسلم بتجريد الفقيه على
ابن حزم عن القميص
وأن يضرب ويحد
حد المفترى فجرد
وضرب فلما ضرب
خمساً أسواط تشفع فيه
الصديق رضي الله عنه
وقال يا رسول الله لعله
ظن خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقاً ^(١) » وقال
عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء
بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أأنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون
ثم يدخلون الجنة ^(٢) » وهذا إنما يكون بالعلم المتعدّي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدّي به . وقال صلى
الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب
بذهاب العلماء فكما ذهب علم ذهاباً عما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالاً إن سئلوا أفنوا
بغير علم فيضلون ويضلون ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة
بلجام من نار ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكماء تسمعها فتطوى
عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاها أو معلماً أو متعلماً ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم
« إن الله سبحانه وملائكته وأهل ممواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون
على معلم الناس الخير ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن
بلغه بلغه ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعالمها ويعمل بها خير له
من عبادة سنة ^(٩) » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله
عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم
وإن شاء منعههم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً » ثم عدل إليهم وجلس معهم ^(١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلي ^(١) حديث
من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقاً رواه أبو منصور الديلمي في مسند
الفرديوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ^(٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى
للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند
ضعيف ^(٣) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله
ابن عمرو ^(٤) حديث من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي
وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن ^(٥) حديث
نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكماء تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد
ضعيف ^(٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال
الترمذي حديث حسن غريب ^(٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها
وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي
نسخة حسن صحيح ^(٨) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر
من رواية محمد بن المنكدر مرسلاً نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم
لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى ^(٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها
المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلاً
نحوه وفي مسند الفرديوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكماء يسمعها الرجل خير له من
عبادة سنة ^(١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين
أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فأخطأ في ظنه فرضى
 الامام الغزالي وقبل
 شفاعته الصديق ثم
 استيقظ ابن حزمهم
 وأثر السياط في ظهره
 وأعلم أصحابه وتاب إلى
 الله عن إنكاره على
 الامام الغزالي واستغفر
 ولكنه بقي مدتوبة
 متألماً من أثر السياط
 وهو يتضرع إلى الله
 تعالى ويتشفع برسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 إلى أن رأى النبی
 صلى الله عليه وسلم
 دخل عليه ومسح
 بيده الكريمة على
 ظهره فعوفى وشفى باذن
 الله تعالى ثم لازم مطالعة
 إحياء علوم الدين ففتح
 الله عليه فيه ونال
 المعرفة بالله وصار من
 أكابر المشايخ أهل
 العالم الباطن والظاهر
 رحمه الله تعالى . قال
 الياقعي روينا ذلك
 بالأسانيد الصحيحة
 فأخبرني بذلك ولي الله
 عن ولي الله عن ولي
 الله عن ولي الله الشيخ
 الكبير القطب شهاب
 الدين أحمد بن الملق

الأبدان

الأبدان من الضعف يبالغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والنفكر فيه يعامل بالصيام ومداسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجّد وبه يتورّع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو يعلم بفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها هو كال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليست من السكّال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل السكّيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهم أحقران لا منفعة لهم ولو لأن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكنا والحصاب بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمعشى بها والتوصل إلى اللآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت أنه لذي نافع في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العلم إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمره العلم القرب من رب العالمين والاتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملائكة الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم بمجولة على التوقير لشيخوهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لاحتلالها فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة للآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لمن يتخذها مستمرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء

الشاذلى عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالله ياقوت الشاذلى عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله أبى العباس
المرسى عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبى الحسن الشاذلى
قدس الله أرواحهم
وكان معاصرا لابن
حرزهم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلى
ولقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزهم
رحمه الله يوم مات وأثر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ بن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الامام الغزالى واجتمع
به قال سمعت الامام
الفقيه الصوفي سعد بن
طلى بن أبى هريرة
الاسفراينى يقول سمعت
الشيخ الامام الأوحى
زين القراء جمال
الحرم أبا الفتح الشاذلى
بمسكة الشرفة يقول
دخلت المسجد الحرام
يوما فطراً على حال
وأخذنى عن نفسى
فلم أقدر أن أقف
ولا أجلس لشدة ما بى

وهو للمسكن والسياسة وهي للتأليب والاجتماع والتعاون على أسباب العيشة وضبطها . الثاني ماهى مهينة لسكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحداثة فانها تخدم الزراعة وحجلة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها . الثالث ماهى متممة للأصول ومزينة كالطحن والحبز للزراعة وكالقصار والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أضرب أيضا إما أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من السكال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لالحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلفاء والملوك والسلطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبيدته الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والمع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على مواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق الحمودة السعيدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالانتفاع إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كإسباتي بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستتراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشغول بتسكيله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تزيينهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثانى . فى العلم الحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع السلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة على بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم فنفروا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقعت على جنبى الأيمن
تجاه الكعبة للعظمة
وأنا على طهارة وكنت
أطرد عن نفسى
النوم فأخذتني سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم فى أكل
صورة وأحسن زى
من القميص والعامة
ورأيت الأئمة الشافعى
ومالكا وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يعرضون عليه مذاهبهم
واحدا بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقرهم على ما جاء
شخص من رؤساء
المتبعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته فتقدمت أنا
وقلت يا رسول الله
هذا الكتاب أعنى
إحياء علوم الدين
معتقدى ومعتقد أهل
المسنة والجماعة فلو
أذنت لى حتى أقرأه
عليك فأذن لى
فقرأت عليه من
كتاب قواعد العقائد
بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول في ترجمة
عقيدة أهل السنة
حتى انتهت إلى قول
الغزالي وأنه تعالى
بعث النبي الأمي
القرشي محمد صلى
الله عليه وسلم إلى
كافة العرب والعجم
والجن والإنس فرأيت
البشاشة في وجهه
صلى الله عليه وسلم
ثم التفت وقال أين
الغزالي وإذا بالغزالي
واقف بين يديه فقال
ها أنا ذا يا رسول الله
وتقدم وسلم فرد عليه
السلام عليه الصلاة
والسلام وناولته يده
الكريمة فأكب
عليها الغزالي يقبلها
ويتبرك بها وما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
أشد سرورا بقراءة
أحد عليه مثل ما كان
بقراءة علي الأحياء
ثم انتهت والدمع يجري
من عيني من أثر تلك
الأحوال والكرامات
وكان تقريره صلى الله
عليه وسلم لمذاهب أئمة

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات
وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم
الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد
بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييزه الملك من لمة الشيطان
وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومهم .
وقال أبو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام وهو قوله صلى الله عليه
وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله (١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس
فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه
ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد
بهذا العلم إلا علم للمعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك
فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم
معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر
والبحت وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب
نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسمع من غير بحث ولا برهان « إذا اكتفى رسول الله صلى
عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل (٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب
الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهماهما وليس يلزمه أمر وراء
هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك
بعوارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض
إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره
إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر
إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت واشتغل بالتعلم فلا يعد أن
يقال المظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد
وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم
الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل
والشرب والوقوع وأن ذلك يتبادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال
عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من
وقت الإسلام فان لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فاذا دخل
في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن
ينبغي لعلماء الإسلام أن ينهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا
كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج
ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثاني)

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث اكتفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، مشهور في كتب السير
والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

وفي غريم السكوت عن النبوة على وجوب أصل الحج في الحال نظير يابق بالفقهاء وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من السلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لا بسا للحرير أو جالساً في النصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر فإن خطرله شك في المعاني التي تدل عليها ككتمان الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطرله ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسمع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبديع فينبغي أن يسان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجب إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولاة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربيع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سذكروه من مذمومات أحوال القلب كالسكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث للمهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني . ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتفل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فإذا انتهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبيد هو في مجارى أحواله في يومه وليته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالآلف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم .

السنة واستبشاره
بعقيدة الغرالى
وتقريرها نعمة من الله
عظيمة ومنة جسيمة
نسأل الله تعالى أن
يحيينا على سنته ويتوفانا
على ملته آمين .
(فصل) أنى على الأحياء
عالم من علماء الإسلام
وغير واحد من عارفى
الأنام بل جمع أقطاب
وأفراد فقال فيه الحافظ
الإمام الفقيه أبو الفضل
العراقى في تخرجه إنه
من أجل كتب الإسلام
في معرفة الحلال
والحرام جمع فيه بين
ظواهر الأحكام ونزع
إلى سرائر دقت عن
الأفهام لم يقتصر فيه
على مجرد الفروع
والمسائل ولم يتبحر
فى اللجة بحيث يتعذر
الرجوع إلى الساحل
بل مزج فيه على
الظاهر والباطن ومرج
معانيها فى أحسن
المواطن وسبك فيه
نفائس اللفظ وضبطه
وسلك فيه من النمط
أوسطه مقتدياً بقول
على كرم الله وجهه

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدد تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحجامة والحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله . وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في التقدير المحتاج إليه وأما المذموم منه فعمل السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا تسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محدودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتقسم إلى المحمودة والمذمومة . أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأثر فإنه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانا وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فأتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملقوط به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لا يقضى القاضي وهو غضبان »^(١) أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

خير هذه الأمة الخط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم العالي إلى آخر ما ذكره مما الأولى بنا في هذا المحل طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الأحياء ليظهر للمحب والبغض رشده وغيره . وقال عبد الغافر الفارسي في مثال الأحياء إنه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي كاد الأحياء أن يكون قرآنا . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو بعيت جميع العلوم لاستخرجت من الأحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والأحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العبدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه قهلا وروى عنه أنه قال مكنت سنين أطالع

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً ^(١) » ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً . الضرب الرابع المتممات : وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتمادنا على النقل إذ اللغة بمجرد ما لاتستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنسب والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً . وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به هذه هي العلوم الشرعية وكلها محمولة بل كليها من فروض الكفايات . فان قلت لم ألحق الفقه بعلم الدنيا ألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخاق الدنيا زادا للمعاد ليتناول ما يصلح للزود فلو تناولوها بالعدل لانتظمت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معام السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدينافان الدين امرزعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لأصل له مهدوم وما لحارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحنج لا يتم إلا بيزدقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحنج شيء وسلك الطريق إلى الحنج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بهاشي ثالث ومعرفة طرق الحراسة وجعلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندا « لا يفتي الناس إلا ثلاثة أميراً أو مأموراً أو متكلفاً ^(٢) » فالأمر هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والتكلف غيرها وهو الذي يتقصد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضی الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف للرأي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً : أي لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ولا بن جبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأخذ الكتاب وائس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتي الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعادوه وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومنه ومات غزيرة غير التي قبلها ولم يسته أحد ولم يلحقه أحد أثني على كتاب الاحياء بما أثني عليه ودعا الناس بقوله وفعله إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضي الله عنه : عليكم يا إخواني بتأبعة الكتاب والسنة أعنى الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية خصوصاً كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخر أواظها وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج

سوى الكتاب والسنة
وقد شرح ذلك كله
سيد الصنفين وبقية
المجاهدين حجة الإسلام
الغزالي في كتابه العظيم
الشان الملقب أعجوبة
الزمان إحياء علوم
الدين الذي هو عبارة
عن شرح الكتاب
والسنة والطريقة
ومن كلامه عليكم
بملزمة كتاب إحياء
علوم الدين فهو موضع
نظر الله وموضع رضا
الله فمن أحبه وطالعه
وعمل بما فيه فقد
استوجب محبة الله
ومحبة رسول الله ومحبة
ملائكة الله وأنبيائه
وأوليائه وجمع بين
الشريعة والطريقة
والحقيقة في الدنيا
والآخرة وصار عالماً
في الملك والملكوت .
ومن كلامه الوجيز
العزیز لو بعث الله الوحي
لما أوصوا الأحياء
إلا بما في الإحياء .
ومن كلامه اعلموا أن
مطالعة الأحياء تحضر
القلب العاقل في لحظة
كحضور سواد الجبر
بوقسوع الزاج في
العص والساء وتأثير

فما علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر . أما
الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب
فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا
شقت عن قلبي »^(١) للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتدراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه
غشاة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله
وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقبته وماله وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم »^(٢) جعل أثر
ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالموخر في السكالم والطب وكان خارجاً عنه . وأما الصلاة
فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى
آخرها مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما
أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الحشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف
القاضي كان يهب ماله لزوجه آخر الحول ويستوهم ماله إسقاطاً للزكاة فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه
الله فقال ذلك من فقهاء وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية
ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب : الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية
الشهادة والقضايا والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من
الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »^(٣) وقال صلى
الله عليه وسلم « الأثم حزاز القلوب »^(٤) . الثالثة ورع للثقةين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه
أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به
بأس »^(٥) وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المخطورات . الرابعة ورع
الصدقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا يفتي الأثم

(١) حديث هلا شقت عن قلبي مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع
ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث
الاثم حزاز القلوب البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدني في مسنده موقوفاً
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذي وحسنه
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابصت « استفت قلبك وإن أفنوك وإن أفنوك وإن أفنوك »^(١) والفقيه لا يتكلم في حازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فإذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة في النجوم والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فإن قلت لم سويت^(٢) بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه أحده من سالكى طريق الآخرة ألبتة لا للصحيح ولا للمريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للمرضى وهم الأقلون . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤها صفاء في المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فإن قلت فصل إلى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفصيله فاعلم أنه قسبان : علم مكاشفة وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيت من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني محملة غير متضحة فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبيا وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بمسكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ومعنى قوله تعالى - وإن الدار الآخرة لهي الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أفنوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل باقى كلامه فتأمل .

كتب الغزالي واضح
فذاهر مجرب عند كل
مؤمن ومن كلامه
أجمع العلماء العارفون
بالله على أنه لا شيء
أنفع لقلب وأقرب
إلى رضا الرب من
متابعة حجة الاسلام
الغزالي ومحبة كتبه
فإن كتب الإمام
الغزالي لباب الكتاب
والسنة ولباب العقول
والمقول والله وكيل على
ما أقول . ومن كلامه
أنا أشهد سرا وغلاية
أن من طالع كتاب
إحياء علوم الدين فهو
من المهتدين ، ومن
كلامه من أراد طريق
الله وطريق رسول الله
وطريق العارفين بالله
وطريق العلماء بالله
أهل الظاهر والباطن
فعليه بمطالعة كتب
الغزالي خصوصا إحياء
علوم الدين فهو البحر
المحيط . ومن كلامه
اشهدوا على أن من
وقع على كتاب الغزالي
فقد وقع على عين
الشريعة والطريقة
والحقيقة . ومن كلامه
من أراد طريق الله
ورسوله ورضاهما فعليه

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والتزول في جواره ومعنى حصول السعادة بعراقصة الملا الأعلى ومقارنة اللائكة والنبين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرر في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعدّه الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أمورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدّ معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكشوفة أن يرتفع العطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتصاحا يجرى مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا يمكن في جواهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدوها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الحجابات التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويخاذي به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهية الكون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاعتزاز بالله تعالى فلا تحقروا علما أتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه (١) ». وأما القسم الثاني : وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب . أما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكسب ثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما ينمّ تغوف الفقر وسخط المقدور والغلّ والحقد والحسد والعش وطلب العلوّ وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس واللباهة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والترين للخلق والمداينة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الدلّ وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السرّ والأمن من مكسر الله سبحانه في سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والحياسة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلقين والوحشة لفراقهم وإلفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة . وأضدادها وهي الأخلاق الحمودة منبع

(١) حديث إن من العلم كهية الكون الحديث أبو عبد الرحمن السلي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف .

الطاعات والقربات فالعلم محدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن العرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا يحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة إلى صلاح الآخرة ولو شئ فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سأله عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنفضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتجج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتم فيها إيلانها وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والظن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات فكيف من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتأثرون على علم الفقه لاسيما الخلافات والجديلات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخّص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بتلبس العلماء السوء فآله تعالى المستعان وإليه الملاذ في أن يعيدنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك بسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف السكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قيل له كيف تفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ^(١) » ولذلك قيل لعلماء الظاهر زينة الأرض والملوك وعلماء الباطن زينة السماء والملوك . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيخى يوماً إذا قت من عندي فمن تجالس قلت تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على التكمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . فان قلت فلم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنها فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بقول المقاتلات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلمة من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبتت جماعة لفقوا لها شبها وربّوا فيها

(١) حديث قيل له كيف تفعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه النور . ومن كلامه السر كله في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان . ومن كلامه بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ، وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين ، وقد كان مسيدى والدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله العيدروس رضي الله عنه يقول إن أمهل الزمان جمعت كلام الشيخ

كلما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لالعينهما كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكإيصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بمنط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتجرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقابوب العوام عن تخيلات المبتدعة وإنما حدث ذلك بمحدث البدع كاحداث حاجة الانسان إلى استئجار البذرقة في طريق الحج بمحدث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لوترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم الكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه وما ناعا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - فان قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تنقل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقديمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقديمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى

عبد الله في الغزالي ومميتة [الجوهر التلالي] خصوصا من كلام الشيخ عبد الله في الغزالي فلم يتيسر له وأرجو أن يوفقني الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء أن يتناولني دعاء الشيخ عبد الله رضى الله عنه فإنه قال غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي وناهيك ببشارة في هذه العبارة التي برزت من ولي عارف وقطب مكاشف لا يحازف في مقال ولا ينطق إلا عن حال وفي هذا من الشرف للغزالي وكتبه مالا يحتاج معه إلى مزيد - إن في ذلك لدكري لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد - فان العظيم لا يعظم في عينه إلا عظيم ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل وإذا تصدى العبدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف

ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره (١) كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر الكون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صناعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والساطنة ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صناعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صديقا بالدرّة لما أورد عليه سؤال في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسرّ الذى قر في قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولا رادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لامن حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه . وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لجرد الاشتهار كما قيل : خسد ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل على أناس نقل من مسيرة قهواء السلف ما تعلم به أن الدين انتحلوا مذاهم ظاهروهم وأنهم من أشد خصائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهده من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجربين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا قهواء مستغلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى

(١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذى الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا .

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبوبكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الأحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الافتداء بهم متحدا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا عالما بعلوم الآخرة وقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهي وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جماتها على خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الحاصل الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فتمروا لها وادعوا بها مشابهة لأئمة وهيات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحاصل الأربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكراييسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحو من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا كثرت فآية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأما جمع له الرجا والخوف معا فانظر كيف يدل اقتضاره على خمسين آية على تجرعه في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يشغل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويحلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت ف قيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي فانظر في مراقبته للسان مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الحنا كما تزدهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وإن السفه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أو عيتكم ولو ردت كلمة السفه لسعد رادها كما شقي بها قائلها . وقال الشافعي رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم ف ضرب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الخماحي مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا في الرقاق فغشى على الشافعي قليل له قد مات فقال إن مات
فقد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد الباقى قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نذاكر
العباد والزهاد فقال لى عمر مارأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه
خرجت أنا وهو والحرب بن ليلى إلى الصفا وكان الحرب تلميذا لصالح الرى فافتتح يقرأ وكان حسن
الصوت ققرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فرأيت الشافعي
رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر معشيا عليه فلما أفاق جعل يقول
أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك
رقاب المشتاقين إلهى هب لى جودك وجلالى بسترى واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى
وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بال عراق قمعدت على الشط أنوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى
يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت
فى وضوءى وجعلت أقفوا أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلنى مما علمك الله شيئا
فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت
عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غسدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد
استكمل الايمان من أمر بالمعروف واتمى عن المنكر واتمى وحافظ على حدود الله تعالى
ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا وصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع
الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ثم إلى وعظه كيف يدل
ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما غشى الله
من عباده العلماء - ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر
كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة
فيهما . وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه . روى أنه سئل عن
الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حبال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء
اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب
فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عاقبة تشكر وأى بلاء
تذكر فانك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة
الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه
علمه . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له محب ومبغض فاذا
كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا
ورعا وكان يسأل الشافعي رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال
للشافعي يوما ما أفضل الصبر أو الحنة أو التمسكين فقال الشافعي رحمه الله التمسكين درجة الأنبياء ولا يكون
التمسكين إلا بعد الحنة فاذا امتحن صبر وإذا صبر ممكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام
ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه
السلام ثم مكنته وآتاه ملكا والتمسكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف
فى الأرض - وأيوب عليه السلام بعد الحنة العظيمة مكنت قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -
الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبجهره فى أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين
إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون
الرجل عالما قال إذا تحقق فى علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاتته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل

وسر نفس مصنفه
وحسن قصده والمراد
بالكافر هنا فيما يظهر
الجاهل بعيوب النفس
المحجوب عن إدراك
الحق أى في مجرد
مطالعته للكتاب
الذكر يشرح الله
صدره وينور قلبه
وذلك لأن الوعظ إذا
صدر عن قلب متعظ
كان حريا أن يتعظ به
سامعه وكأن الله تعالى
جعل لعباده الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يحرزون رتبة فوق
غيرهم كذلك جعل
لما يبرز منهم ويؤخذ
عنهم بركة رائدة على
غيره لأن السنن كريمة
وأنوار قلوبهم عظيمة
وهمهم عليه وإشاراتهم
سنية حتى يكون للقرآن
أثر عظيم عند سماعه
منهم ولأحاديث بهجة
وجلالة زائدة إذا
أخذت عنهم وللمواعظ
منهم تأثير فى القلوب
ظاهر وعلومهم وفقهم
أنوار ونفع متظاهر
حتى تجد الرجل له العلم
القليل وبعد ذلك
ينتفع به كثير لحسن
نيتته ووجود بركته

لجاليوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعّة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الافراد قاتل فهذا وأمثاله بما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إليّ شيء منه فانظر كيف اطاع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كملت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا بألى أن يبين الله الحق على لسان أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الحاصلات الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرأءون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعوه وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوه كل هذا الدعاء فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كاشمئ للدين وكالعاية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد بيده بحجرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووقفه للسداد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب تقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم القدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فانه كان أيضا متجليا بهذه الحاصلات الخمس فانه قيل له مات قول يامالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزومه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمسك من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث قعيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال في الدين ليس بشيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إني شهدت مالكا وقد مثل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسبح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد من على من مالك . وروى أن أبا جعفر النصور منعه من رواية الحديث في طلاق للكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملاء من الناس ليس على مستكره طلاق فضره بالسياط ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقاً في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخوص قال مالك رحمه الله

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجده أمراً ظاهراً معهوداً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتنبية في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريية والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم في فونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضعاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب . قلت وما أنشده الشيخ على بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

ينبغي أن نخرج معنا فاني عزمته على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتي رحمة (١) » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفي خبثها كإني في الكير خبث الحديد (٣) » وهذه دنانيركم كلها إن شئتم نخذوها وإن شئتم فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطفتته إلى فلا أثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لا تنتشر علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبيانا منك الموطأ قال فقامت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فان أنتم عززتموه عز وإن أنتم أذلتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عنه ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحجي الليل كله . وروى أنه كان يحجي نصف الليل فمر يوما في طريق فأشار إليه إنسان وهو عشي فقال لا خرها هو الذي يحجي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحجي الليل كله وقال أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة قدمت بأبي حنيفة عليه فأراد أن يكون حاكما على بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخدا فبرها ففقر منها . وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضى أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت

(١) حديث اختلاف أمتي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة واسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنفي خبثها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

أخى انتبه والزم سلوك الطرائق وسارع إلى المولى بجد وسابق أيا طالبا شرح الكتاب وسنة وقانون قلب القلب بحر الرقائق وإيضاح منهج الحقيقة مشرق وشرب حياصفو راح الحقائق وإجلال أذكاء المعاني ضواحا بياهج حسن جاذب للخلائق عليك باحياء العلوم ولها وأسرارها كم قد حوى من دقائق وكم من لطيفات لدى اللب منهل وكم من مليحات سبب لب حاذق كتاب جليل لم يصنف قبله ولا بعده مثل له في الطرائق فكلم من بديع اللفظ يحلى عرائسا وكم من شمس في حماه شوارق معانيه أضحى كالبدور سواطعا

على درّ لفظ للمعاني
مطابق
وكم من عزيزات زهت
في قبائها
محجة عن غير كفء
مسابق
وكم من لطيف مع بديع
وتحفه
حلاوتها كالشهد تحلو
لدايق
بساتين عرفان وروض
لطائف
وجنة أنواع العلوم
الفوائق
رعى الله صبارا لعافى
جناتها
يروح وينسى بين
تلك الحقائق
ويقطف من ذاكي
جناها فواكها
بساحل بحر الجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فجزّ بن
وأقبل على تلك المعاني
وعانق
وراجع طرقا في بديع
جمالها
وطف حماها منشدا
كل سابق

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفتموني فخذ هذه البدره واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصلح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة الله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فاتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يعده العامة من العلوم المحموده وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم للمذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يندم لعينه وإنما يندم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يندم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حساسية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصده وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح لإللاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حرين إذ أسأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

عاد كالعرجون القديم - . والداني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ماسيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أحماني فأمسكوا ^(١) » . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر ^(٢) » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإما زجر عنه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية وعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهة ما وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فإن الضعيف يهصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خاق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المرید ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلقد كان ذلك معجزة لا تدريس عليه السلام فيما يحكي وقد اندرس وانمحي ذلك العلم وانمحي وما يتفق من إصابة النجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر خطأ ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمي النهار بالشمس وينذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتادا على ما ألفه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا ينفي وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران « قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميننا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي محجن بإسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

تري في بدور الحى
أقمار قد بدت
بعالى جمال مدهش
لب عاشق
فكم أنهارت صبا وكم
قشعت غمي
وكم قد سمعت في غربها
والشارق
فيضجى براح الحب
سكران مغرما
أصم عن العذال غير
موافق
وعسى ينادىها طريقا
يباها
منعم عيش في الربوع
الغواقد
صلاة على سر الوجود
شفيعا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل المسكرم
والعلا
وعترته وراث علم
الحقائق
[فصل] وأما ما أنكر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تكلم
في سندها فأما من
جهة تلك الواضع
فمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
المسمى (بالأجوبة)
وأسوق لك نبذة من

النوبة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائف فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليلها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والتكلمون إليها ولم يستقلوها بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كفف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع في ذلك مقنع للموفق فكف من شخص خاض في العلوم واستغنى بها ولولم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لاتلد فحس الطبيب نبضها . وقال لاحاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت للرأه الخوف العظيم وتنصص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لاتأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقاله لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لاتهزل إلا بخوف الموت غنوقها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبغي عليك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع ^(١) » فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بخائعا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضى الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجاج برأيك ومعه وذاك . ودليلك وبرهانك وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الخاذق على أسرار في المعالجات يستبعد ما من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سنتهم بمعقولات قمرلك فكف من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينبهه الطبيب الخاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انعشاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما أن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقاها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة تسبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإعسا كانت التجربة تتطرق إليها لورجع إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقررة إلى الله تعالى زلني وعن الأعمال المبدعة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكشفك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(۱) حدیث نعوذ باللہ من علم لا ینفع ابن عبد البر من حدیث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجہ بلفظ نعوذوا وقد تقدم.

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قاتل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أ كثر الشجر وليس كلها بثمر وما أ كثر الثمر وليس كلها بطيب وما أ كثر العلوم وليس كلها بنافع .

بيان ما يدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أَرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم . اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والنحويل إذ خصصوه بمعرفة النروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأ كثر اشتغالا بها يقال هو الأ فقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب وبذلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفرعات الطلاق والعناق والاعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من للتجريد له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يشكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عديم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكما فقهاء (٣) » للذين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم الله تعالى فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يهتد الناس من رحمته الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى مساواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدمع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقاشي وزيد

بما يرجع حاصلا إلى الحسد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفسح بذلك في الآخر حيث قال حججوا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاضرار ومحبة الدنيا واطهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة المذكورة قل فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمينه أخبارا وأثارا موضوعا أو ضعيفا واكثره من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه المتنوع لثلا يقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن الجيبين الحافظ العراقي أن أ كثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواء عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيما ذكره الضعيف بكثره فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي إسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكما فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أ كثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدمع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن .

وكتابه في الرقائق فهو
من قبيلها ولأن له
أسوة بأمة الأئمة الحفاظ
في اشتغال كتبهم على
الضعيف بكثرة المنبه على
ضعفه تارة والمسكوت
عنه أخرى وهذه
كتب الفقه للمقدمين
وهي كتب الأحكام
لا الفضائل يوردون
فيها الأحاديث الضعيفة
سأكتين عليها حتى
جاء النووي رحمه الله
في التأخرين ونبه
على ضعف الحديث
وخلافه كما أشار إلى
ذلك كله العراقي قال
عبد الغافر الفارسي
سبط القشيري ظهرت
تصانيف الغزالي وفشت
ولم يبد في أيامه مناقض
لما كان فيه ولا مآثره
إلى آخر ما ذكره وبما
يدل على جلاله كتب
الغزالي ما نقل ابن
السمعاني من رؤيا
بعضهم فيما يرى النائم
كأن الشمس طلعت
من مغربها مع تعبير
ثقات للعبرين بيده
تحدث فحدث في
جميع المغرب بدعة
الأمر باحراق كتبه
ومن أنه لما دخلت

النبي وقال لم تكن مجالس الله كمثل مجالسكم هذه يقيم أحدكم وعظه على أصغابه ويسرد الحديث
سردا إنما كنا نصدقك الإيمان وتدين القرآن وتنشئه في الدين ونسند نعم الله علينا تفقهافسمى تدبر
القرآن وعد النعم تفقهها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه البدي كل الفقه حتى يمت الناس في ذات الله وحتى
يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي البرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على
نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سألت فرقا السبخي الحسني عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك
فقال الحسن رحمه الله شككتك أمك فريد وهل رأيت فقها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الآخرة البصير بدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض السامعين العفيف عن
أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحفاظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن
متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستبصار فكان
إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بعش الناس على التجرد له والأعراض
عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير
والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالس تحسين ذلك في القلوب
بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم
بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد
مات تسعة أعشار العلم فرفه بالآلف واللام ثم فسر العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص
حتى شهوره في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على
الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة
أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله
تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم
جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره
وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن
عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشديق
فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد
وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في
العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتغل عليه
القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما لكل
وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن
فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائل
فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في
كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت
إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أن طلب لك طبيب فقال الطبيب
أمرني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني فعال لما أريد

(١) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يموت الناس في ذات الله الحديث ابن عسجد البر من حديث
شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسأني في كتاب التبركل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نقيس وله قسرين أحدهما
أبعد عن الأب من الآخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصناعة الحراسة للقشر وأهلوا الأب بالكاية
فالقشر الأول هو أن نقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيداً مذاقنا للتثليث الذي صرح به
النصاري ولكنه قد يصدر من المناق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب
مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو
توحيد عوام الخلق والتكاملون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المتدعة . والثالث وهو
الأب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفرد بها
فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله
تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله
تعالى هو الهوى ^(١) » وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ
نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الليل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى
ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق واللائفات إليهم فان من يرى السكل من الله عز وجل
كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا
حول وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصماً في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس
عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وهو أول كذب يفتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه
متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص فانه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى السكبة وما
صرفه إلا عن سائر الجهات والسكبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها
متوجهاً إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به
فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع
الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالسكبة إليها فمتى وجهه وجهه للذي فطر السموات
والأرض وهذه السكبة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه
إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان
فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى الترجمة عنه هو القلب
وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى
تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا
مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر ^(٢) » وفي الحديث « إن لله
تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضاً
ألا هللوأ إلى بغيثكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم ^(٣) »
فنقل ذلك إلى ما تری أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار
والشطط والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد
ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه
(٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث
أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم سيارة.

مصنفاته إلى المغرب
أمر ساططه على بن
يوسف باحراقها لتوهمه
اشتملها على الفلسفة
وتوسد بالقتل من
وحدث عنده بعد
ذلك فظفر بسبب أمره
في مملكته مناكير
ووثب عليه الجند ولم
يزل من وقت الأمر
والتوعد في عكس
ونكد بعد أن كان
عادلاً .

[خاتمة في الإشارة إلى
ترجمة المصنف رضى
الله عنه وعنا به
وتعنا بعالمه وأساره
وسبب رجوعه إلى
طريقة الصوفية رضى
الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله
عنه فهو الإمام زين
الدين حجة الاسلام
أبو حامد محمد بن محمد
ابن محمد الغزالي الطوسي
النيسابوري الفقيه
الصوفي الشافعي
الأشعري الذي انتشر
فنهله في الآفاق وفاق
ورزق الحظ الأوفر
في حسن التصانيف
وجودتها والنصيب
الأكبر في جزالة
العبارة وسهولتها

وحسن الإشارة وكشف
العضلات والتجريح في
أصناف العلوم فروعها
وأصولها ورسوم
القدم في منقولها
ومعقولها والتحكم
والاستيلاء على إجمالها
وتفصيلها مع ما خصه
الله به من الصرامة
وحسن السيرة
والاستقامة والزهد
والعزوف عن زهرة
الدنيا والاعراض عن
الجهات الفانية
وطراح الحشمة
والتكلف قال الحافظ
العلامة ابن عساكر
والشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أسعد
اليافعي والفقير جمال
الدين عبد الرحيم
الأسنوي رحمهم الله
تعالى ولله الامام الغزالي
بطوس سنة خمسين
وأربع مائة وأبدأ بها
في صباه بطرف من
الفقه ثم قدم نيسابور
ولازم دروس إمام
الحرمين وجد واجتهد
حتى تخرج في مدة
قريبة وصاروا نظر أهل
زمانه وأوحد أقرانه
وجلس للأقراء وإرشاد
الطلبة في أيام إمامه

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهم، حتى ظهرت التفتة وظاهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتاك وقال أحمد أكثر الناس كذبا بالقصاص والسؤال ، وأخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج به إذ كانت ينكأ في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبية على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصر العبد في شكره ويعترف حقارة الدنيا وعبوبها وتصرفها ونكت عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روى الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس الله وقد اتخذ المذخر فون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصاص التي تنطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع مسمعه ومنها ما يضر وإن كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضر فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أخرج الناس إلى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمر دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال توشى إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متدركة بحسنات تعطى عليها فان العاصي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكأننا بصدد المعاصي فلا غرو وإن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقدمه يسجع هذا الذي يبعثك إلى لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر
باسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في
الباب الأول .

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة (١) » فكان السجع المحذور المنكاف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين « كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الأعراب (٢) » وأما الأشعار فكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علمناه الشعر وما ينبغي له - وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استنهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة (٣) » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم قليل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص . وأما الشطح فنحن به صنفين من الكلام أحدهما بعض الصوفية . أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المعنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالحطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحانه سبحاني وسبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل القلاحة فلاحهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز الأغنياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه ققتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر راتقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

وصنف وكان الامام يتجسس به ويعتد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعاو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محطاً لرحال العلماء ومتصد الأئمة والفضلاء ووقع للامام الغزالي فيها اتفاقات حسنة من مناظرة المححول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد للقيام بتدريس للدرسة النظامية فسار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان وارتفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة مشغولاً بأسباب التقوى وأخذ في التصنيف الشهيرة التي لم يسبق

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولا أحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بأسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا بن حبان واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المغيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إجابة علوم
الدين وغيره التي من
تأملها عرف عمل
مصنفها من العلم قيل
إن تصانيفه وزعت
على أيام عمره فأصاب
كل يوم كراس ثم
صار إلى القدس مقبلا
على مجاهدة النفس
وتبديل الأخلاق
وتحسين السمائل حتى
مرن على ذلك ثم عاد
إلى وطنه طوس لازما
بيته مقبلا على العبادة
ونصح العباد وإرشادهم
ودعائهم إلى الله تعالى
والاستعداد للدار
الآخرة مرشد الضالين
وفيد الطالبين دون
أن يرجع إلى ما خلج
عنه من الجاه واللباهة
وكان معظم تدريسه
في التفسير والحديث
والتصوف حتى انتقل
إلى رحمة الله تعالى يوم
الاثنين الرابع عشر
من جمادى الأولى سنة
خمس وخمسة مائة
الله تعالى بأنواع
الكرامة في أخراة كما
خصه بها في دنياه قيل
وكانت مدة القطبية
للغزالي ثلاثة أيام على
ما حكى في كرامات

خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع عنه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون
مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على فهمه لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه
طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا البذر من السكلام إلا أنه يشوش القلوب
ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل
واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه
إلا كان فتنة عليهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون
أتريدون أن يكذب الله ورسوله (٢) » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يلائمه عقل المستمع فكيف فيما
لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة
عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء
وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن للحكمة حقاً وإن لها
أهلاً فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو
صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب
الباطنية في التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
بغير اعتصام فيه بفعل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك
بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق
منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا يضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى
وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى
الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها
وتزليلها على رأيهم كما حكينا من مذاهبهم في كتاب المستظهرى الصنف في الرد على الباطنية ومثال
تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى
قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل
ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فيدعى أن يلقه وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا
فإن في السحور بركة (٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى
آخره عن ظاهره وعن تفسيره للنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها
قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة
موسى له كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم
يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله
عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا (٤) » واهلوا إلى الغداء المبارك (٥) » فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم العقبى في الضعفاء وابن السني
وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن
مسعود (٢) حديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفاً على علي
ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم (٣) حديث تسحروا فإن في
السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور رواه البخارى من
حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغداء المبارك
أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وضعفه ابن القطان .

بالنوازل والحس بطلانها نقلاً وبمنها يعلم بنال الظن وذلك في أسور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإيهاد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ^(١) » معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتزييه عليه دلالة لفظية لغوية أو عقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسبوغ من النبي صلى الله عليه وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن التفسير وللول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه « اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل ^(٢) » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخلق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المعلوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ^(٣) » بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطللة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم الحمودة إلى اللذوممة فكل ذلك من تلبس علماء السوء بتبديل الأسماء فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرفت في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكماً فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمذنب في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمذنب حتى على الذي يدرج القرعة على أرف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي أنشأ الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها ^(٤) » فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاعتراض بتلبسات علماء السوء فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى ابتزاز الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبي وقال اللهم اغفر حقى كرروا عليه فقال هم علماء السوء ^(٥) » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأُس (٤) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق أبي وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

الشيخ السيد العمودي
تسبح الله به وذكر
الشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أحمد
الباقعي رحمه الله تعالى
باسناده الثابت إلى
الشيخ الكبير القطب
الرباني شهاب الدين
أحمد الصياد اليماني
الزبيدي وكان معاصراً
لغزالي فع الله بهما قال
بينما أنا ذات يوم قاعد
إذ نظرت إلى أبواب
السما مفتحة وإذا
عصبة من الملائكة
الكرام قد نزلوا معهم
خلع خضر ومركوب
نقيس فوق قوا على قبر
من القبور وأخرجوا
صاحبه وألبسوه الخلع
وأركبوه وصعدوا به
من سما إلى سما إلى
أن جاوز السموات
السبع وخرق بعدها
ستين حجاباً ولا أعلم
أين بلغ انتهاؤه فسألت
عنه فقيل لي هذا الإمام
الغزالي وكان ذلك
عقيب موته رحمه
الله تعالى ورأى في
النوم السيد الجليل
أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم وقد

بإني موسى وعيسى
عليهما السلام والسلام
بالامام الغزالي وقال
أني أمتكنا حبر كهذا
قالا لا وكان الشيخ
أبو الحسن رضى الله
عنه يقول لأصحابه
من كانت له منكم إلى
الله حاجة فليتوسل
بالغزالي وقال جماعة
من العلماء رضى الله
عنهم منهم الشيخ
الامام الحافظ ابن
عساكر في الحديث
الوارد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في أن
الله تعالى يحدث لهذه
الأمّة من يجدد لها دينها
على رأس كل مائة سنة
أنه كان على رأس
المائة الأولى عمر بن
عبد العزيز رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الثانية الامام الشافعي
رضى الله عنه وعلى
رأس المائة الثالثة
الامام أبو الحسن
الأشعري رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الرابعة أبو بكر
الباقلاني رضى الله عنه
وعلى رأس المائة
الخامسة أبو حامد
الغزالي رضى الله عنه

وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بجبل الغرور وتتشبه بالخائف ، فكل
ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ، قليل ومن
الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسدته الناس من سنن الله الذين يحبون ما أماتوه من سنن الله (١) »
وفي خبر آخر « هم للتمسكون بما أتم عليه اليوم (٢) » وفي حديث آخر « الغرباء ناس قليل يصلحون
بين ناس كثير من يفضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث
يقت ذاكها ، ولذلك قال الثوري رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلص لأن
إن نطق بالحق أبغضوه .

(بيان القدر المحمود من العلوم المحموده)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره
وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم محمود منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء
فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله
وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو
بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم
منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات
والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يمسك الإنسان إليه وإضاعة النفيس
مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرف الدنيا فإن ذلك لا يعتد به
بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى
وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته
وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر
الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحه وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه
إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير
الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطرفى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة
أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا في أول الأمر ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة
وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى
طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لمفتاحها
سواها . وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروع الكفايات
فإن في كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له
إلى آخر العمر فكأن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك
أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم
الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة
والطهارة والصوم وإعسا الأمم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم فلا يفتك
(١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة محتصرا وهو بتأمله عند الترمذي
من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم للتمسكون بما أتم عليه اليوم يقول في وصف الغرباء
لم أر له أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون يصلحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإمالمها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون بإخراج المادة بالقصد والاسمهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابها وقلع مغارسها من القلب وإعما فزع الأكرثون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصحاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتصب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت صريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم ينجر بك ذلك إلى القامات المحمودة المذكورة في ربيع النجيات لا محالة فإن القلب إذا فرغ من الذنوم امتلأ بالمحمود والأرض إذا بقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فإن مهلك نفسه فيما به صلاح غيره فها أشد حماقة من دخلت الأفاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره عن لا يقنيه ولا ينجيها مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهرها وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والنسخ والفصول والوصول والحكم والتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فامن علم الأوله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليهما في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالأقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالأقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحمله تحصيلًا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالأقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

وروى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الأولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ومناقبه رضى الله عنه أكثر من أن نحصر وفيما أوردناه مقنع وبلاغ ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخالصة فى الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملها وله فى أصول الفقه المستصفى والنخول والمنتحل فى علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار وللقند من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب منهاج العابدین والدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس فى الوحدة وكتاب القرية إلى الله عز وجل

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاه من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب المقصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطاس المستقيم
وكتاب التفرقة بين
الاسلام والزندقه
وكتاب الذريعة إلى
مكارم الشريعة وكتاب
المبادئ والغايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبس إبليس وكتاب
نصيحة الملوك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب
إلجام العوام عن علم
الكلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
المدنية وكتاب الرسالة
القدسية وكتاب
إثبات النظر وكتاب
المأخذ وكتاب القول
الجميل في الرد على من
غير الانجيل وكتاب
المستظهرى وكتاب
الأمالى وكتاب في علم
أعداد الودق وحدوده

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصاد منه بمعتقد مختصر
وهو القدر الذى أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يباين قدر
مائة ورقة وهو الذى أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما
المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع منه الكلام فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العامى إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب
للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرمخ العقائد في النفوس وهو من
آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستحقار
فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصره الباطل ويقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولوجاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخوة لافى معرض
التعصب والتحقير لأتبعوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل
التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن
المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التى أحدثت في
هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يهد مثلاً في السلف
فياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى
طلب المناقصة والمباهاة على ما سيأتى تفصيل غوائلها وآفاتهما وهذا الكلام ربما يسمع من قائله
فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصديفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فمجره
واشتغل بنفسه فلا يعرف قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فان
علل للذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لدوق الفقه فان الذى
يشهد له حدس للمفتى إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لدوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد يتقضى عليه العمر ولا
تنصرف همته إلى علم المذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر
نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما
يعينك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام
فقال له ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها ، وقال
طاحت كلها هباء مشورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى في جوف الليل وفي الحديث « ماضل
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل^(١) » ثم قرأ - ماضر بوهلك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون -
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين عناهم
(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذى وابن ماجه من حديث أبى
أمامة قال الترمذى حسن صحيح .

الله بقوله تعالى فاحذروا (١) « وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يطلق عليهم باب العمل وينسج لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار « إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل (٢) « وفي الخبر المشهور « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الحصم (٣) « وفي الخبر « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل (٤) « والله أعلم .

(الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل

آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاهها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامهم وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فنفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهدهم كما تشل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمع علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلوات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والنسج لم يخل من ذلك الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالأقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كازعم من قبلهم أن غرضهم بالاستغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسلمين إشفافا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه ويان الأولى من مذهب الشافعي وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفون العلم واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عني الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الحصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلا .

وكتاب مقصد الخلاف وجزء في الرد على المنكرين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكأها نافسة . وقال يتحد تلميذه الشيخ الإمام أبو العباس الأقبلي الحديث الصوفي صاحب كتاب النجم والكواكب : أيا حامد أنت الخصص بالجد

وأنت الذي علمتنا سنن الرشيد وضعت لنا الإحياء تحيي نفوسنا وتنقذنا من طاعة النازع الردي فربع عبادات وعاداته التي يعاقبها كالدر نظم في العقد وثالثها في المهلكات وأنه

لنسج من الهلك المبرح والبعد ورابعها في المنجيات وأنه

ليسرح بالأرواح في جنة الخلد ومنها إبتهاج للجوارح ظاهرا ومنها صلاح للقلوب من الحقد

ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وطم مستمعون عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذي يحدث
الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ولومات
نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لملوا أيضا معهم
ولم يسكتوا عن التملل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .
(بيان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)
اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات الباحثة عن الحق ليتضح
فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجند والاخوة وحد شرب الخمر وجوب الغرم على
الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل من مسائل
الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء
رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل : وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ
من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو
ككذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجهما يقول غرضي أسرعورة
من يسلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن
توجه عليه رد ودبعة في الحال قمام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني
أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال
من يرى جماعة من العتاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم
الماء فاشتغل بتعلم الحجة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل
له في البلد جماعة من الحجاجين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية
فقال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملهمة بجماعة العتاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة
وفي البلد فروض كفايات مهمل لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخالو بل من جملة الفروض
المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحريز ملبوسا ومفروشا وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه
السلام إذا ظهرت المداينة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صفاركم والفقهاء في أراذلكم (١) »
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه
باسناد حسن

من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضى الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو - حكيم كل أهل البصر وإنما يفتى فيما يسأل عنه ناظلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجر له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكك عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبه جوابا عن هذا فأتى مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون اختلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا فى مسئلة واقعة أو قرينة الوقوع غالبا فان الصحابة رضى الله عنهم ماتشاوروا إلا فيما تجد من الوقائع أو ما يغلّب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلبوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرّك ليق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام . والقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويباغى الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة فى الخلوّة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكراب والسلطين فان الخلوّة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام . السادس أن يكون فى طلب الحق كناشدا ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يدمن يعاونه ويرى رفيقه معينا لاختصا ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنهى صاحبه على ضالته فى طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونهته على الحق وهو فى خطيته على ملام من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألونى عن شئ وهذا الخبر بين أظهركم وذلك لماسئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعلمه لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل قفيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجادته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق . السابع أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل للبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمى ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت ترى

الله فأتدبرت لأجابتك إلى طلبتك بهد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوقفا منه وملتجئا إليه اعدوا أحسن الله ارشادكم ولأن إلى قبول الحق اتقادكم أن اختلاف الخلق فى الأديان والمثل ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بجر عميق ففرق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى كلّ حزب بما لديهم فرحون ولم أزل فى عنفوان شبابه مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الخمسين أفتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحدور وأتوغل فى كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة
لأميز بين كل محق
ومبطل ومستن
ومبتدع لأغادر باطنيا
إلا وأحب أن أطلع
على باطنيته ولا ظاهريا
إلا وأريد أن أعلم
حاصل ظاهريته ولا
فلسفيا إلا وأقصد
الوقوف على فلسفته
ولا متكلميا إلا وأجهد
في الاطلاع على غاية
كلامه ومجادلته ولا
صوفيا إلا وأحرص
على العثور على سر
صوفيته ولا متعبدا
إلا وأريد ما يرجع
إليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا إلا
وأجسس وراءه للتنبيه
لأسباب جرائمه في
تعطيله وزندقته وقد
كان التعطش إلى إدراك
حقائق الأمور دأبي
وديدني من أول
أمرى وريعان عمرى
غريزة من الله وفطرة
وضعها الله في جيلتي
لاباختياري وحيلتي
حتى انحلت عني رابطة
التقليد وانكسرت
عنى العقائد المروية
على قرب عهد منى
بالصبا إذ رأيت صبيان

ترى أن جميع المجالس تنقضى في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظهرها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل مسأل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصير المعارض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرقها ولا أذكرها إذ لا يلزمى ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعارض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمى كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمضى قوله لا يلزمى أى في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمى وإلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحدهم الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يجترزون من مناظرة الفحول والأكابرخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويح الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله . واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شتم الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس وقصد للباهة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق الذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه واللباهة دعاه ذلك إلى إضمار الحباثت كلها في النفس وهييج فيه جميع الأخلاق الذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فنادام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد باسناد حسن .

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال العلم عنه وانصراف الفلج والوجه عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو في المذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتنايرون كما تتناير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظيمة إزارى والكبرياء رداى فمن نازعني فيهما قصمته »^(٢) ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضائق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بأنه ينبغي صيانة عز العلم « وأن المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه »^(٣) فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بحقود »^(٤) وورد في ذم الحقد مالا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وترتيبه في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشع منه إلى الظاهر لاحالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إيراد وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة بمبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لاحالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض من كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تركية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا التفتن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويح كلامه ومعلوم أن الصلف والتدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء رداى والعظيمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بحقود لم أقف له على أصل .

النسارى لا يكون لهم شيء إلا على التنصر وصبيان اليهود لا يكون لهم شيء إلا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم شيء إلا على الإسلام وصيحت الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتحرك باط إلى طاب الفطرة لأصايرة وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين والتميز بين هذه التقاليد وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت في نفسى أولا إنما مطلوب العلم بمحقائق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه العلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ولا يتسع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا للنقص مقارنا لتوحدى

وتجيلة إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه نعتسهه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبججا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر الناظرين المحدثين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لأخيه السلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب المباحة بظاهر الفضل يسره لاحالة مايسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائسها واصفرونها فهكذا ترى الناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سباعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباحة هيئات هيئات وناهيك بالشر إذا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويترك عن أخلاق المؤمنين والمؤمنين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالأسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالأسن وتباغضوا بالقلوب وتفاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم (١) » رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرس على المماراة فيه حتى إن أبض شيء إلى الناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها ببعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ريبض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من اقترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر كسيأتي في كتاب الرياء والناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتساكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب والسلم والطمع وتمزيق الثياب والأخذ باللعن وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

بأظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكواً وإمكاناً فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فقتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلة عن علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات إلا من الجليات وهى الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولاً لأنبئين أن يقيني بالحسوسات وأمانى من

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالأسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى حسن .

ليسموا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الحصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الحصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتمظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والحياء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الحشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ماصلي وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع أنها لاتنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن حمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمستغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمستغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحية حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجامنه رؤسا برأس وهيئات هيئات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الملوك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الإصافة في الأموال لم يطعم في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفضح الأحوال . فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لندرس العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير منيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير مارغب الصبيان في الكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ^(٢) » فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضر قصده الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاخ غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامهالك نفسه وغيره وهم المصححون بطلب الدنيا والقبولون عليها وإمامهك نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامهالك نفسه مسعده غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع المهلكات ما ينفي عنك الريية فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي من حديث أنس باسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغلط في الضروريات
من جنس أمانى الذى
كان من قبل فى
التقليدات أو من جنس
أمان أكثر الخلق فى
النظريات وهو أمان
محقق لا تجوز فيه ولا
غائلة له فأقبلت بجذيل
أتمل فى المحسوسات
والضروريات أنظر
هل يمكننى أشكك
نفسى فيها فأتى بعد
طول التشكك بى إلى
أنه لم تسمح نفسى
بتسليم الأمان فى
المحسوسات وأخذت تسع
الشك فيها ثم إنى
ابتدأت بعلم الكلام
فحصلته وعلقت
وطالعت كتب المحققين
منهم وصنفت ما أردت
أن أصنفه فصادفته علما
وافيا بقصوده غير
واف بمقصودى ولم
أزل أتفكر فيه مدة
وأنا بعد على مقام
الاختيار أصمم عزمى
على الخروج عن بغداد
ومقارعة تلك الأحوال
يوما وأحل العزم يوما
وأقدم فيه رجلا وأؤخر
فيه أخرى ولا تصدق
لى رغبة فى طلب الآخرة
إلا حمل عليها جسد

(الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم)

أما للتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن ننظم تفاريقها عشر جملة :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاته السرّ وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة ^(١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما المشركون نجس - تنبيهها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحسّ فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يحتجب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبئها في الحال مهلكات في المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ^(٢) » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابجة فأني تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاه الملائكة أو تكون بها وهم القدوس المطهرون البرؤون من الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يعيرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيهه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محدودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعة ونجاسة إلى الروح الكلية وهي السبعية . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشهوة إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبية على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني لذلك يحشم كل شخص على صورته المعنوية « فيحشم الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشهوة إلى أموالم ذنبا عاديا والتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد ^(٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهده الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار . فان قلت كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهيات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

(الباب الخامس)

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان
- (٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشم الممزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها
عشية فصارت شهوات
الدنيا تجاذبني بسبب
ميلها إلى المقام ومنادى
الإيمان ينادى الرحيل
الرحيل فلم يبق من
العمر إلا القليل وبين
يديك السفر الطويل
وجميع ما أنت فيه من
العمل رياء وتخييل
وإن لم تستعد الآن
للآخرة فمق تقطع
وإن لم تقطع الآن هذه
العلائق فمق تقطعها
فغنى ذلك تنبت
الرغبة وينجزم الأمر
على الهرب والفرار ثم
يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة إياك
أن تطاوعها فانها
سريعة الزوال وإن
أذعنت لها وتركت هذا
الجاه الطويل العريض
والشأن العظيم الخالي
عن التكدير والتنغيص
والأمر السالم الخالي
عن منازعة الخصوم
ربما التفتت إليك نفسك
ولا تيسر لك المعاوذة
فلم أزل أتردد بين
التجاذب بين شهوات
الدنيا والدواعي قريبا
من ستة أشهر أولها
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي مسمومة قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلاً إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحشية لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه . فان قلت إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في القروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العالاق شاغلة وصارفة - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر والفكرة للتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق مأوه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدعن لنصيحته إذ عاتب المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت على جنازة قهرت إليه بعلمه ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد ابن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمنين التملق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستسكف عن الاستفادة إلا من الرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يقترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يفتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنقل من ساقها إليه كائن من كان فلذلك قيل :

العلم حرب للفتن للتعالي كالسيل حرب للسكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول اللذة فليكن التعلم لمعلمه كأرض دمنة نالت مطراً غزيراً فتشربت بجميع أجزائها وأذغنت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه

- (١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني والحاكم والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا هكذا فعل قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم
- (٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين المللق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة باسنادين ضعيفين .

وثمانين وأربعائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطراب إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً للقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة حتى أورت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنسأغ لي شربة ولا تهضم لي لقمة وتعدي ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طعمهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يتروّح السرّ عن الهم اللهم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن المال

والجاءوا أهل والأولاد
وأظهرت غرض
الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي سفر
الاشام حذرا من أن
يطلع الخليفة وجملة
الأصحاب على غرضي
في المقام بالشام فتلطفت
باطائف الحيل في
الخروج من بغداد على
عزم أن لأعودها أبدا
واستهزأ بي أئمة العراق
كافة إذ لم يكن فيه
من يحوز أن يكون
الاعراض عما كنت
فيه سببا دينيا إذ ظنوا
أن ذلك هو النصب
الأعلى في الدين فكان
ذلك هو مبلغهم من
العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات فظن
من بعد عن العراق
أن ذلك كان الاستشعار
من جهة الولاة وأما
من قرب منهم فكان
يشاهد لجأهم في
التعلق بالانكار
على وإعراضهم عنهم
وعن الالتفات إلى قولهم
فيقولون هذا أمر
سماوي ليس له سبب
إلا عين أصابت أهل
الاسلام وزمرة العلم
فزارت بغداد وفارقت

في نفسه إذ التجربة تطاع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعا فكم من مريض محرور
يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من
لاخبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر - إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال - فإن اتبعتني فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم يصبر ولم يزل في مرادوته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار العلم فاحكم عليه بالاخفاق والحسران . فان قلت
فقد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال مأمور به . فاعلم أنه كذلك ولكن
فيما يذن العلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى
عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف
وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا يتكبر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلج عليه إذا
كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشى له سرا ولا تقتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل
قبلت معذرتة وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وإن كانت له
حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحتز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله
ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يقتنأ أولا الطريق الحميدة الواحدة
الرضية عند أستاذة ثم بعد ذلك يصنع إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذة مستقلا باختيار رأى
واحد وإنما عاداته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهي منع
الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ونذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوى
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار ضيقا ومي
رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية تراد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض
فيتراءى للناظرين أنها بطلاة وكسل وإهمال وهيئات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي
اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم
من الكوز فإجاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر يقوته يحيل النجاسة ماء فتقلب
عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ولمثل هذا جواز
للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يحور لغيره حتى أيسح له تسع نسوة^(١) إذ كان له من القوة ما يتعدى
منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينين من الضرار
إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة
الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمود ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أبيسح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع الحديث .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفسكك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذافم مر مريض يحسد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظه كحفظ الرابات والغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جماعته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمي العاملة والكاشفة فغاية العاملة الكاشفة وغاية الكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثته أو تلقفاً ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الجاثث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كما شهد له سيد البشر ﷺ فما عندي أن ما يعتقده العامي ويرتبه للتكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صفة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسرا الذي قر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدري ما يسمعه على وقفه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتد في هذا فعنده ضعفت رأس المال فكأن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات الشرفية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي بدا أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظماً حتى إذا عرفته رويت بلاشرب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته - أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتجرأ الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو أحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبه في كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهده من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق وآخر والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لوزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر باسناد صحيح .

ما كان معنى من مالى ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ولم أر في العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقيمت فيه قريبا من سنتين لاشغل لى إلا العزلة والحسوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتركية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أضعده منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ثم تحرك بي داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل
إلى هذه العلوم فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم
في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحفارة إلى
سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقةين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في
المقدمات والتميمات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلوها في الثناء على علم الآخرة
تمهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالغور والمراطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبية واستحقاقنا
للتصايف عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم للصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى
بالعلم أى علم كان نفعه وورفعه لا محالة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفع
القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمل ولا يهتمك إلا شأنا في الدنيا والآخرة إذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى
العيان فالأهم ما يبقى أبداً بالآباد وعند ذلك تصير الدنيا بمنزلة البدن مركبا والأعمال سعيها إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون والعلوم بالإضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم
العوام والتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عنته وتمكنه من
الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج
والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد
والراحلة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحج ركناً بعد ركن ثم بعد الفراغ والتزوع عن هيئته الاحرام وطواف الوداع استحقاق التعرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتداء بأركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام
قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآثرت
العزلة حرصا على
الخلوة وتصفية القلب
لذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات الأعيان
وضرورات المعيشة تغير
في وجه المراد وتشوش
صفوة الخلوة وكان
لا يصفو لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكني
مع ذلك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
العوائق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الحوادث أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها
والقدر الذي ينبغي أن
نذكره لينتفع به
أني علمت يقينا أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السير وطريقهم أصوب
الطرق وأخلاقهم أزكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء ليغيروا شيئا
من سيرتهم وأخلاقهم

تلك العقبات الشائعة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن الباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم الكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون النعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل - فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين - وكل من لم توجه إلى المقصد ولم يتنزه له أو اتهمز إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعنى أنهم أدر كونه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد حقيقة وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والایمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم الكاشفة وعلم الكاشفة وراء علم العاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات للنمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والطعم والسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزیزة الباطنة . فان قلت لم يشبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطفية من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس الطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه اللطيفة الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم الكاشفة وهو مضمون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودرّ عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى - ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبتبه أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحازنة للواء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح اللطيفة ولا يخفى أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعى وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع

ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى وهو أقواها بالاضافة إلى ماتحت الاختيار انتهى قال العراقي فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت إليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتافت إلى الأخرى فاطرحها وسعى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفسا تواقا لما نالت الدنيا تاقمت إلى الآخرة قال بعض العلماء رأيت

الغزالي رضى الله عنه
في البرية وعليه مرقعة
ويده عكاز وركوة
فقلت له يا إمام أليس
التدريس يغداد
أفضل من هذا فنظر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شمس
الوصل :

تركت هوى ليلي
وسعدى بمنزل
وعدت إلى مصحوب
أول منزل

ونادى الأشواق مهلا
فهذه
منازل من تهوى
رويدك فأنزل
انتهى كتاب تعريف
الأحياء بفضائل الإحياء
بحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء
في إشكالات الإحياء]
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على ما خص
وعمم وصلى الله على
سيد جميع الأنبياء
البعوث إلى العرب
والعجم وعلى آله وعترة
وسلم كثيرا وكرم
سألت يسرك الله
لبراتب العلم تصعد
مراقبها وقرب لك
مقامات الولاية تحل

والخبز والطبخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى الخاطلة والاستعانة
ومهما اختلط الناس وثار شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاق من داخل ، وبالطبع
يحفظ الاعتدال في الأخلاق للتنازع من داخل ، وبالسبب تضاد الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاق طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات
والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعافها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها
تستحكم الخيوط التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
الموصل إلى علم الكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا
واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مبانة
الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم .

(بيان وظائف المرشد العلم)

اعلم أن الإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون به سخيّا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كما يقتضى المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يعنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضئية في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالقدر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشجذ غيره ولا يقطع والإبرة
التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كإقيل :

ما هو إلا ذبالة وقد تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آداب ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على التلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده ^(١) » بأن يقصد إيقادهم من نار الآخرة وهو أهم من إيقاد الوالدين ولدها من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم
سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساقت ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد
للحياة الآخورية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتجابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

في سعادات الدنيا فاندك لايفك عن ضيق التزاحم والمادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبه للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كاللدى يترك الأرض لترزع فيها لنفسك زراعة فمنفتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلد منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا التعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويقوم لأسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والخدوم هو العالم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل الخدوم خادمه والخادم مخدوما وذلك هو الاتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع الجرمين ناكس رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرها فانهم يبدلون المال والجاء ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولتركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع العلم من التعلم أن يقوم له في كل ناحية وينصر وليه ويعادى عدوه ويتعص جهارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخس به علم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتبارات . الوظيفة الثالثة : أن لا يدع من نصح التعلم شيئا وذلك بأن يمنع من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والباهاة والمنافسة ويقدم تقييد ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الحصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإنا ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمر له طمعا في الوعظ والاستبعا ولكن قديتبه في أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحرقة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويمجى حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالى الفخ ليقننص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل وخلق أيضا الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المخضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريغ الغريبة فلا يزيد التجرد لهما مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتغايا في الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله حزينا قليل له مالك فقال صرنا متجرا الأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرا منا . الوظيفة الرابعة : وهي من دقائق

معاليها عن بعض ما وقع في الأملاء للقلب بالإحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحفظ للملكية قدحهم وسهمهم وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الأنعام وأجاء العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأفقوا بتجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومناذته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ونبدوا قراءته ومطالعه بزيغ في الشريعة واختلال في الله انصرفهم ومآبهم وعليه في العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسئلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين

يستنبطونه منهم
ولكن الظالمون في
شقاق بعيد ولا عجب
فقد توى أدلاء الطريق
وذهب أرباب التحقيق
ولم يبق في الغالب
إلا أهل الزور والفسوق
متشبثين بدعاوى
كاذبة متصفين بحكايات
موضوعة متزينين
بصفات متممة
متظاهرين بطواهر
من العلم فاسدة
متعاطين للحجج غير
صادقة كل ذلك لطلب
الدنيا أو محبة ثناء أو
مغالبة نظراء قد ذهب
المواصل بينهم بالبر
وتألفوا جميعا على المنكر
وعدمت النصائح بينهم
في الأمر وتصافوا
بأسرهم على الخديعة
والسكر إن نصحتهم
العلماء أغروا بهم وان
صمت عنهم العقلاء
أزروا عليهم أولئك
الجهال في علمهم الفقراء
في طولهم بالخلاء عن
الله عز وجل بأنفسهم
لا يفلقون ولا ينجح
تابعهم ولذلك لا تظهر
عليهم موارد الصدق
ولا تسطع حولهم أنوار
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرص على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه
وقالوا مانهينا عنه إلا وفيه شيء (١) » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهاهما عنه
فأذكرت القصة معك لتكون سبرا بل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس
الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا يهزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن التمسك ببعض العلوم ينبغي أن لا يتسبب في نفس المتعلم
العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادت تفسح علم الفقه ومعلم الفقه عادة تفسح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك ثقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروع وهو كلام في حيز النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي أن تجتنب بل التمسك بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا
بعلوم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالتعلم
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر
عقولهم (٢) » فليتب إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوما بحديث
لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلومنا
حجة لو وجدت لها حجة وصدق رضي الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشى العالم كل
ما يعلم إلى كل أحدهما إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تعلموا الجواهر في أغناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمقيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع
الانكار لتفاوت المقيار . ومثل بعض العلماء عن شيء علم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار (٣) » فقال أترك اللجام واذهب
فإن جاء من يفقه وكتمته فليجمني فقد قال الله تعالى - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم - تنبيها على أن
حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق
أثر درأ بين سارحة النعم فأصبح مخزوننا براعية النعم
لأنهم أمسوا بجمل لقدره فلا أنا أضحي أن أطوقه بهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة وإلا فمخزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا
(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر
أخسر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كتم علما نافعا
جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف وتقديم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فبما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشد هم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكامل عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسوخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرافته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي ويتقلب شيطانا يريد يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العوام الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدد ممارستها ويعلل قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون العالم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعلة لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل العلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى :

لاته عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى - أتاُمرون الناس بالبِرِّ وتَنسون أنفسكم - ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ زل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهرى رجلا من عالم مهتاك وجاهل متفكك فالجاهل يفر الناس بتفككه والعالم يفرهم بهتكه والله أعلم .

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفا على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يسترو
عورتهم لباس الحشية
لأنهم لم ينالوا أحوال
النقباء وحراب النجباء
وخصوصية البدلاء
وكرامة الأوتاد وفوائد
القطاب وفي هذه
أسباب السعادة وتتممة
الطهارة لو عرفوا
أنفسهم لظهر لهم الحق
وعلموا علة أهل
الباطل وداء أهل
الضعف ودواء أهل
القوة ولكن ليس
هذا من بضائهم
حجبوا عن الحقيقة
بأريج الجاهل
والإصرار ومحبة الدنيا
وإظهار الدعوى
فالجاهل أورثهم السخف
والإصرار أورثهم
التهاون ومحبة الدنيا
أورثهم طول الغفلة
وإظهار الدعوى
أورثهم الكبر
والاعجاب والرياء
والله من ورائهم محيط .
وهو أعلى كل شيء
شهيد . فلا يغرنك
أعاذنا الله وإياك من
أحوالهم شأنهم ولا
يندهلك عن الاشتغال
بصلاح نفسك تمردهم
وطغيانهم ولا يغوينك

بما زين لهم من سوء
أعمالهم شيطانهم
فكأن قد جمع الخلائق
في صعيد - وجاءت كل
نفس معها سائق
وشهيد - وتلا - لقد
كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد -
فياله من موقف قد
أذهل ذوى العقول
عن القال والقيـل
ومتابعة الأباطيل
فأعرض عن الجاهلين
- ولا تطع كل أفاك
أثم ، وإن كان كبر
عليك إعراضهم فإن
استعطت أن تبغى نفقا
في الأرض أو سلما في
السماء فتأتهم بآية
ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى فلا تكونن
من الجاهلين ولو شاء
ربك لجل الناس أمة
واحدة فاصبر حتى يحكم
الله وهو خير الحاكمين
كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم وإليه
ترجعون - ولقد جئناك
بحول الله وقوته وبعد
استخارته عما سألت
عنه وخاصة ما زعمت
فيه من تخصيص
الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتخاروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه
الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألجمه الله
بإجم من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك ؟
فقال من الأئمة المنسلين ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله
إلا بعدا ^(٣) » وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدجلين وأتم مقيمون مع المتحيرين
فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد
وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه
إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا علما قال عليم اللسان جاهل
القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويحرق في العمل
محرق السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال
كفي بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا
فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفترط وقال الحليل بن أحمد: الرجال أربعة
رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم
فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى
أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه
وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل
ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن
عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه ^(٤) » أراد به
العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعلم يوم القيامة فيلقى
في النار فتندلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرجي فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت
أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية ^(٥) » وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم
ولذلك قال الله عز وجل - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا
من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح
(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد
(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند
الفرديوس وحديث طي باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا
على الحسن من ازداد علما ثم ازداد بالله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدي
في الضعفاء من حديث طي من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث
إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة
المذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعلم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث
متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم .

- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم - وقال تعالى - فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين - وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء - وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين - حتى قال - فمثل ذلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - فكذلك العالم الفاجر فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبّه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخسستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضربتين مهما أُرصيت إحداها أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ماتصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمهاثم انصرام ما يصفونها فهو فاسد العقل فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما مطمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي ياداد لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصعدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادى ياداد إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما ياداد من رد إلى هاربا كتبته جهنما ومن كتبته جهنما لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص وقال عمر رضى الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب محوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت فى بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيسكم فرعونية ومآئكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة الحميدة قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يامعشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح قسد

وقيل لبعض العارفين أن ترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله فقال لأشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تنظرن أن ترك المال يكفي فى الحقوق

ذكر فيه الأقلام إذ اتفق أن يكون أشهر ما فى الكتاب وأكثر تصرفا على السنة الصدور والأصحاب حتى لقد صار المثل المذكور فى المجالس تحية الداخل وحديث الجالس فساعدتنا أمنيته ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى املائنا هذا بيان غيره مما عذوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة نجلا ومضلا ونحن نستعيد بالله من الشيطان ونستعصم به من جراءة ققهاء الزمان وتتضرع إليه فى المزيد من الإحسان إنه الجواد اللسان [ذكر مراسم الأسئلة فى المثل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولقطة التوحيد تنافى التقسيم فى المشهود كما ينافى التكرير التعديد وإن صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت

مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز في القشور والبوب ولم كانت الأول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل إفشاؤه وما معنى قول أهل هذا الشأن إفشاء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتباعد والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات الخالفة إنما هي مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء بالمخاطبات ومخاطبة العقلاء وبماذا تسمع تلك المخاطبة بأجاسة الآذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فأتينا يقول أو سعو إلى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر مائتين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتبهى أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتبهت أن تحدث فاسكت فإذا لم تشته تحدث وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تتم في الدنيا فمن أوجب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنه الحديث أشد من فتنه الأهل والمال والولد وكيف لا تناف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ - ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا - وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا الخالصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا ينحتم له به وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصري أدركت الشيوخ وهم يتعوزون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة (١) » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهدي فقال عز وجل في علماء الدنيا - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا - وقال تعالى في علماء الآخرة - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم - وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبني يستهزئون لأتبعن لهم فتنه تذر الحليم حيران (٢) » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحياتان الماء ودواب الأرض والكرام السكايتون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيذا شريف حتى يرافق للرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس (٣) » وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم حدثني موسى صلى الله عليه وسلم حدثني موسى صلى الله عليه وسلم حتى يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف .

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسألهم أصابهم هذا فأوحى الله عز وجل إليه لودعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبته فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطالب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ^(١) » وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهمه أو نيل بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى ينفذ للتكفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزى به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستغفر الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء ما يعلو ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة ^(٢) » وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البر وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة ^(٣) » قال تعالى - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلسكم ثواب الله خير لمن آمن - الآية ، فعرف أهل العلم بإشار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا الله واسمعوا - وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يا ابن مريم عظم نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرأ شفاهم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشرّ ونأتيه ^(٤) » وقال

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون معتقدها منزها مجللا وما معنى الطريق في فانك بالوادي المقدس طوى ولعله يبغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسرّ قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبيّ أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتسليق إلى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الآله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة إنه ليأني الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرأ شفاهم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

أوصله إلى مقامهم وهو
في المرتبة الثالثة وهي
توحيد القربين وما
معنى انصراف السالك
بعد وصوله إلى ذلك
الرفيق وإلى أين
وجهته في الانصراف
وكيف صفة انصرافه
وما الذي يمنعه من
البقاء في الوضع الذي
وصل إليه وهو أرفع
من الذي خلفه وأين
هذا من قول أبي سليمان
الداراني المذكور في
غير الإحياء لو وصلوا
مارجعوا ما وصل من
رجع وما معنى بأن ليس
في الإمكان أبدع من
صورة هذا العالم ولا
أحسن ترتيباً ولا أكمل
صنعاً ولو كان وادخره
مع القدرة عليه كان
ذلك بخلاف يناقض
الجود وعجزاً يناقض
القدرة الإلهية وما حكم
هذه العلوم للكونية
هل طلبها فرض
ومندوب إليه أو غير
ذلك ولم كسبت للمشاكل
من الألفاظ والغز من
العبارات وإن جاز
ذلك للشارع فيما له أن
يختبر به ويمتحن فما
بال من ليس شارحاً

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله شككت النواويس ما تجدد من تنن جيف الكفار فأوحى الله إليهم بطون علماء السوء أثنى مما أتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به فجازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزول القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتينا

أصبحت تنصيحهم بالوعظ مجتهداً فالمواقف لعمرى أنت جانبا

تعيب دنيا وناما راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لانتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبنى تعتبر قلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحننا في أعمالنا فلم نعرّب وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الحشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد بقاء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلة عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتسكون قلوب علماءهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويظفي مصاييح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلًا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجده صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا لعله ابن عبد البر وأسند ابن عدى وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفاً على معاذ بسند صحيح .

لا تطالبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل النالم مثل القاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاض قضي بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضي بالجهل وهو يعلم فلا يعلم فهو في النار وقاض قضي بغير ما أمر الله به فهو في النار (١) » وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتخايرون على العلم كما تتخايرون النساء على الرجال يغضب أحدهم على جلسيه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قليل يارسل الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل (٢) » وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي إلى كم تضع العلم ضيعك الله فقلت إني لأحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همته الرواية والعلماء همته الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقون به مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف للأثداء والأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل مما تصفون - وفي الخبر « مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن (٣) » . ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة للرغب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقليل والقال فمثال من يفرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق ينحس في فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصة العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلاً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال فإني أعلم الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم (٤) » بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه الددة قال ثمان مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى أصمها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

(١) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء ولأبى جبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مرسل وهو ضعيف جدا .

انتهى جملة مر اسم الأسئلة في المثال فأسأل الله تعالى أن يعلي علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات السالك وأن يعم بنفعه أهل المبادئ والمدارك ثم لا بد أن أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالعرض بها تبين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تعمض معانيها على أهل القصور فنذكر ما تعمض منها ونذكر المقصود بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصاً بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي ننوي بمقصودنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمل وأسهل على الناظر التفهم وأما الوصية فقصص فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فأريت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقته فجعلت الحسنات محبوباً فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق فأريت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - فكلمنا وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً الرابعة أني نظرت إلى هذا الخلق فأريت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لاشيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً الخامسة أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت إلى هذا الخلق يعني بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً - فعاديتهم وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فأريت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى عني وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فأريتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وقفك الله تعالى فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدر كتمهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في الطعام والمشرب والتنعيم في اللبس والتجمل في الأثاث والمساكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قرباً وارتفع في علماء الآخرة حظه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلاً يريد الحج وعليهم الزرماقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متشفين بحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فاني أريد أن أعود قهنا لناهو عليل قال حاتم عيادة للمريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فوراء واسعة ترهة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيفة وهور اقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقام الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة

فقال نعم قال وماهي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك واستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم فقها أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخريته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجهنم والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل للتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافسى بقروني أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجبي أحب أن تعلم في مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتى به فقع الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعين أربعين فقال الطنافسى يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعين فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجبي وليس يكلمك أحد إلا قطعتة قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهر عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيتك وتسكون من شيتهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال ياقوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لا طيء بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لا طئة بالأرض قال حاتم ياقوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لا تعجل على أنا رجل أعجبي ضربت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأتم بمن تأسيتم أرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجهنم والآجر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتسكون للشاركة إذا انفقت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرف من بحث عن مجارى الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما مينا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدأ وغاية ومالم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذى هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسميا عندهم صناعة ونسبها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسمين بالسادة
والملقبين بالصوفية
والمتشبهين بالفقراء
والمعروفين بالرفقة
والمعزى إليهم العلم
والمعمل ألفاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فيما يتذاكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاء الله نذكر ما يغتنى
منها إذ قد يقع منا
عند ما نذكر شيئاً من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم نر أن يكون ذلك
بغير ما عرف من
ألفاظهم وعباراتهم
ولا خرج في ذلك عقلاً
وشرعاً ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء قدير . فمن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمكان والشطح
والطوالع والذهاب
والنفس والسروالوصل
والفصل والأدب
 والرياضة والتخلي
والتخلي والتجلى والعلّة
والانزعاج والشاهدة
والمكاشفة واللوائح
والتلوين والغيرة والحرية
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأُنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداينة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمر أخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبدولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم^(١) ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة^(٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطيء وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما طلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن زيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوق منى موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أتى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحملها ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريض على التمتع بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والحشية وخاصة علماء الله تعالى الحشية وخاصة الحشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مدهانا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للسوء وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم «من بدا جفا» يعنى من سكن البادية جفا «ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المتفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس .

تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابح أبعد
 الله تعالى قيل أفلا نقاتهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصوا (١) « وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء
 الزأرون للملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على
 الأمير فيصدق بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ « العلماء أمناء الرسل على عباد
 الله تعالى ما لم يخاطبوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم (٢) » رواه
 أنس ، وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل
 الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك
 قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص وقال الأوزاعي
 ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار
 العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء (٣) » وقال مكحول الدمشقي رحمه
 الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار
 جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمع بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند
 الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ
 ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأتم ترون ما ألقاه
 به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أتجو من الدخول عليه كفافا مع أتى
 لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون
 السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستقلهم وكره دخولهم عليه
 وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عني به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال
 وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم
 في الاسلام فلواتيتهم فقال يا بني آتني جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشركهم فيها . قالوا
 يا أبانا إذن نهلك هزلا قال يا بني لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سميئا
 قال الحسن خصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى
 أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسلمة يا سلمة لا تغش
 أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دينهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة
 للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له هجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه
 أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن
 الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء
 والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملا وإذا شغلوا شغلا فقدوا فإذا
 قدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر على بأقوام

والقبض والفناء والبقاء
 والجمع والتفرقة وعين
 التحمل والزوائد والارادة
 والمريد والمراد والهمة
 والغربة والمصكر
 والاصطلام والرغبة
 والرهبة والوجد
 والوجود والتواجد
 فنذكر شرح هذه على
 أوجز ما يمكن بمشيئة
 الله تعالى وإن كانت
 ألقاظم المصرفة
 بينهم في علومهم
 أكثر مما ذكرنا
 فانما قصدنا أن نريك
 منها أنموذجا ودستورا
 تعلم به إذا طرأ
 عليك ما لم نذكره
 لك ههنا إذ لها مبحث
 وإليها سيل قطبله
 بعد ذلك على وجهه
 (فأما السفر والطريق)
 فالمراد بهما سفر القالب
 بآلة الفكر في طريق
 العقولات وعلى ذلك
 ابتنى لفظ السالك
 والمسافر في لغتهم ولم
 يريد بذلك سلوك
 الأقدام التي بها يقطع
 مسافات الأجسام فان
 ذلك مما شاركه فيه
 البهائم والأنعام وأول
 مسالك السفر إلى الله
 تعالى عز وجل معرفة

(١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة
 (٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي
 في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن
 ماجه بالشرط الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

قواعد الشرع وخرق
حجب الأمر والنهي
وتعلق الغرض فيها
والمراد بها ومنها فاذا
خلفوا وانواحيها وقطعوا
معاطنها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهامه أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
النفس والعدو والدنيا
فاذا تخلصوا من
أوعارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سر القدر وكيف خفي
بحكم في الخلائق وقادهم
بلطف في عنف وشدة
في لين وقوة في ضعف
وباختيار في جبر إلى
ما هو في مجاريه لا يخفى
الحلقون عنه طرفة
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والإشراف على
الملوك الأعظم
ورؤية عجائب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي والروح المحفوظ
والهيبين السكينة
وملائكة الله يطوفون
حول العرش وبالبيت
العمور وهم يسبحونه

أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصنونون شرفهم أن يدنسوه بالحياة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيرهم ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى وإن سئل عما يشك فيه قال لأدري وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتحمين احتياط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري (١) » قال الشعبي لأدري نصف العلم ومن سكنت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يفق الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوتة أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفهم سكوتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومرت على وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلوا نجسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبته وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلي وكان أبو العالية الرابحي وإبراهيم بن أدهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر ليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزير نبي أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين نبي أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشربها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع للمساجد وشربها الأسواق (٣) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ودَّ أن أخاه كفاه ذلك

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري، الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

(٢) حديث ما أدري أعزير نبي أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشربها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدتهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار للمهروب منه مطلوب والمطلوب مهروبا منه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسندا عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة للساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما معموه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عامة وهو للفتي وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال الصلوات وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثرت العلم قل الكلام وإذا كثرت الكلام قل العلم وكتب سليمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلغني أنك قدمت طبيبا تداوى المرضى فانظر فإن كنت طبيا فكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطببا فإله لا تقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفا من حصي ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تقضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بهانيات الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدن إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلد باسناد ضعيف (٣) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سليمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جعفر .

ويقدسونه وفهم كلام الخلوقات من الحيوانات والجمادات ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق للكل والمالك للجميع والقادر على كل شيء فتغشاهم الأنوار المحرقة وتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون اللوصوف ويحبسون حيث غاب أهل الدعوى ويصرون ماعى عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى . والحال منزلة العبد في الحين فيصفو له في الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه العبد ويتغير بما رد على قلبه فاذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول فاذا زال لم يكن حالا . والمقام هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات ففتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره

والسكان هو لأهل
الكامل والتمكين
والنهاية فاذا كمل العبد
في معانيه فقد تمكن
من السكان وغير
المقامات والأحوال
فيكون صاحب مكان
كما قال بعضهم :

مكانك من قلبي هو
القلب كله

فليس شيء فيه غيرك
موضع

والشطح كلام يترجم
به اللسان عن وجد

يفيض عن معدنه
مقرون بالدعوى إلا أن

يكون صاحبه محفوظا
والطوائع أنواع

التوحيد يطلع على
قلوب أهل المعرفة

شعاعها فيطمس
سلطان نورها الألوان

كما أن نور الشمس
يحجوا أنوار الكواكب

والذهاب هو أن يغيب
القلب عن حسن كل

محسوس بمشاهدة
محبوبها . والنفس

روح سلطه الله على
نار القلب ليطفى عمرها

والسر ما خفي عن
الخلق فلا يعلم به إلا الحق

وسر السر ما لا يحس
به السر . والسر ثلاثة

الظاهرة والباطنة زابلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانتفاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإطام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على العلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تبار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ^(١) » وفي بعض الكتب السالفة يابى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعده ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم يحول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بأداب الروحانيين وتخلعوا إلى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى ينشيطكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ^{عليه السلام} « استفت قلبك وإن أفنوك وأفتوك وأفتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ^(٢) » الحديث فكم من ممان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلوعها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والظاف بالله تعالى بالهمم العالية للتوجه إليه وكذلك في علوم الكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال طي رضى الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعا ع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العالم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تسكتسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدث بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق لكن يزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولاذاك أو منوما بالذات سلس القيادة في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب شهابهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يعوت العلم إذ مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إماما هارم مكشوف وإمخائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك هم الأقولون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلنا ما استوعر منه الترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناءه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف.

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين » (٢) ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كقوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة » (٣) ولذلك قال ﷺ « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يابني لا استطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسينات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فإن قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا نفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشئ له أربع مقامات : الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان تقيضه ولكنه إمكان لا ينعج ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه يعينه لومات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجوز مساو لذلك الليل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجوز اتسعت نفسه للتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ ارسخ في قوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو معضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من الحلم الحديث .

سر العلم وسر الحال
وسر الحقيقة فسر
العلم حقيقة العالمين
بالله عز وجل وسر
الحال معرفة مراد الله
في الحال من الله وسر
الحقيقة ما وقعت به
الإشارة . والوصل
إدراك الفائت .
والفضل قوت ما ترجوه
من محبوبك . والأدب
ثلاثة : أدب الشريعة
وهو التعلق بأحكام
العلم بصحة عزم الخدمة
والثاني أدب الخدمة
وهو التشمير عن
العلامات والتجرد
عن الملاحظات .
والثالث أدب الحق
وهو موافقة الحق
بالمعرفة . والرياضة
اثان رياضة الأدب
وهو الخروج عن
طبع النفس ورياضة
الطلب وهو صحة الراد
والتحلي التشبه
بأحوال الصادقين
بالأحوال وإظهار
الأعمال . والتخلي
اختيار الخلو
والإعراض عن كل
ما يشغل عن الحق
والتجلى هو ما يتكشف
للقلوب من أنوار

الغيوب والعلة تنبه
عن الحق والازعاج
انتباه القلب من سنة
الغفلة والتحرك للأنس
والوحدة . والمشاهدة
ثلاثة مشاهدة بالحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة للحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والمكاشفة
أتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الإصابة
بالفهم ومكاشفة للحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
صحة الاشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسرار
الظاهرة الصافية م
السمو من حالة إلى
حالة أتم منها والارتقاء
من درجة إلى ماهو
أعلى منها . والتلوين
تلوين العبد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلوين
بظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلوين

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبدية لأن
القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودها بالحواس وليس العلم بوجود شيء قديم
أزلى ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال
فان هذا أيضا ضروري لخلق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال
والبدية ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسمع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد
وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم
فالوجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال
فالمدعى إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي
أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة
فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان السكل حادثا فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث غير
سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء
حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر
كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السموم نارية المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق
هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لاشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين
بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف وأكثر العلماء وهو
أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف
اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه
فهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف
في النفس بالتجويز والنوع سمي ذلك يقينا ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك
عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من
استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل
هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت
وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة
صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون
هو الغالب للتحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة
أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك
في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في
الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح الأول
فلا ينكر أيضا ما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعني الاصطلاح الثاني وفيما اتنى الشك أيضا
عنه لا سبيل إلى إنكاره فانك تدرك تفرقه بين تصديقك بوجود مكة ووجود فذلك مثلا وبين تصديقك
بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعا فمستندهما جميعا التواتر
ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين
وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فانه ليس وضوح ملاح له بدليل واحد
كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره للتكلم الذي يأخذ
العلم من الكتب والسمع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

متعلقات اليقين كما يقال فلان أ كثر علماً من فلان أى معلوماته أ كثر ولذلك قد يكون العالم قورى اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قورى اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فاني لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها فالمصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الايمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق النعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يعضب عليهما بل يراها آيتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الاسراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقناً بريثا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيساق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجحلاً في الطلب ولم يشتد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وأمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الحزن إلى الشبع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخير طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهو اجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متماسكاً محتزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأشجار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أ كثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة . والغيرة غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والنماهي وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه . والحرية إقامة حقوق العبودية فتكون لله عبداً وعند غيره حرّاً . واللطفية إشارة دقيقة للمعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة . والفتوح ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح للكشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان مجريان في الأبد بما جرىا في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجاء والقبض عبارة عن حال الخوف . والفناء فناء المعاصي ويكون فناء رؤية العبد لفعاله

النجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكوته ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسماهم في السكينة والدلة والتواضع وقديلا ما لبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسما الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطور والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المقتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما أتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورققا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة (١) » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى يبعثه فانه ممقوت في السماء والأرض ويروى في الاسرائيليات أن حكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل فلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وقتك لرضاي . وحكى الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحداكم إلى الشرطي فيستعين بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا للتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمتقهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوقك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرتك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجاسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا (٢) »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوقك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسل سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والتفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التحمل إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التعني وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والريد هو الذي صح له الابتلاء ودخل في جملة المنقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزنًا في الدنيا (١) » وقال علي رضي الله عنه في خطبة له ذمق رهينة وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علماً أغاربه في أغباش الفتنة سماه أشباهه من الناس وأرذلهم عالماً ولم يسس في العلم يوماً سالماً بكر واستكثر فساقل منه وكفى خيراً مما أكثر وألمى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جالس للناس معلماً لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى المهمات هيأها من رأيه حشوا الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر بما لا يعلم فيسلم ولا يعرض على العلم بضرس قاطع فيغم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثالات وحقت عليهم النباحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال علي رضي الله عنه إذا جمع العلم فأكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة ميج من العلم محجة وقيل إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على للتعليم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعاملون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحسننا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره ثراقل (٢) ، وفي خبر آخر بمثل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم (٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخضع جناحك للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبأرحمة من الله لنت لهم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم وبإكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً - ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم إذا التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) . ومنها أن يكون

والمراد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات.

والهمة ثلاثة : همة

منية وهى تحرك القلب

للمنى وهمة إرادة وهى

أول صدق المريد وهمة

حقيقة القصور عن

ملاحظة ذروة هذا

الأمر والجهل فان

الأمراة والحط بجد

والآخرة مقبلة والدنيا

مدبرة والأجل قريب

والسفر بعيد والزاد

طفيف والخطر عظيم

والطريق سدد وما

سوى الخالص لوجه

الله من العلم والعمل

عند الناقد البصير رد

وسلوك طريق الآخرة

مع كثرة العوائل من

غير دليل ولا رفيق

متعب ومكد فأدلة

الطريق هم العلماء

الذين هم ورثة الأنبياء

وقد شغل منهم الزمان

ولم يبق إلا للترسمون

وقد استحوذ على

أكثرهم الشيطان

واستغواهم الطغيان

وأصبح كل واحد

بعاقل حظه مشغولاً

فصار يرى المعروف

- (١) حديث إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم خوفاً في الدنيا الحديث لم أجده أصلاً
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحسننا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصراً مع اختلاف (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

منكرا والمنكر معروفا
حق ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى
في أقطار الأرض
منظمسا ولقد خيلوا
إلى الخلق أن لا علم إلا
بقوى حكومة تستعين
به القضاة على فصل
الحصام عند تهاوش
الطعام أو جدل يتدبر
به طالب الباهات إلى
الغلبة والإخام أو سجع
مزخرف يتوسل به
الواعظ إلى استدراج
العوام إذ لم يروا ما سوى
هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للحطام
فأما علم طريق الآخرة
هو ما درج عليه السلف
الصالح وهي جمع المهم
بصفاء الإلهام
والغربة ثلاثة : غربة
عن الأوطان من أجل
حقيقة القصد وغربة
عن الأحوال من
حقيقة التفرد بالأحوال
وغربة عن الحق من
حقيقة الدهش عن
للعرفة . والاصطلام :
نعت وله برد على القلوب
بقوة سلطان فيستكنها .
والسكر ثلاثة : مسكر
عموم وهو الظاهر
في بعض الأحوال

أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإعسا الشأن في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومات والأقضية ويتعجبون في وضع صور تنقض الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فأنما تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان في القائم بها كثرة ويتركون ما يلزمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره النادر يثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرفها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما شاهده من ربح العاملين وفوز القربين وذلك هو الحسران البين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم أتفتت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة في شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذه قال من حذيفة بن اليمان وقيل الحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذه قال حصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه ^(١) وقال مرة فعلت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال حصني بهذا العلم وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم النافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمرو عثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن النافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فيراه من ذلك وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها وإلترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندوسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والساكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم فجأهم عن سبيل الحق رقاد

وطى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق ضار والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجاه مختصرا .

الذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكئاً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يندل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتناؤه في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما للقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسرارهم فان التقليد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسرّ فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالماً ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما مامن أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه وتترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرأنا أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرآن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على السمع من الغير تقليداً غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كننا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتسكال الناس على المصاحف وقالوا تترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تحاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من التشابهات فأنشراح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس مامن أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه يرفعه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السرف في الحق . والرغبة رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقدته والوجود : تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكن والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي ينبغي عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح المعاني والاشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا على ماسلكه أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى الملكوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاونة
الوجودات الخمس :
الذاتي والحسي والخيالي
والعقلي والشهوي
حسبا فهم من الشرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقلما أدرك
شيء من العجز والعلم
لا ينال براحة الجسم
ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزله
إليكم ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شيء
قدرا (والوصية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصانيف
والمتشرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنظر فيه بالله والله
وفي الله لأنه إن لم يكن

أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا
مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والقوص في إبطال المقاتلات ، ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندرا من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون
فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص للزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام
هم السامعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنفسه إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أكان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وكل مال الأيتام
ومخاطبة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب دقيق الأثم وجليسه والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرنا أتبعنا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل العصر في مواقفة أهل عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأى سيئ زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد
الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارضوها إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويتقن آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك نكون وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يطولن عليكم الأمد فتسوقوا بكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت (١) »

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليفته وصلحت سيرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يمهدها إلى بدعة (١) » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المثبت التوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فياهم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لاتزالون بخير ماعرقتكم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضى الله عنهم إذ من غرر المعروفات في زماننا تزوين المساجد وتجيدها واتفاق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في المسجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلسا يجمعون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريرها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان خفاه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لاتسألوه اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإنا قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال يا مروان ماهذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لاتأتون بخير مما أعلم أبدا والله لاصليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر (٢) »

(١) حديث طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب للمصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة (٢) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه في الصغير من حديث سعد القرظى كان إذا خطب في العيدين خطب على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما شا كل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكست على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس من قد شمر بعلم فلا تنظره بازدرأ كمن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تقف به حيث وقف به كلامه فالعاني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب للؤلئات وكثير علم مما

لم يعبر عنه واطمئح
بنظر قلبك في كلامه
إلى غاية ما يحتمل فذلك
يعرفك قدره ويفتح
باب قصده ولا تقطع له
بصحة ولا تحم عليه
بفساد وليكن تحسين
النظر أغلب عليك فيه
حق يزول الإشكال
عنك بما تيقن من
معانيه وإذا رأيت له
حسنة وسيدة فانش
الحسنة واطلب العاذر
للسيدة ولا تكن
كالنابية تنزل على أقدر
ما تجده ولا تعجل على
أحد بالتخطئة ولا تبادر
بالتجھيل فربما غاد
عليك ذلك وأنت
لا تشعر فلكل عالم
عورة وله في بعض
ما يأتي به احتجاج
وناهيك ماجرى بين
ولي الله تعالى الخضر
وكليمه موسى على
نينيا وعليهما السلام
وإذا عرض لك من
كلام عالم إشكال
يؤذن في الظاهر بمحال
أو اختلال فخذ ما ظهر لك
علمه ودع ما اعتاص
عليك فهمه وكل
العلم فيه إلى الله

وفي الحديث المشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»^(١) وفي خبر آخر «من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها»^(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته»^(٣) ومثال الجاني على الدين بابتداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قاب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكم في السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال نيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالخط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرفع إليه التالئ»^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلوة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذو الدين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا - وقال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ماشأنكم قالوا مارأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتبعونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا نزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تتالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تتالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهواءهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الأول قبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا فان قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار لللكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة فايك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتخذون من العلماء الراعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله بل ينبغي أن يتهم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمتي فعليه لعنة الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن الله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته لم أجده أصلا (٤) حديث عليكم بالخط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفا على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعا .

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيها أحب ويذم ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - والعوام العصاة أسعد حالاً من الجاهل بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء لأن العاصي المعترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الخائن أنه عالم وأن ما هو مشغول به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمر عليه إلى الموت وإذا غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى واقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة للرعي ما ظنك بمن يبق لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آتماً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وأن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الشرف فيكون هو معناه على ذلك ورداء أو ظهوراً أو مهياً للأسباب كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكان أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة الباطل بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين نفوذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تعرفه الحياة الدنيا ولا يعرفه بالله الغرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشد هاضرة واقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمته وهابة لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته (١) » وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلأأ على دياجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سباه الله نورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - ومضى العلم المستفاد منه روحاً وحياء حياة فقال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيتي لك فاحفظها وندكري إياك فلا تذهل عنه : اسمع وصيتي إن تحفظ حظيت بها

وإن تخالف فقد يردى بك الحلف

وأزبدك زيادة تقتضى التعريف بأصناف

العلماء لكي يعرف أهل الحقيقة من

غيرهم فلك في ذلك أكبر منفعة ولى في

وصفهم أبلغ غرض قاله علماؤنا : العلماء

ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم

بالله وأمره وبآياته مهتبا بالحشية لله سبحانه

والورع في الدين والزهد في الدنيا

والإيثار لله عز وجل المستقيم والحجاج

مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد

أخرس التكلمين وأخفم التخربين

برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما يناع

شواهد بينة ونجومه نيرة قدحى صراط الله

المستقيم والمحجوج عالم بالله وأمره وبآياته

ولكنه فقد الحشية لله
برؤيته لنفسه وحجبه
عن الورع والزهد في
الدنيا والرغبة والحرص
وبعده من بركات
علمه بحجة العلو
والشرف وخوف
السقوط والفقر فهو
عبد لعبيد الدنيا خادم
لخدمها مفتون بعد
علمه مغتر بعد معرفته
مخدول بعد نصرته
شأنه الاحتقار لعم
الله والازدراء لأولياته
والاستخلاف بالجبال
من عباده وفخره بلقاء
أميره وصلة ساطانه
وطاعة القاضي والوزير
والحاجب له قد أهلك
نفسه حين لم ينتفع بعلمه
والاتباع له ومن يكون
بعده قدوة به ومراده
من الدنيا مثله في مثل
هذا ضرب الله التل
حين قال - واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها
فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه أخلد إلى
الأرض واتبع هواه ففشل
كئيل الكلب إن تحمل

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور -
وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعتقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم
عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر
دنى المنزل ثرى الهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزل
حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقردة والخنزير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تقتر بتمظيم أهل الدنيا
إياكم فانهم من الخاسرين (١) ». وقال ﷺ « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك
أثيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان
جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم المكشوفة فلا يليق ذكره بعلم
المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة وعن أنس رضي الله عنه قال « أثنى قوم على رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال ﷺ : إن الأحق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما
يرتفع العباد غدا في الدرجات الزاقي من ربهم على قدر عقولهم (٣) ». وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن
ردى وماتم إيماناً عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال ﷺ « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه
إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فيقدر عقله تسكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال تميم الداري « ما السودد فيكم قال العقل
قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كالت مثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال
العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوم ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعتقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن الحبر أحد الضعفاء في
كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول
ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة، وأبو نعيم من حديث
عائشة بساندين ضعيفين (٣) حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما السودد فيكم قال العقل
كيف عقل الرجل الحديث ابن الحبر في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصراً (٤) حديث
عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن الحبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث
ابن الحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة للمؤمن عقله
الحديث ابن الحبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال تميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن الحبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء
كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث
ابن الحبر وعنه الحرث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى من فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا النازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ^(١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلاً ^(٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ^(٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل ^(٤) » وقال ﷺ « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً ^(٦) »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعده لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أرادته الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتهيا بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن العاقل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المبر (٢) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المبر (٣) حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل الحديث ابن المبر وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسنده الفردوس بأسناد آخر ضعيف (٦) حديث أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً الحديث ابن المبر من حديث أبي قتادة .

عليه يلهث أو تركه يلهث - فويل لمن يحب مثل هذا في دينه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدنيه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه إن أعطى من الدنيا رضى بالمدحة لمن أعطاه وإن منع رش بالدم لمن منعه وقد نسي من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فنعوذ بالله من الخور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكثير أنها ليست من الغرض الذي نحن فيه قصصى أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقى ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا وإن كان بقي منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

غاب الدين إذا ما حدثوا
صدقوا
وظنهم كيقين إن هم
حدسوا
وذلك لما سبق في
القضاء من ظهور
الفساد وعدم أهل
الصالح والرشاد نعم
وعدم الصنف الثالث
على غرضه وأعز شيء
على وجه الأرض وفي
الغالب ما يقع عليه في
الحقيقة اسم علم عند
شخص مشهور به
وإنما الوجود اليوم
أهل سخافة ودعوى
وحماقة واجترأ وعجب
بغير فضيلة ورياء
يحبون أن يحمدا
بما لم يفعلوا وهم أكثر
من عمر الأرض
وصيروا أنفسهم أوتاد
البلاد وأرسان العوام
وهم خلفاء إبليس
وأعداء الحقائق
وأخذان لعوائد السوء
وعنهم ردعت الحكم
الشائعة وانتقاض أهل
الارادة والدين :
مثل البهائم جهال بخالفهم
لهم تصاویر لم يعرف
لهن حجا
كل يوم على مقدار
حيلته

العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع قلة العلوم وكأن الحياة غريزة بها
يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تهيأ بعض الحيوانات
للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوَّى بين الإنسان والحمار في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق
بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز أن
يسوَّى بين الحمار والجمل في الحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم
إجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادامتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فانه سبحانه وتعالى قادر
على خلقها فيه على الترتيب الشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقتها للجمل في الحركات إلا بغريزة اختصت
به عبرتها بالحياة فكذلك مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو
كالمرآة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصفة التي تسمى العين
إلى تفارق الجبهة في صفات وهيئاتها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن نفهم هذه الغريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عنه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض
العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا وإنما الفاسد أن تنسك تلك الغريزة ويقال موجودا لهذه العلوم .
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فان من حسنكته التجارب وهذه المذاهب يقال
إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمير جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى
اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول
والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال عليّ كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقليين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل (١) » والآخر
هو المراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك (٢) » وهو
المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه « ازددد عقلا تزدد من ربك قربا
ققال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تسكن عاقلا
واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل في أجل العقب بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك
أبو نعيم في الحلية من حديث علي إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب وإسناده ضعيف .

عز وجل الشرب والمن^(١)» وعن سعيد بن المسيب «أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل. قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسباً ذليلاً^(٢)» قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته^(٣)» ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الحشية والعالم من ينشئ الله تعالى فإن الحشية ثمرة العلم فتكون كالحجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فانهم اتقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقرر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أى كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ماهي عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها القرب استعدادها للادراك ثم لما كان الإيمان مركزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض ففسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة ففسى بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل - لعلمهم يتذكرون - وليتذكر أولوا الألباب - واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا النمط تذكر ليس يعيد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه^(٤) السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعاً من التعسفات ويتخيل إليه في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهاافت ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً الحديث قاله لأبي الدرداء ابن الحبر ومن طريقه الحارث ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن الحبر (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته ابن الحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسل وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أى يكون السماع والتقليد رائجاً عنده فتأمل اه مصححه .

زوائر الأسد والنباحه
الاهشا

فاحسدرهم قاتلهم الله
أنى يؤفكون اخذوا
أيمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله إنهم
سواء ما كانوا يعملون .
أولئك كالأنعام بل هم
أضل أولئك هم
الغافلون .

أولو النفاق فإن قلت
اصدقوا كذبوا
من السفاه وإن قلت
اكذبوا صدقوا

ولأخذ في جواب
ماسألت عنه على
نحو ما رغبت فيه
واستوهب الله نقوذ
البصيرة وحسن
السريرة وغفران
الجريرة وهورنى ورب
كل شيء وإليه المصير .

[ابتداء الأجوبة عن
مراسم الأسئلة]
جرى الرسم في الأحياء
بتقسيم التوحيد على
أربع مراتب تشبهاً
لمواقفة الغرض في
التثيل به وذكرت أن
المعترض وسوس أو
بالخواطر هجس بأن
لفظ التوحيد ينافى
التقسيم إذ لا يخلو بأن
يتعلق بوصف الواحد

الذي ليس بزائد عليه
فذلك لا ينقسم
لأجل أن لا ينقسم
ولا يغير ذلك وإما أن
يتعلق بوصف المكانين
الذين توجب لهم حكمه
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث انتسابهم إليه
بالعقل وذلك لصيق
الجمال فيه ولهذا
لا يتصور فيه مذاهب
وإنما التوحيد مسلك
حق بين مسلكين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الإلbas وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان محض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال أكثر
للسالكين بتأمل
إيمان جميع المؤمنين
والملائكة والنبين
والرسلين وسائر عموم
المرسلين وإنما تختلف
طرق إيمانهم التي هي
علومهم ومذهبهم في
ذلك معروف ونحن
لأنتم في هذه الإجابة
كلها بشيء من أنحاء
الجدال ومقابلة الأقوال
بالأقوال بل بقصد
إزالة غير الإشكال

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصره
فكذلك خلل البصيرة يحرق بجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى
الفارس أضرم من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب القواد
مارأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وسمى ضده
عمى فقال تعالى - فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبيا بعض
كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يعلق
به من الدين إلا قشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

فدأبت الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بقول كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة
إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم
الثاني وهو العلم الضروري بمجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف أن الاثنين أكثر
من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذلك سائر النظائر
وكل ما يدرك إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع
وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد
فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض
ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة
الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعروف لثلاثة تلك الشهوة
ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرّة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك
إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرّة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه
أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك
المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطياسة وأصحاب
الهديان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا
هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه
وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها إذا قويت كان قمعها للشهوة لاحالة أشد وأما القسم
الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك
ويكون سببه إما تفاوتنا في الغريزة وإما تفاوتنا في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت
فيه لا سبيل إلى جرده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند سن التمييز
ثم لا يزال ينمو ويزداد نموأخفى التدرج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فان
أوائله يخفى خلفه يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور
البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية
في جميع خلقه بالتدرج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغنة بل تظهر
شيئا فشيئا على التدرج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه
منخلع عن ربة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو
أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم

ولما اتسموا إلى بليد لا يفهم بالتهنيم إلا بجد تعب طويل من المعلم وإلى ذكر يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبث من نفسه حقائق الأمور بدون التعاليم كقَالَ تعالى - يَكَادُ رَبِّي أُنْفِثُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ ينضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعش ماشئت فانك كبرت واعمل ماشئت فانك تجزي » (١) وهذا الخط من تصرف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي السريع الذي هو سماع الصوت مباشرة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والحوض فيها لا يليق بعلم العامة بل هو من علم المسكافة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يعد أن يعرف الطبيب المرضى درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات المداواة وإن كان خاليا عنها فاعلم شيء ووجود العلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتبته من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتدبيره وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كاتقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتنجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الخبز ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الخضر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت « ياربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فأنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى سقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك (٢) » فان قلت فما بال أقوام من المنصوفة يذمون العقل والمعقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس تناولوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنك أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رساله فكيف يتصور ذمه وقد أثبت الله تعالى عليه وإن ذم في الذي بعده يحمده فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانريد بالعقل ما يريد بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخييلات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف
- (٢) حديث ابن سلام مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الجبر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

ورد ما ظن به أهل الضلال والإضلال . واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على أنما يتوجه منها شيء قدح به المشرع أو هجس به المخاطر وإنما الاستعمل ههنا من أفعاله ما تتميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والميل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمى أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافيا والحنبلي حنبلي

ومن رزق علم التوحيد .
وما يتحقق به عنده
وسعى من أجله
بشكوكه العارضة له
فيسمى موحدا لأنه
عارف به يقال جدى
ونحوى وقفيه ومعناه
يعرف الجدل والفقه
والنحو . وأما من
استغرق علم التوحيد
قلبه واستولى على جملة
حق لا يجد فيه فضلا
لغيره إلا على طريق
التبعية له ويكون
شهود التوحيد لسل
ماعداه سابقا له مع
الذكر والفكر مصاحبا
من غير أن يعتريه
ذهول ولا نسيان له
لأجل اشتغاله بغيره
كالعادة في سائر العلوم
فهذا يسمى موحدا
ويكون القصد بالسمى
من ذلك البالغة فيه .
فأما الصنف الأول وهم
أرباب النطق المفرد
فلا يضربون في
التوحيد بسهم ولا
يفوزون منه بنصيب
ولا يكون لهم شئ من
أحكام أهله في الحياة
إلا مادام الظن بهم أن
قلب أحدهم موافق
للسان كما يفرّد القول

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل
الأرض والسماء ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول ، في ترجمة عقيدة أهل السنة في كُتبي الشهادة التي هي أحد مباني الاسلام فنقول
والله التوفيق : الحمد لله المبدى للعبد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى
صفوة العبيد إلى الشرج الرشيد والمسلك السديد النعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن
ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو
شاهد للمعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد
قديم لا أول له أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قويم لا انقطاع له دائم لا انصرام
له لم يزل ولا زال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض
الآجال بل هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم . التنزيه : وأنه ليس بحسم مصور
ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله
الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثل شئ ولا هو مثل
شئ وأنه لا يحده للمقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات
وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراد استواء منزلها عن العمامة والاستقرار
والتمكين والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شئ إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء
كلا تزيد بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات
عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو
على كل شئ شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شئ
ولا يحل فيه شئ تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته
وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزلها
عن الزوال وفي صفات كاله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى
الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإعماما منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه
فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات
مطويات بيمينه والخلق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع للتوحد بالابجاد والإبداع
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريص
الأمر لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته . العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من
تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

(كتاب قواعد العقائد)

يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلى لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والاتقال . الإرادة : وأنه تعالى صيد للكائنات مديبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضرر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلقاضائه وقدره وحكمته ومشيتته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيتته لقلة ناظر ولا قلته خاطر بل هو المبدى العبد الفاعل لما يريد لا أراد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوقيفه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحرکوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيتته لم يجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزل له وجود الأشياء في أوقاتها التي قد رها فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزل من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا يترتب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم أمرناه وأعدم تعدد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو صطكك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزيور كنية المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في الصالح محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالاتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلم بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات . الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وقائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضية لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملك حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسما وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرک ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لأعن وجوب ومتطول بالانعام والإصلاح لأعن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويتلهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق والازم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه وعيده

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله النبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

كل مخلوق المنطبع فيه
من مركب ومفرد
وصفة وموصوف وحي
وجاد وناطق وصامت
ومتحرك وساكن
ومظلم ونير وهو الذي
يسمى تارة بعلمة
وتارة بسموة وتارة بأثر
القدرة وتارة بأية كما
قال الشاعر ولا أدري
عن سماع أو رؤية قلب :
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد
فلو قرءوا ذلك الخط
وجدوا تفسير ذلك
المكتوب عليه
وشرحه أبدية مالكة
والتصريف له بالقدرة
على حكم الإرادة بما
سبق في ثابت العلم من
غير مزيد ولا نقص
فتركوا الكتابة
والمكتوب وترقوا
معرفة الكاتب
أحدث الأشياء وكوّنهم
ولا يخرج عن ملكه
شيء منها ولا استغنت
بأنفسها عن حوله
وقوته ولا انتقلت إلى
الحرية عن رقب
استعباده فوجدوه كما
وصف نفسه - ليس
كذلك شيء وهو السميع
البصير - فخلص لهم

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهي الشهادة للرسول بالرسالة وأنه
بعث النبي الأئمة القرشي محمدًا صلى الله عليه وسلم برسائله إلى كافة العرب والعجم والجن والانس
فدفع بشريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان
بشهادة النوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقتن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم
الحق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن
بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكرو ونكير وهما شخصان مهيان هائلان يقعدان العبد في
قبره سويًا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن
نبيك (١) وهما فتانا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنه بعد الموت (٣) وأن يؤمن بعذاب القبر (٤) وأنه
حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته
في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدره الله تعالى ، والصنع يومئذ
مما قيل النور والحدل تحقيقًا لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيتمل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة
الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه قهوى بهم إلى النار
وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض المورود

(١) حديث سؤال منكرو ونكير الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت
أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير وفي الصحيحين من
حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أثناء ملكان
فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما فتانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتاني القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن
سؤالهما أول فتنه بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون
أو تعذبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من
عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق
السموات والأرض البهقي في البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث
عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن
مزدويه في تفسيره قالت عائشة أي حبي قد علمنا الموازين هي الكفتان فيوضع في هذه الشيء ويوضع
في هذه الشيء فترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس وأطلبني عند الميزان
ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث
وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان
بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشيخان من حديث أبي
هريرة ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ولهما من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم
زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفع أحمد من حديث عائشة
والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفي البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلًا ومن
قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظلم أبدا عرضه مسيرة شهر مأواه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزانان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقرّبون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من السكفار عن تكذيب المرسلين (٥) ويسأل البتة عن السنة (٦) ويسأل المسلمين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحّد بفضل الله تعالى فلا يخذل

(١) حديث الإيمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطك على الحوض ومن حديث ابن عمر أنا لسك حوض كائين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن ممرّة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب منه شربة لم يظلم أبدا عرضه مسيرة شهر أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزانان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يفتّ فيه ميزانان يدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت والبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت على الأمم ققيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من السكفار عن تكذيب المرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول ليبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتك فيقولون ما أئانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمتة الحديث . ولابن ماجه يجيء النبي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال البتة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا وإسنادها ضعيف (٧) حديث سؤال المسلمين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسأني في الصلاة .

التفرقة والجمع وعملت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاده عن غيره وعملت أنها علفت توحيد فبسخان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا به وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم المقرّبون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن يعرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده فأما من عدت عنده فهو كافر وإن كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعّد عن مقام هذا

في النار موحد^(١) وأن يؤمن بشفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم^(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين^(٤) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يرسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقرأة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشياخان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي . وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخاف أن يكون مقلدا في عقده أو عالما به والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخافو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لصنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فإلدي لم يبلغ وكان على قرب هم المقرَّبون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائري بين النفي والاثبات ومحصور بين المبادئ والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بالتسبب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث مزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسماهم وهياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كاللقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والترقية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس معمه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل أكثر مما يعمده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فهاهيك بالبيان برهانا قس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة التكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة التكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيوط مرسل في الهواء فيثبه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلحقه تقليدا كاتلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم للدول فتلقي الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة ومساعدته التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسرا الذي وفر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عماسوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك ككتفوات الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليهما علم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيره من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إمامي الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . وحكي السكرايسى أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب بما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذ سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكى في أصحاب

كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجربه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتميز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه لا يتصورون صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطأه ولا صوابه إذ لم يمشوا عليه ولا أرادوا فهمه إما لبعدهم همته وقلة اكرامهم وإما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزامها فارقوا راحت أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذمهم مكذبة من خوف

عقاب ترك ما علموا
لزومه ومثل هؤلاء
مثل من يريد قراءة
الطب أو يعرض عليه
ولكنه يمنعه عنه
مخافة أن يتطلع منه على
ما يغير عنه بعض ملاذه
من الأطعمة والأشربة
والأنكحة أو كثير
منها فيحتاج إلى أن
يركها أو يرتكبها
على رقبه وخوف أن
يصيبه صورة ما يعلم
ضرورة منها فيدع
قراءة الطب رأساً .
سئل هذا الصنف عن
معنى ما نطقوا به هل
اعتقدوه فيقولون
لا نعلم فيه ما يعتقد
وما دعانا النطق إلا
مساعدة الجماهير
وانخرطوا بظاهر القول
في الجمل الغفيرة ولا نعرفه
هل ما قلناه بالحقيقة
من قبل العرف
والنكير ولا شك أن
هذا الصنف الذي أخبر
صلى الله عليه وسلم
عن حاله بمسئلة الملوك
أحدهم في القبر إذ يقولان
من ربك ومن نبيك
وما دينك فيقول
لا أدري سمعت الناس
يقولون قولاً قلته

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب
والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفتح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر
في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالحق في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصديقه
كتاباً في الرد على المبتدعة وقال له ويحك أأنت تحكي بدعهم أو لا ثم ترد عليهم أأنت تحمل الناس
بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد
رحمه الله علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله أرايت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل
يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا تجوز شهادة أهل البدع
والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال
أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا
منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا
ماسكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه
من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»^(١)
أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر
به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباط^(٢) ، وندبهم إلى
علم الفرائض وأثنى عليهم^(٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا^(٤) عن القدر، وعلى هذا استمر
الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقذوة ونحن الأتباع والتلامذة
وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجواهر والعرض وهذه
الاصطلاحات الغريبة التي لم تعدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد
أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر
والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فحدثت
عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحذور
هو المعنى فنحن لانعني به إلى معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدة الخالق وصفاته كإجاء في الشرع فمن
أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي
إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي
إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه
وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى - قل هاتوا برهانكم -
وقال عز وجل - لهلك منهلك عن بينة ويحيى منحيى عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم
من سلطان بهذا - أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل فله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي
حاج إبراهيم في ربه - إلى قوله - فهت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخافه خصمه
في معرض الثناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا
يانوح قد جادلنا فأكثر جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين . إلى قوله - أو لو

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
علمهم الاستنباط مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم
ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذي من حديث أنس
وأفرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا . تقدم في العلم .

جنتك بنى مبين - وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره حجة مع الكفار فعمدة أدلة التكميل في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحياها الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصاحبة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبي طالب رضى الله عنه إذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما إلى الخوارج فكلمهم فقال ماتنعمون على إمامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغتم فقال ذلك في قتال الكفار أرايتم لو سببت عائشة رضى الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألقان وروى أن الحسن ناظر قدر يفرج عن القدر وناظر على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد ابن عميرة في الإيمان قال عبد الله لو قلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن أجل ذلك يقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذ صناعة فيقال أما قل خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إخماد الخصم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الخصم أو لجأه لطلال لاحالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فكذلك كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الندور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخواطر فحن أيضا ترتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيذا للخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالحمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضرار وإباحة تجرع الحمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الحمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليلا وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليلا وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالحرور وكأكل الطين وكأن إطلاق التحريم على الطين والحمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرتة في وقت الاستضرار ومحله حرام أو مضرته فائارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان له لا دريت ولا تليت وسماء النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضى الله عنه وكانوا في زمنه غرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التكبير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « ستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

المشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
للمبتدعة للبدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشند حرصهم على الاصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للمبتدع العاصي يمكن أن يزول اعتقاده
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لواجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدرُوا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة
المخالفين يستولى على قلبه وينعمه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء
ويعرفك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراهة ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعة فقد يظن
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التحصيل والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما
خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا بمن خبر الكلام ثم قلاد بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل
فيه إلى منتهى درجة للتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا يفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على الدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعة شيء
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل
فإن العاصي ضعيف يستغزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متعمدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف
الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ
أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .
وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العاصي المعتقد للبدعة فينبغي أن
يدعى إلى الحق باللطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف اللقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سيق
أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على
شرط المتكلمين إذ العاصي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها التكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرُون على دفعه فالجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القرينة
المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عاصي
اعتقد البدعة بنوع جدل معه فيقابل ذلك الجدل بثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأنس بالمجادلة ما ينعمه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامة فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر
بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخذعوا فلا بأس أن يعلموا
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة وإن وقعت

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبيه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان أقعده ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة منمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتبنيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فمقتضاهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكواف وعن الادراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان كذلك واحدهو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضللا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيد الإطناب والتقرير غموضا . ولوقال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الخواطر والخطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشجيد كانه كقوله لعب الشطرنج يشجذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فان الخاطر يتشجذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر الحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به . فان قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولوترك بالكلية لا ندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرب الغذاء لا يحذر وضرب الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعلم ينبغي أن يخص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه . الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فان الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحصر على إزالة الشبهة بل يغتصمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذا الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المنقعة للنفوس دون التعلل في التفسيرات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه، وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نهى عنه وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج

فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعوا إلى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأني منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود في النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعنى المحترم قبل تحصيله العقد مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى: فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعةي . وهو أرحم الراحمين فيخرج

من النار أقوام لم يعملوا
حسنة قط وبدخلوا
الجنة ويكون في أعاقبهم
سمات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
وإنما اختصرت منه
قدر الحاجة على اللفظ
وحكم الصنف الأول
والثاني والثالث أجمعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمة ولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجملة الهالكين فإن
عثر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها بسيف
الموحدين وإن لم يعثر
عليهم فبهم صائرون إلى
جهنم خالدون تلفح
وجوههم النار وهم فيها
كالحون .

[فصل] ولما كان
اللفظ المنبئ عن
التوحيد إذا انفرد
عن العقد وتجرد عنه
لم يقع به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
بسببه نجاة إلا مدة
حياته عن السيف
أن يراق دمه والبدان
تسلط على ماله

وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ
هذه العقيدة فلا مفتاح إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالسكينة على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر
الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لمظاهرها وأسرار وبعضها
جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الخفي والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسر وعلم بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا
وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقى إلى شأو العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا ^(١) » وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما حجة لو وجدت لها حجة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما بمحدث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم ^(٣) » وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعلمها إلا العالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة السكون لا يعلمه
إلا العالمون بالله تعالى ^(٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ^(٥) » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أومعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن يتنزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لرجموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثته
وأما الآخر لو بثته لقطع هذا الخلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة ولكن بمرور في صدره ^(٦) » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهروه لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة والنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلماء بالله سر لو أظهروه

- (١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث
ما حدث أحد قوما بمحدث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة السكون
الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث
عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فإذ كره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطق نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة [مسئلة] فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو فيزول به الانقسام ولا يكون للسر سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا . فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم للكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها القربون يدركها ولا يشاركهم إلا كثيرون في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : القسم الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تسلك أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يانه (١) من هذا القسم فإن حقيقته مما تسلك الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفا الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرها حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنيد لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة الطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من الخالفة بين لذة الجماع والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان لإنه و صفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو ما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكل وأشرف فيكون معظم تحريمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٢) » وليس

إذ لم يعلم خفي حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أى يجالس الطعام ولا تشبهه النفوس إلا مادام منظويا على مطعمه صونا على له فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منظو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا خفاء في صحته والغرض بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على التعلم والسمع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه .

[فصل] فإن قلت فما الذي صدّه هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر

والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

(١) حديث ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا الحديث (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

وهم في الظاهر قادرين
على ذلك وما المانع
الحق الذي منهم
وأبعدهم عنه وهم
يعلمون أن ما عليهم
كبير مؤنة ولا عظيم
نفقة فاعلم أن هذا
السؤال يفتح بابا عظيما
ويهن قاعدة كبيرة
يخاف من التوغل
فيها أن يخرج من
المقصد ولكن لا بد
إذا وقع في الأسماع
ووعته قلوب الطالبين
واشتاقت إلى سماع
الجواب عنه أن نورد
في ذلك قدر ما يقع به
الكفاية وتنفع به
النفوس بحول الله
وقوته، نعم ما سبق في العلم
التقديم لا تجرى بخلافه
للقادير فهم من ذلك
بارادة الله عز وجل
جاء اختصاص قلوبهم
بالأخلاق السكانية
والشيم الثمانية
والطباع السبعية
وغلبتها عليهم
والملائكة لا تدخل
بيتا فيه كلب كذلك
قال عليه الصلاة
والسلام والقلوب
يوت تولى الله بناءها
يسده وأعداها لأن

الغنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولتقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولترجع إلى الفرض وهو أن أحد الأقسام ما تسلك الأفهام عن إدراكه ومن جملة الروح ومن جملة جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبحانه سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره ^(١) » القسم الثاني من الحفريات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منح أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفائش وكما تضر رباح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصي والشورور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيتة حق في نفسه وقد أضر سماعة بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفة ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألد ابن الراوندى وطائفة من المخدولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو أفنى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيد ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثرائها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم .

القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحها لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يلقم الدر في أعناق الخنازير فكفى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفتن لدرك السر والباطن فيفتاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السباك الأعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب القبل

فانه عبر عن سبب سماوى في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار ^(٢) » وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورحى النخامة فيه تحميره فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن لله سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجبا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجبا من نور ، وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبي موسى حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولا بين ما جاءه شيء أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

الجلده وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار (١) » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كأن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قلب المحنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الحنفى وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا فى نفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل فى كنياته عن الاقتدار قوله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون - فإن ظاهره متمنع إذ قوله كن إن كان خطا بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ اللعدم لا يفهم الخطاب حتى يتمثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالأت أودية بقدرها - الآية - وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هى القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم تحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت ولهذا ية التى تنفع الناس تمكث ، وفى هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والدق بأن يصير حالا ملاسا له في تفاوت العبادان ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب والأول كالظاهر والثانى كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثانى عند وقوعه والثالث عند تصرّمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها فى هذه الأقسام الأربعة تفاوت الخلق وليس فى شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمّله كما يتمم اللب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوند لم تشقنى قال سل من يدقنى فلم يتركنى ورأى الحجر الذى ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فالبليد يقتدر فى فهمه إلى أن يقدر لها حياة وعقلا وفيهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

تكون خدائن علمه ومشارك مكنوناته ومميط ملائكنه ومغاشى أنواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمته وهياها لتحصيل المعرفة به ففى كان فيها شيء من تلك الأخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هى الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات وللوصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق المذمومة التى حلت فيهم وهى التى ذم الكلب لأجلها لما احترمت الملائكة باذن الله عن حلولها فيها وهى لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها خفيما حلت حل الخير فى ذلك القلب بحلولها وإنما هى لها خفيما وجدت قلب خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على الملائكة ما زعجها عنه

من تلك الأخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانسراحه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أ كثر فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يتلى البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصالح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المثل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فالبايد يفترق فيه إلى أن يقدر للجسمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحداية الله سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصنعة المحككة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويقيه ويدم أو صافه ويردده في أطواره فهو بحاجة يشهد لحالته بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسبيحهم - وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم العاملة فهذا الفن أيضا ما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتسكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - وقوله تعالى - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك الخطابات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون - وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكوّن حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود بين الله في أرضه (١) » وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن (٢) » ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسم الباب ورعاية لصالح الخلق فإنه إذا فتح الباب اتسع الحرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمرّوها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه مميّعا بصيرا وأولوا للمراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد والجنة واشتغالها على الماء كولات والمشمومات والنكوحات والملاذ

(١) حديث الحجر بين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربك من قبل اليمن ورجاله ثقات .

المحسوسة والنار واشتعالها على حتم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقبهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأروا كل ماورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك باللسان وهؤلاء هم السرفون وحسد الاقتصاديين هذا الانحلال كله وبين تجرد الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموقنون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السميع والألفاظ الواردة فيها وافق ما شاهدوه بنور اليقين قررروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والأليق بالمستصير على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفه فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تقتصر بكافة العوالم على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوخ البدعة فيرق في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوازم من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك الوازم ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسمينه الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد الرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالجلل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج البين فجمعوا بالقبول بين تنازع العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إنجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلمنا منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه تعالى تكليف ما لا يطاق وأنه لا يلام البريء ولا يجب عليه رعاية الأصالح وأنه لا واجب إلا بالشرع وأن بعثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤكدة بالمعجزات . الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشر وط الإمامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

انشرحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى فان قلت : فيزيل أصناف هذه الأخلاق المذمومة التي صددت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت الملائكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنعهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الخيرات السالكين معها فاعلم أن الأخلاق التي لا يجتمع معها الملائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها وهي الطمع في غير خيبر والحرص على فان حقير . وأما الصنف الأول فانهم رجسوا وخافوا أن تبدو لهم محبة ما يشغلهم عن لذاتهم وينقص عليهم ما رغبوا فيه من راحتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فصددهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألقوه من تبجيل أحدهم أن يزول

وماؤنسة أشياهم أن
تغير وتذهب ومواساة
إيلافهم أن تقطع
واستقلا لما يشاهدونه
من أهل الإيمان أن
يلتموه وفرار من
شرائطه وما يصحبه
من الأعمال والوظائف
إذ يشاؤه والكتاب
ما ذم صورته وإنما ذم
بهذه الأخلاق التي
هي الطمع في الحسائس
والجزع من الصبر على
ما بعده من الفضائل
حتى احترمت الملائكة
أن تدخل بيتا فيه كلب
فان قلت فكيف آمن
من كفر وأطاع من
عصى واهتدى من
ضل إذا كانت
الشياطين لانفارق
قلب الكافر والعاصي
والضال بما تثبتون
من الأخلاق الذمومة
التي هي كلاب ناجحة
وذئاب عادية وسباع
ضارية وأصناف الخير
إنما ترد من الله عز
وجل بواسطة الملائكة
وهي لاندخل موضعا
يحل فيه شيء مما ذكرنا
وإذا لم تدخل لم يصل
إلى الخير الذي يكون
معها ولم تصل إليه قط

ما أرشد إليه القرآن فليس بعبد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا
والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سبعة شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات
اللقافا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا - وقال تعالى - أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون - إلى
قوله - للمقوين - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار
نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب
والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها
معهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض -
ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا
لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدئ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال
عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا نفي فطرة الإنسان وشواهد القرآن
ما يغني عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار نقول من بدائنه العقول
أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما
قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل
تقدير تقديمه وتأخير فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا
العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه
مدركة بالبدية والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسا لاسا كنا ولا متحركا
كان لمن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ماشوهد منها وما لم يشاهد فما
من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري
منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه
وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه
أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنقض تلك الحوادث بجملتها
لانتهى النبوة إلى وجوه الحادث الحاضر في الحال واقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك
دورات لانهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا أو شفعا وترا جميعا أولا شفعا
ولا وترا ومحال أن تكون شفعا وترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا فإن ذلك جمع بين النفي والاثبات
إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعا لأن الشفع يصير
وترا بزيادة واحد وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا إذ التور يصير شفعا بواحد
فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شفعا ولا وترا إذ له نهاية فتحصل من

هذا أن العالم لا ينجو عن الحوادث وما لا ينجو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من الدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأن الله تعالى قدير لم يزل، أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى مميّنه صانع العالم ومبدئه وبارئته ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أديا أنديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخرو الظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدمه يضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتمم دوراه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وباطل أن ينعدم بعدمه يضاده لأن ذلك العدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فان كان الضد العدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتجزى بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متجزى فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولتصور جوهر متجزى قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرها ولم يرد به للتجزى كان مخطئا من حيث اللفظ لامن حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصًا بتجزى بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده . ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتى بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لاتعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثل شيء وأتى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدّره والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابته . الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزّه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفلى لما يلي جهة الرجل حتى إن النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتنا وإن كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين وإحداها أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم

هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له إلى الايمان على هذا المفهوم . فاعلم أن هذا يستدعى أمنا فاما من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا القام للعلوم والقول والمعنى في جواب ما سألت عنه ان للشيطان غفلات وللأخلاق الذمومة عذمت أن لا للانسكة لها عن القلوب غيبات وتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعلمتك قلبا خاليا ولو زمانا مافر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا وزوعا أورد عليه ما يملأ ويستغرق له وإن صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشياطين استغائة بالأخلاق السكلية استعانة رحل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو نزعة شيطان . فان قلت : فأى بيت فهم

اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلى اليمين يميناً والأخرى شمالاً وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدم للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابها فالجهات حادثة بمحدث الانسان ولولم يخلق الانسان بهذه الحلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن له أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن العقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بمحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضاً فاستحال كونه مختصاً بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له وهو محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محجج بالنسبة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنّها قبلة الدعاء وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلو فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن : العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

واضطرب أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرب أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئياً بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل - لا تدرکہ الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن ترانی - ولبت شعري كيف عرف للعتلى من صفات ربّ الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإنجاد والاختراع لا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأيّ كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللب وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وحملته أن المقصود بالإخبار هو بيت اللب وكتب الحيوان معلوم ولا بيتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نهيك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكفر في ذلك إذ دلّ عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تنجبه القلوب المستنضاء ولم تصادم به شيئاً من أركان الشريعة فلا تكن جاحداً ولا تنزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيراً ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى مافي معناه ومشابهه له من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيها آلهة إلا الله افسدتا - وببانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلهما قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومداغته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضيفا قاصرا ولم يكن إلهما قادرا .

(الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم محكم في صنعه مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسيج والتأليف متناهي الطريرز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرته كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل النباوة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل الحوادث - لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع الزين بالترتيب ولوفى الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المتبى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو البدئ العبد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد القادرين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص العلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سمعا بصيرا والسمع والبصر كال لا محالة وليس ينقص فكيف يكون الخلق أكل من الخالق والمصنوع أسفى وأتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له - لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكأعقل كونه فاعلا بلا جراحة وعالما بلا قلب ودماغ فليقل كونه بصيرا بلا حدقة وسمعا بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والسلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جبهة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهانها عن أن يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم

فقه إلى من هو أفعه منه»
سؤال : فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة » وعلم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعنى عن سببه ويترقى منه إلى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون وأتبعنا هذا الباب ما يقرب منه ويعد علينا التخلص عنه نعم يترقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منها عليه وهو أن الصورة للمنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص إدراك من دان به حين قال مخبرا عن إبراهيم عليه السلام حيث قال - أتعبدون ما تحتون والله خلقتكم وما تعملون - فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عبد

من دون الله سبحانه
أو ما حكى به ماهو على
مثاله ويرقى من ذلك
الغنى إلى أن القلب
الذى هو بيت بناء الله
ليكون مهبط الملائكة
ومحلا للذكر ومعرفة
عبادته وحده دون
غيره فإذا حلّ فيه
معبود غير الله سبحانه
وهو الهوى لم تقر به
الملائكة أيضا . فان
قيل فظاهر الحديث
يقتضى منافرة الملائكة
لكل صورة عموما وما
ذكرته تعليلا ينبغي أن
لا يقتضى إلا منافرة
معبود أو ما تحت على
مثاله . قلنا تشابهت
الصور للمنفرة كلها
في المعنى الذى قصد بها
التصوير لأجله وهو
مضاربة ذى الأرواح
وما تحت للعبادة إنما
قصد به تشبيه ذى روح
فلما كان هذا المعنى
الجامع لها وجب تحريم
كل صورة منافرة
للملائكة . فان قيل
فما وجه الترخيص فيما
رقم في ثوب فذلك لأنها
ليست مقصودة في
نفسها وإنما المقصود
الثوب الذى رقت فيه .

فأقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء
وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما قتره عن الالتفات
إليه قلبك فله سبحانه سرّ في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله فماله من هاد - ومن استبعد أن
يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجودا
ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره
فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات
فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادلّ عليه من العبارات وإن عقل كون السموات
السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرّة من القلب وأن كل ذلك
مرئى في مقدار عدسة من الحديقة من غير أن تحلّ ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحديقة
والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير
حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحلّ ذات الله تعالى بكتابة اسمه
في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا حرق . الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه
قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من
نوع القدم ما يجب للذات فلا تعتبره التغيرات ولا تحلّ الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد
الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لأنّ ما كان محل الحوادث لا يخلو عنه وما لا يخلو
عن الحوادث فهو واحد وإنما ثبتت نعت الحوادث للأجسام من حيث تعرّضها للتغير وتقلب الأوصاف
فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبئ على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما
الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق
ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك
الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذى دلّ عليه
قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت
له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم . الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته
وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم
الأزلى إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان
قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذا ينبغي أن يفهم قدم
علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بإحداث الحوادث في أوقاتها الثلاثة
بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو
مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة
أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث
إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلمه حتى بحياة
قادر بقدره ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من
هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم
فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قاتل بلا قتل
ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم
بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .
(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله و خلقه واختراعه لا خالق له سواء ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعمهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسروا قواكم أوجروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم لعلهم بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بمركة أبدان العباد والحركات متناهية وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والمملوكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثاني : أن أفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والقدر جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسبه وأما الحر كخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحر كة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة قسمي باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضاً وهو بالضرورة يدرك الفرقة بين الحركة المقدورة والعدة الضرورية أو كيف يكون خالقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدره العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلًا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجري في الملك والمملوكوت طرفة عين ولا فتنة خاطر ولا فتنة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضرر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يسئل عما يفعل وهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريد لها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسته زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المتبعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهاظهم أن أفعال العباد مخلوقة لله صبح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد

فان قيل فما بال الثياب رخص في محاسنها بالتصوير وذات أنواط في العرب مشهورة معلومة فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فاخر ثيابها وحلى نسائها لأجل اجتماعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والأصنام ولو كان ذلك ما سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والسيح عليه السلام وطى رضى الله عنه ولم يعبدا ما نحت على شكل النبات فلم تعبد من هذه الإذات روح فما أبعد عن دركها من حرمة الله تعالى إياها فله الحمد وهو أهله .

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعشيد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن أمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتناله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمر والنهي وكيف ينهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فان أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وإن أراد به المعنى الثاني فهم مسلم إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلاء ويعرّضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فمافي ذلك غبطة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكاف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجوز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألو اذلك فقالوا سر بنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهايم إيلام لها وما صاب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جرم . فان قيل إن الله تعالى يحشرها ويحاربها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل عملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يشيها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل لعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فان الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته عليّ فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتي في الصبا فساكن يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضله فيقول الله تعالى لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون يارب أمانعت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانارضينا بما دون منزلة الصبي السلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند.

[بيان أصناف أهل

الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد

المجرد عن تحصينه بالعلم

وتوثيقه بالأدلة وشده

بالبراهين فقد انقسموا

في الوجود إلى ثلاثة

أصناف أحدهم صنف

اعتقدوا مضمون

ما أقرّوا به وحشوا به

قلوبهم من غير تردد

ولان تكذيب أسروهم في

أنفسهم ولكنهم غير

عارفين بالاستدلال.

على ما اعتقدوا وذلك

لفرط بعدهم وغلظ

طبائهم واعتياص

طرق ذلك عليهم ويقع

عليهم اسم الوحيد

وتحققنا وجود أمثالهم

كثيرا على عهد سيد

الرسلين صلى الله عليه

وسلم والسلف الصالحين.

رضى الله عنهم ثم لم

يلغنا أنه اعترض

أحد إسلامهم ولا

أوجب عليهم الخروج

منه والعرف عنه ولا

كلفوا مع قصور فهمهم

وبعدهم عن فهم ذلك

بعلم الدلالة وقراءة

ترك البراهين وترتيب

الحجاج بل تركوا على

ما هم عليه وهؤلاء

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعزال . فان قيل ههنا
قد رعى رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح
مالا يوافق الغرض حتى إنه فذلكون الشئ قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما
دون الآخر حتى يستبيح قتل الشخص أو لياؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض
البارى سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف
في ملك الغير وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد
تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من خاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على
إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم من أراعى الأصلح نظرا
لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه
وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا
للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغیر فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب
العبد وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى
فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سياتر وإما
أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن
الشهوات لسببه وليس في المآل إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يشيب على المعصية والطاعة
ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما
اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد دلل من أخذ هذا من القياس بين الخالق والمخلوق حيث
يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل
فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر مالم ينظر للكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي إن
العقل ليس يوجب علي النظر والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدنى ذلك إلى
إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع إن وراءك
سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدق فيقول الواقف
لا يثبت صدقك مالم ألتفت ورأى ولا ألتفت ورأى ولا أنظر مالم يثبت صدقك فدل هذا على حماقة هذا
القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على المهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن
وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا إلى صدق
باللتفات إلى معجزتي وإلا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا
ضرر علي إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على « البلاغ البين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية
بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر
من الضرر ومعنى كون الشئ واجبا أن في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر
المتوقع فان العقل لا يهتدي إلى التهدي للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع
والعقل وتأثيرها في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ
لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستجيب بعثة الأنبياء
عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل
لا يهتدي إلى الأفعال النجبة في الآخرة كما لا يهتدي إلى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق إلى
الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون
يعدم مقبولون بما
توافقوا عليه من إقرارهم
وعقدهم والله سبحانه
قد عذرهم مع غيرهم
بقوله سبحانه لا يكاف
الله نفسا إلا وسعها ولا
يخرجون عن مقتضى
هذه الآيات بحال
وسبدي لك طريقا
من الاعتبار تعرف به
صحة إسلامهم وسلامة
توحيدهم إن شاء الله
عز وجل . والصنف
الثاني اعتقدوا الحق
مع ما ظهر منهم من
النطق واعتقدت مع
ذلك أنواعم الخائيل
قام في مخيلتها أنها أدلة
وطأنها براهين وليست
كذلك وقد وقع في
هذا كثير ممن يشار
إليه فضلا عن دونهم
فان وقع إلى هذا
الصنف من يزعم
عليهم تلك الخائيل
بالصدق ويطلبها
عليهم بالمعارضة أو
الاعتراض لم يلتفتوا
إليه ولا أضغوا لما يأتي
به ويرفعوا إلى أن
يجابوه لما يحملهم
عليه من سوء الفهم
أو رداة الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الخبايا في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطاع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقنعوا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يجرؤوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يسر انحلالها أو وقعوا في تكفير مسلم وتفضيله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلما من أغذية النفوس فمن رغب في أكتمها لم يقنع بدونها وإذا حصل له ذلك قوى به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح همته إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والعصاة وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتسييح الحصى (٢) وإنطاق العجاء (٣) وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدت بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسيه ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الاقفاء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالاتداء الأول. الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعه للسؤال له فان النائم ساكن بظاهرة ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسييح الحصى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجاء أحمد والبيهقي باسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعر الذي شكك إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحرمة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة خفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث وابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا في بيت المقدس وأرض الحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى - النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : اليزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فنصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقهوهم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعو إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يستل عما يفعل وهم يسئلون - . الأصل السابع : أن الأمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينتقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منارعة من معاوية في الامامة إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارتهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالآئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه للمشاهدون للوحي والتزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الآئمة من قريش » (٣) وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وإنما يهلك من لا باعة له ولا يحمدها أو يجدها ولكنها تكون مشابة ممن جاء بضرة بدعة وسموم كفر فلا تذهل عما يشار لك إليه وإنما المرغوب تنبيهك والله للستعان ولما بين المصنف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شكهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهمذا كانوا أحسن حالا . والمصنف الثالث أقروا واعتقدوا كإفعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الكاء والفتنة والنيقظ مالمو نظروا لعلوا ولو استدلو

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الآئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

لتحققوا ولو طلبوا
لأدركوا أسرار المعارف
ووصلوا ولكنهم آثروا
الراحة ومالوا إلى الدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستقوا الأعمال
الموصلة إليه وقنعوا
بالقعود في حضيض
الجهل فهؤلاء فيهم
إشكال عند كثير من
الناس في البديهة
ويتردد في حالم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تمهيد آخر ليس هذا
مقامه والاتفات إلى
هذا الصنف أوجب
خلاف للتكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفريق بين
بليد ومتيقظ وفطر
فهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولعلك تقول إن
مذهبهم المشهور أن
الحل لا يخلو عن
الصفات إلا إلى ضدها
فمن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر كما
أن من لم يحكم له
بالحرمة حكم عليه
بالسكون وكذلك

الاتحاد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى الإمامة وكان في صرفه
إثارة فتنة لاتطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأننا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يليق المسلمون فيه من
الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية الصلحة فلا يهدم أصل الصلحة
شغفا بمزاياها كالذي بينى قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلاؤ البلاد عن الامام وبفساد الأقضية
وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة
عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها
كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه
بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق
إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسألة] اختلفوا في أن
الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلزمه قبيل
إنيهما شيء واحد وقيل إنيهما شيان لا يتواصلان وقيل إنيهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ،
وقد أودر أبو طالب المكي في هذا كلاما شديدا الاضطراب كثير التطويل فلنجهز الآن على التصريح
بالحق من غير ترجيح على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين
في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث
الأول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن
الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أي بمصدق والاسلام عبارة عن
التسليم والاستسلام بالاذعان والاقبياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب
واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم
وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والاقبياد والجوارح فموجب اللغة أن
الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق
تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد
باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما
الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين -
ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين -
وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس ^(١) » ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة
عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ^(٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام
الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال
« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالْحساب والقدر خيره

(١) حديث بنى الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث مثل عن الإيمان
فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون
ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا
رمضان وتحجوا البيت الحرام ، والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزادوا أن تؤتوا
خمساً من اللغز .

وشهره فقال في الاسلام فأجاب بـ (الحاصل المسألة) « فسر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالتور والاعمال وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعلمه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) » وأما التداخل فيروى أيضا أنه سئل « قليل أي الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان (٣) » وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إيمان القلب وإيمان اللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسمين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنينا به بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أي الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعي، والاسلام والإيمان حكمان أخروى ودينوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

الحياة والوالت والعلم والجبل وسائر ماله من الصفات قلنا فلان صح ذلك في الصفات التي هي أعراض فقد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام الإيمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهو لا يخالفوا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة المشروطة في صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشدوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم أموا بقول من جعل المعارف

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعلمه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال الإيمان قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخاري منهما ، وله تعليقاً من حديث

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد الاعتقاد وعددوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسيية وإنا نرى نواحي العبارة على مواضع العلوم والإفهام إذا نهوا وأعلوها وتلطف بهم في تفهيمها بالزوال إلى ما ألقوه من العبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نهوا عليه وسارعوا إلى الفيتة ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نصحه أو رآه فنسيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فن قائل إنه مجرد العقدة ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزبدنا أن وهو العمل بالأركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وسوقى منزلة بين المنزلتين وهو محلد في النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب السكي العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشرح بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الإجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به (١) » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فتزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنًا من نفس الإيمان ولا شرطًا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي يتركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التي يتركها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصير إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمة الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة وقول هو مؤمن غير محلد في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصي فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندها متصل بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلان شك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه محذوف في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطاع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإنما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الديني في ما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدى فهل يحمل لى بينى وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيجوز أن يقال أحكام الدنيا منوطه باتمول الظاهر ظاهراً وباطناً ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحمل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقى عن الحرام أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مانقضا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قهفية ظنية تبني على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والراسم في العلوم . فان قلت فإشبهة المعتزلة والرجئة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً - ولقوله عز وجل - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - الآية وقوله تعالى - كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله : - فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء - ق قوله كلما ألقى فيها فوج عام فينبغى أن يكون كل من ألقى في النار مكذباً ولقوله تعالى - لا يصلاها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفى ولقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى - والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً - ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العصاة ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن جاء بالسيسة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون (١) بل قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى - لا يصلاها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقي شخصاً معيناً أيضاً وقوله تعالى - كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها - أى فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس بصين أقوام اسفح من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتى في ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفاً بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من المتكلمين أيضاً أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة للشرطة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل الغلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقي الزلف ما يفي فيها بذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أوصاف

أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تمة ماجرى فلتعلم أن ما منهم صنف الأول على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأصفي الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان

الايمن على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق . الحالة الثانية أن لا يعتقدوا إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا نفر ولم تنصف إليه في اعتقاده سواء هل يكون مؤمناً أو مسلماً أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حتى لاغير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملاً لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقاً ولا باطلاً ولا صواباً ولا خطأً ولكن التقدير الذي يعتقده من الأركان الثلاثة موافق للحق غيب منسوب لغيره . الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد في باقي الصفات على ما لاوافق الحق ماهو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما المعتزلة فشبّهتهم قوله تعالى - وإني لفجار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً - ثم قال - ثم ننجي الذين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها - وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى - ويفر مادون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصية واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمناً متعمداً - أي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فان قلت قد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فإمعناه قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدائها لتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعده وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ^(١) » والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملاً كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية . (مسئلة) فان قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمصية فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول ومالأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشئ لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالأدب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فلاشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا المداهنة ولم نكثر بثغيب من تشعب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف والاشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشدد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الحيط مثلاً ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيماناً - وقال تعالى - ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فيما يروي في بعض الأخبار «الايمن يزيد وينقص»^(١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدرك إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرب دليلاً بحسور القلب مع أوقات الفتور وإن ذلك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عتقه استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يشتد في التيمم معنى الرحمة إذا عمل بمحسب استغفاره فسهج رأسه ولطيف به أدراك من باطنه تأكيد الرغبة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك مستند التواضع إذا عمل بمحسب عجزه عن العمل أو ساجداً لغيره أحسن من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الشكوة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويؤيدنها وسيأتي هذا في ربيع الزججات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة للدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب للدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط وقته بين العالمين انتهى إلى حسد ظن بعض الناس اتحاد أخذها بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددها ثم ارتبط بها عبر عنه فقال:

رق الزجاج ورقته الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قبح وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم الكاشفة تتسلسل كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه : إن الايمان ليدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمان نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الحتم وتلا قوله تعالى - كلاب ران على قلوبهم - الآية . الاطلاق الثاني : أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الايمن بضع وسبعون باباً»^(٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يرزى الزاني حين يرزى وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الاطلاق الثالث : أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانسراح الصدر والمشاركة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكن أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنيتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فان اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يعتمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون باباً وذكّر بعد هذا فزاد فيه: أدناها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها ذكركه ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل
نجاه ومساك خلاص
ووصف إيمان أو إسناد
وسواء في ذلك السلف
الأول والثاني من أهل
الاعتقاد ويبقى السلف
الثالث على محتملات
النظر كما ينهك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الاقتدار على
الوجود الفرد أو الوجود
ووصف آخر معه مع
الحلو عن اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالمقدمون من السلف
لم تشهر عنهم في صورة
المسئلة ما يخرج صاحب
هذا العقد عن حكم
الايمن والاسلام
والتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقد وجود الله
عز وجل وأظهر
الاقرار بنيه صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يبعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأجلاف والرعان
وضعفاء النساء والأتباع
على هذا بلامزيد عليه
لو شأوا واستكشفوا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أو بقاء أو كلام

ويفلا وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض المواضع في خبر آخر « مثقال دينار (١) » فأى معنى لاختلاف مقادير ما كان في القلب لا يتفاوت (مسئلة) فان قلت ما وجه قول السلف أن المؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يعتقدون عن جزم الجواب بالايمان ويعتزون عنه فقال صفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وصحيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو صميما أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال صفيان ذلك قيل له فإذا تقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله قليل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمنى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم بن أدهم إذا قيل لك أمؤمن أنت قتل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لعقمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فإما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الايمان ولكن في خاتمة أو كاله وجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة التردد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو شغل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن شيئا إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا إحالة وأنه شاء ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » والحقوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فإذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وبياتي في ذكر الموت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

أو ما شاك ذلك وهذا له صفات معنوية ليست هي هو ولا هي غيره ربما وجدوا مجهولون حسنا ولا يقولون وجه ما مخاطبون به وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووجدانيته مع الاقرار بالنبوة من حكم الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قد رفع القتال والقتل وأوجب حكم الايمان أو الاسلام لمن قال لا إله إلا الله واعتقد عليها وهذه الكلمات لا تقتضى أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة في الظاهر وعلى البدئية من غير نظر ثم معناه عمن قالها في صدر الاسلام أنه لم يعلم بعدها إلا فرائض الوضوء والصلاة وهيئات الأعمال البدنية والكف عن أذى السلم ولم يبلغنا أنهم درسوا علم الصفات وأحوالها ولاهل الله تعالى عالم يعلم أو عالم بنفسه وهو باق ببقاء أواباق بنفسه وأشباه

معنى الرغبة وكذلك العذر إلى متى التأخر . بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى تقوم مخصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فانتسبوا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا يتدقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالمهد والسبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقابل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال ﷺ « الإيمان عريان ولباسه التقوى (١) » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضغ وسبعون بابا أدناها إمطة الأذى عن الطريق » فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحفي فقول صلى الله عليه وسلم « أربع من كنَّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر (٢) » وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والصديد فأى اللادتين غلب عليه حكم له بها (٣) » وفي لفظ آخر « غلبت عليه ذهبته به » قال عليه السلام « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها (٤) » وفي حديث « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا (٥) » وقال حذيفة رضي الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات (٦) » وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكأله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى من غيبه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لانفاق اليوم فقال بأخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبئت للمنافقين أذنان ما قدسرتنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنَّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسيأتي في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخاري إلا أنه قال شر بدل أكثر .

هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذه إلا معانيد أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يدعى لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلاوة في النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولعلك تقول قد قال في مواطن أخرى إلا يحقها ثم تقول اعتقاد باقي الصفات التي بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعزّ وكأله من حقها نعم هي من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر وهذا وأنت

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من الثقال إلى النيرة والخرلة من الايمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء أمثالهم المرادين لأن التقدير وقع في الايمان لافي الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الايمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف عن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجهه الاعتراض على هذا المذهب ونهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدأ له أنه تسبب إلى ما يظهر له من تصويره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولآخر من حسنة الركون إلى ما أرباه أولى من رأيه وأحق بالصواب

«وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تتكلم فيه فقال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قومًا يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم أني برئ من النفاق أحب إلي من تلاح الأراض ذهبًا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فيبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم» (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم ألتعلم قيل له أخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» (٣) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فسكنت في كفة السيئات وقال سرى السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غطاه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المناققين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر خفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكاله وصفاه لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلفين في النار والثاني يفرض بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمر آخر لا يخلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع : وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الحاتمة فانه لا يدري أي سلم له الايمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أ كنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فيبيناهم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبرز والدارقطني من حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولا من شر ما لم أعلم . الشامل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لم أعلم .

الذي هو ضحوة النهار من شدة حره فقال أنا أتم قلما فلو أقبلت في أثناء نهاره بسند ذلك لكان كذبه إذ كانت الحارة فوقه على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكذا أن النار ميثاق التمام العموم فالصوم ميثاق تمام صحة الايمان ووصفه بالعبادة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والماتية عنوة ولأنها كان بكاء أكثر الجاهل لآجل أنها مرة القضية السابقة والاشبهة الأخرى التي لا تظهر إلا بظهور القضية به ولا مطاع عليه لأحد من البشر في غير الطاعة تخوف السابقة وربما يظهر في الحان ما يثبت الكفاية بقية فمن الذي يدرى أنه من الذين يثبت لهم من الله الحسن وغيره معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة نارنا بالحق - أي السابقة يعني أظهرها . وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبرز الدراء رضى الله عنه يخطب بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سابه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سره الخاتمة فعوذ بالله من ذلك وقيل من عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالاقراء . وقال بعض السلف لو عرضت على الشهادة عند باب الدار الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التمييز عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل (١)» وقيل في قوله تعالى - وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا - صدق لمن مات على الإيمان وعدل لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - والله عاقبة الأمور - فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمر فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقى هو القبول والقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطاع عليها إلا رب الأرباب جلّ جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نتج به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربح العبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلىظ بعباده فتعبد بهم بالظافة ، وأفاض على قلوبهم تزيكية لسراهم أنواره وألطفه ، وأعدّ لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالركة والظافة ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركتها يوم الحافة ، وتنصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بني الدين على النظافة (٢)»

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان .

والمدى عن مسنده ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سبب الإيمان عنهم لم يبقوا اسم الكفر عليهم ثم رخصوا على الاستئابة إن كانت من مذنبه ثم يحكم فيه بالقتل والاستترافا فإنا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه ونقص ما قالوا إليه فترجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البسدة في الصفات أو بعضها فان حكما بصحة إيمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يتبعوا فيه بوجه قصد قطعهم عن إيصال العذر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردهم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا المنع عن الاقلاع والرجوع

بالمقوبة المؤلفة دون
قتل كان ذلك وإن
قالوا بالموت لم ينصروهم
في اعتقادنا عن أرباب
الحالة الثانية المذكورة
قبلهم والله أعلم بالناجي
والهالك من خلقه
والمطيع والعاصي من
عباده هكذا ينبغي أن
يكون مذهب من نظر
في خلق الله تعالى بعين
الرأفة والرحمة ولم
يدخل بين الله عز وجل
وبين عباده فيما غاب
عنه علمه وعدم فيه
سبيل اليقين وفهم
معنى قوله عز وجل
- ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عندنا
مسئولاً - . فإن قلت
وأين أنت من تكفير
كثير من الناس لجميع
أهل البدع عامة وخاصة
وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في القدرية
« إنهم مجوس هذه
الامة » وقوله صلى الله
عليه وسلم « متفترق
أمم إلى ثلاث وسبعين
فرقة كلها في النار إلا
واحدة » وقال عن

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ^(١) » وقال الله تعالى - فيخرجهم من حيث يحبون أن يطهروا
والله يحب المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان ^(٢) » قال الله تعالى
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفتن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهم الأمور تطهير السرائر إذ بعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان »
عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخبار والأقذار هيئات
هيئات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخبار
والفضلات . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق المذمومة والذائل الممقوتة . للرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صلوات الله عليهم والصدّيقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل
ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعان
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق
المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائصها من العقائد الفاسدة والذائل
الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط
الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن الناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فهذه
مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل
إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق
الذموم وعمارته بالخلق الحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن الناهي
وعمارتها بالطاعات وكلما عزّ المطالب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنّ
أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوى ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالتشرة الأخيرة الظاهرة بالاضافة إلى اللب المطلوب فصار
يعنى فيها ويستقصى في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنانه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم في أمر
الظاهر حتى إن عمر رضي الله عنه مع علو منصبه تواضعاً من ماء في جرّة نصرانية وحتى إنهم
ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم وعدوا
الأشنان من البدع المحدث ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات
ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام
الصلاة فندخل أصابعنا في الحصى ثم نفرّكها بالتراب ونكبر ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث عليّ قال الترمذي هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الإيمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ شطر كما في الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة
فندخل أصابعنا في الحصى الحديث ه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة .

« ما كننا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كننا إذا كنا النمر مسحنا بها (١) » ويقال أول مظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والأشنان واللوائد والشبع فكانت غمايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في التعلين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع بعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعلهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتهم نعالكم (٢) » وقال النخعي في الذين يخلعون نعلهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا خلعت النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصاون في المساجد على الأرض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت التوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبقى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسة والباطن خراب مشحون بنجائات الكبر والعجب والجهل والرياء والفتاق ولا يستكفون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم أو تواضعا من آية عبور أو رجل غير متكشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زميرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه .

فان قلت أفقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المخطورات أو المنكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكاف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار الملقح به لدفع التبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من اللباحت وقد يفترون بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فيأن يحمل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بنى الدين على انظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المخطور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فيأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فاذا لم يفتن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قرينة بالنية ولكن لا يمتسر ذلك إلا للباطنين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يحدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كننا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلع نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية » والأحاديت الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام المتقين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل مجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يرقون من الدين كما يرق السهم

بصر فوامن أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفوس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الاتفاف به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات القربين ولا ينبغي للبطل أن يترك النظافة وينسكب على التصوفة ويزعّم أنه يتشبه بالصحاب إذ التشبه بهم في أن لا يفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذن افارغ فلماذا لأرى للعالم ولا للتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصار تقصير في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوعة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوعة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدقون نظرها في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فظفر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يعدّون حمام الذهب لاستنباط مثل هذه الرقائق لافى احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العاى ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل اللباس في نفسه فيمتنع عليه المعاصى في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العاى أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نكلم إلا في المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لأننا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدنا إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحداً واستعمال النورة والختان وغيره .

(القسم الأول في طهارة الحث والنظر فيه يتعاق بالزوال والمزال به والازالة)

(الطرف الأول في الزال)

وهى النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل متبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والحزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدى والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالدباب والخنفساء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسمان : أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس . الثانى الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل ننجس إلا ما هو مادة الحيوان كاللبن والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة : الأول أثر النجوس بعد الاستحجار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج . والثانى طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب للتلطخ به إلى تفريط أو سقط . الثالث ما طلى أسفل الحف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد ذلك للحاجة . الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته . الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصيد وذلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه

من الرمية فقد قال .
متصلا بهذا القول
وتنمى في الفرق وما
موضع هذا التمازى
من المثل الذى ضرب به
فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمألى
أراك تلاحظ جهة
وتترك أخرى وتذكر
شيئا وتذهل عن غيره
عليك بالعدل تكن
من أهله واستعمل
التفطن تشاهد
العجائب المعجبة
وتفهم قول الله
- وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس
ويكون الرسول
عليكم شهداء - .

[فصل] ولما كان

الاعتقاد الجرد عن
العلم بصحته ضعيفا
وتفرده عن المعرفة
قريبا من رآه ألقى
عليه شبه القشر الثانى
من الجوز لأن ذلك
القشر يؤكل مع ما هو
عليه صونا وإذا انفرد
أمكن أن يكون طعاما
للحجاج وبلاغا للجائع
وبالحيلة فهو لمن لاشئ
معه خير من قدمه

شخرج منها الدم وصلّى لم يغسل رقبته معناه ما يترشح من لطخات الدمامل التي تدوم غالباً وكذلك أثر القدم إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخالو الإنسان عنها في أحواله ومساحة الذرع في هذه النجاسات الخمس تترك أن أمر الطهارة على التسهّل وما ابتدع فيها وسوسة لأصل لها .

(الطرف الثاني في الزال به)

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما اللامعات فلا تزال النجاسات بشيء منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً»^(١) وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة الجارية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحته لأن جريات الماء متفصلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقفاً من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أودّ أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لمعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله وما لأشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى للمواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكد الكثرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضحاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالباً تعلم بظن قريب فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة^(٢) وعدم تغطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنابير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجابة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإجابة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأى فرق بين الجاري والراكد وليت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إصغاء الاناء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل المعرفة وغير منوط بشيء من الأدلة تنقيها فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعميط والكفر ومقرب ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الخرج والنكر . [بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقرّبين] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بمحصله كما قدره العزّ بن العليم واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للمسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة

والحد الثالث في عمرات ذلك التوحيد وما يليق أهله به ويطلبون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد الزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل للصغير والكبير مأموره ومشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بعث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناء وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتموه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وإياه عنى رسول الله

شعري هل الخوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع فلتان فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في فلتين ثم فرقنا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشرفيه وهو قليل ولت شعري هل لتعديل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الحالية يتوضأ فيها المتكثفون ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير . وعولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أو ريحه (١) » وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى السكب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة السكبية عنه فكذلك الحل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أولونه أو ريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد الفلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي إصغاء الاناء للهرة ولا تنظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا ببولوغ السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » فهو في نفسه مبهم فانه يحمل إذا تغير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ فلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها يمكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره في الحل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي يقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي القدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان فلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا يقلب عليك فاتها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فمبلى في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحمل المادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل .

(الطرف الثالث في كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحلت والقرص أما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر إزالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحلت والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه من حديث أبي أمامة بأسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره .

والزبل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة يقيّن فيا لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يتينا
يتبلى معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث :
ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفية طهارة الأحداث مع آدابها وسنّها
مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

(باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجده وأن لا يكشف عورته
قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها
إلا إذا كان في بناء والعدول أيضا عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتة جاز وكذلك
بذيله وأن يتقى الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في
الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاهها من رشاشه وأن يتكى في جلوسه
على الرجل اليسرى وإن كان في بنية يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول
قائما قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه (١) »
وقال عمر رضي الله عنه « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : يا عمر لا تب
قائما (٢) » قال عمر فابلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة
والسلام بال قائما فأتته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه (٣) » ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم
« عامة الوسواس منه (٤) » وقال ابن المبارك قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره
الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس
منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله
صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس
النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى عليّ
ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد الببل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع
الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنجيع والتثلاثا وإمرار اليد على أسفل القضيبي ولا يكثر التذكير في
الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك
فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله
عليه وسلم فعله أعنى رش الماء (٥) وقد كان أخفهم استبراء أقفهم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي
حديث سلمان رضي الله عنه « علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الحراة فأمرنا أن لا نستنجي
بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول (٦) » وقال رجل لمض الصحابة من العرب وقد

صلى الله عليه وسلم بقوله
« من سئل عن علم
فكتمه ألجم يوم
القيامة بلجام من نار »
وجميع ذلك محصور
في اثنتين العلم بالعبرة
والعمل بالسنة وهما
مبنيان على آيتين
الحرص الشديد والنية
الخالصة والسرف في
تحصيلهما اثنان نظافة
الباطن وسلامة
الجوارح ويسمى
جميع ذلك بعلم العامة
وأما الحد الثاني فالكلام
فيه أكثر ما يكون على
طريقة ضرب الأمثال
تشبيها بالرمز تارة
وبالتصريح أخرى
ولكن على الجملة بما
يناسب علوم الظواهر
ولكن يشرف بذلك
اللييب الخاذق على
بعض الراد ويفهم منه
كثيرا من المقصود
وينكشف له جل
ما يشار إليه إذا كان
سالما من شرك التعصب
بعيدا من هوة الهوى
نظيفا من دنس
التقليد ، وأما الحد
الثالث فلا سبيل إلى
ذكر شيء منه إلا مع
أهله بعد علمهم به على

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن ه قال
ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما
فقال يا عمر لا تبلى قائما ابن ماجه باسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر
لعمر (٣) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٤) حديث قال في البول
في المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت
واسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو لا يتضح د ن ه من حديث سفيان بن الحكم
الثقفي أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحراة الحديث م وقد تقدم في قواعد العقائد .

سبيل التذكار لا على
التعليم إنما كانت أحكام
هذه الحدود الثلاثة
على ما وصفناه لأن الحد
الأول فيه محض النصح
للخلق واستنقاذهم من
غمرة الجهل والتسكيب
بهم من مهاوى العطب
وقودهم إلى معرفة هذا
القام وما وراءه مما هو
أعلى منه مما لهم فيه
الملك الأكبر وفوز الأبد
وقد بين لهم غاية البيان
وأقيم عليه واضح
البرهان وهو يومئذ
الطريق وأول سبيل
السعادة فمن عجز عن
ذلك كان عن غيره
أعجز ومن سلكه على
استقامة فالغالب عليه
الوصول إن شاء الله لا يضيع
أجر من أحسن عملا
ومن وصل شاهد ومن
شاهد علم وذلك غاية
الطلوب ونهاية المرغوب
وال محبوب ومن قعد
حرم الوصول وما بعده
فضل الله المجاهدين على
القاعدين أجرا عظيما
ومن غاب لم تنفعه
الأخبار ولم يفده
كثير من الأحاديث
وأبضا فان الإخبار
بما وراء الحد الأول

خاصمه لأحسبك تحسن الخراء فال بلى وأنيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المرد
وأستقبل الشيخ وأستدبر الريح وأقوى إقعاء الظبي وأجفل إجمال النعام . الشيخ نبت طيب الراحة
بالبادية ، والاقعاء ههنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يقول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه^(١) فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليعين للناس ذلك .

(كيفية الاستنجاء)

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار فان أنقى بها كفى وإلا استعمل ربا فان أنقى استعمل خامسا لأن الاقاء
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر^(٢) » يأخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر
كذلك ويمره إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فان عسرت الادارة ومسح
من المقدمة إلى المؤخر أجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن
لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتبتين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على
الحجر وإن حصل بالربعة استحب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى
بالماء بأن يفيضه باليمين على محل النجوة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللس ويترك
الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فظهره أن
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن
فرجي من القواحش ويدلك يده بمحائط أو بالأرض لإزالة للراحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر
مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قال
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجتمع بين الماء والحجر^(٣) »

(كيفية الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ وابتدئ
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهمكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك^(٤) »
فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فقه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
« صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر
فليوتر متفق عليه في حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن
يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البراز من حديث ابن عباس بسند ضعيف
ورواه ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر
وقول النووي تبع لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم
(٤) حديث إن أفواهمكم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه موقفا على
وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم
في كتاب السواك من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف ورواه ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث
عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

والثاني على وجهه
لو كشف للخلق كافة
وأمكن بما أعد من
الكلام وجرى بين
الناس من عرف
التخاطب كان فيه زيادة
محنة وسبب فيه إهلاك
أكثرهم ممن ليس
من أهل ذلك المقام
وذلك لغرابة العلم
وكثرة غموضه ودقة
معناه وعلوه في منازل
الرفعة وبسده بالجملة
والتفصيل من جميع
ما عهد في عالم الملك
والشهادة وخروجه
عن تلك الحدود والألوفة
ومباينته لكل ما نشوا
عنه ولم يشاهدوا
غيره من محسوسات
ومعقولات وضروريات
ونظريات فلما كان
لا يدرك شيء من ذلك
بقياس ولا يتصور
بواسطة لفظ ولا يحمل
عليه مثل كما قال عز
وجل : فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة أعين
وحكى عن ابن عباس
رحمه الله أنه قال ليس
عند الناس من علم
الآخرة إلا الأسماء وأراد
من لم ينكشف له
شيء من علمها وحقائقها

« لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا (٢) » أي صفر الأسنان « وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا (٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « لم ينزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء (٤) » : وقال عليه السلام « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفهم ومرضاة للرب (٥) » وقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم (٦) . وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفية أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما ينحش ويزيل القلق ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبها وعند تغير النكبة بالنوم أو طول الأزم أو أكل ماتسكرة راحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبلا القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى (٧) » أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث وأستباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه يمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويغترغر بأن يرد الماء إلى الفلصة إلا أن يكون صائما فيرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكرك ثم يأخذ غرفة لأفقه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه الزنتان اللتان على طرفي الجبين فيها من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكشيفة فلا وحكم العنفة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب دوالبعوى من حديث عامر بن العباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم ينزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفهم مرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقدرناه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند دت وصححه أن يزيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أدن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب.

في الدنيا وأيضاً فلابد من
الاخبار بها لغير أهلها
لم يكن لهم سبيل إلى
تصورها إلا على خلاف
ما هي عليه بمجرد
تقليد ويتطرق إليه
من أهل الغفلة وذوى
القصور جحود وتباعد
فلهذا أمروا بالكتف
إشفاقاً على من حجب
من العلم ولهذا قال
سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « لا تحذثوا
الناس بما لم تصله عقولهم
أتريدون أن يكذب
الله ورسوله » وقال صلى
الله عليه وسلم « ما حدث
أحدكم قوماً بحديث لم
تصله عقولهم إلا كان
عليهم فتنة » وعلى هذا
يخرج قول المشايخ
إفشاء سر الربوبية
كفر زقنا الله وإياكم
قلوباً واعية الخير إنه
ولى كل صالح وإذا
علمت أن الحد الأول
قد تقرر علمه في كتب
الرواية والدراسة ومثلت
منه الطروس وكثرت
به في المحافل للدروس
وهو غير محجوب عن
طالب ولا ممنوع عن
راغب قد أمر الجهال
به أن يتعلموه والعلماء

من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى
أنه عليه السلام فعل ذلك^(١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول
عنده اللهم ينحس وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود
وجود أعدائك ويغسل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثاً
ويحرك الحاتم ويغسل الغرة ويرفع الماء إلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غراً محجلين من آثار
الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل^(٢) » وروى أن الحلية تبلغ
مواضع الوضوء^(٣) ويبدأ باليمين ويقول اللهم أعطني كتابي بيمينى وحسابي يسيراً ويقول عند
غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن
يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمينى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدها إلى القفا ثم
يردها إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثاً ويقول اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من
بركاتك وأظنى تحت ظل عرشك يوم لا ظلك لإظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن
يدخل مسبحة في صاخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهاراً
ويكرره ثلاثاً ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادياً
الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من الغل
يوم القيامة^(٤) » ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجليه
اليمنى ثلاثاً ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم
بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار
ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين
ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً
وظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم اللهم
اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبداً صبوراً
شكوراً واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكراً وأصيلاً يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على
وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم
القيامة . ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « توصاً عليه
السلام ثلاثاً وقال من زاد فقد ظلم وأساء^(٥) » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء
والطهور^(٦) » ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور^(٧) وقال إبراهيم بن أدهم يقال

(١) حديث إدخاله الأصبع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي
أمامة كان يتماهد للمائقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم
(٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث
تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من الغل
أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث توصاً ثلاثاً ثلاثاً
وقال من زاد فقد أساء وظلم دن واللفظ له وه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
(٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور د ه وابن حبان وك من حديث
عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلاً .

إن أول ما ينبغي أن يتبين من قبل الباحث ، ودل الحسن إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء .
يتلوه الولمان ويكره أن يفتن اليد فيرضي الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن ياطم وجهه بالماء
لأنه أكره قوم التفتيت وقالوا الوضوء يؤمن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ رضى
الله عنه « أنا عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه (١) » وروى عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم
كانت له منشفة (٢) » ولكن طار في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صغر وأن
يتوضأ بالماء الشمس وذلك من جهة الخب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما
كرهية إناء الصغر وقال بعضهم أخرجه لسببه ما في إناء صغر فأبى أن يتوضأ منه وتعل كراهية
ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومعهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبى أن
ينظر بياله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبى أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير
تلهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وينبغي أن تطهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق
الدمومة والتخلق بالأخلاق الحيدة أولى وأن من يقتصر على تطهارة الظاهر كمن أراد أن يدسو
مساكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالذورات واشتغل بنجس ظاهر الباب البرانى من الدار وما أجد
مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء
من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٣) » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه »
وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على
المكاره وتقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات (٤) » « وتوضأ
صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ
مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء
خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام (٥) » وقال ﷺ « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن
لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء (٦) » وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر
حسنات (٧) » وقال ﷺ « الوضوء على الوضوء نور على نور (٨) » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده
ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا
يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى
ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه
فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من
حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما و د من حديث زيد بن
خالد ثم صلى ركعتين لاسهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به
الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله
الصلاة إلا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه
طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف (٧) حديث من
توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٨) حديث
الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له أصلاً .

أن يذله ويذله
ولا يذله فيه
ولما كان حجب الجسد
الثالث السكتهم نارة
وتسكتهم السكتهم عنه
مع غير أهله على كل
بال لم يكن لنا سبيل
إلى تعد إلى محدودات
الشرع فلنن العنان
إلى الكلام بالذى
يليق بهذا الخلال والمقام
فتقول : أرباب المقام
الثالث في التوحيد وهم
للمقربون على ثلاثة
أصناف ، وعلى الجملة
فكلهم نظروا إلى
الخواص وأعلامات
الحدوث فيها لأخمة
وعاينوا حالات الافتقار
إلى الله تعالى عليهم
واضحة ومعمو أجملها
تدل على توحيد
وتفريده راشدة واضحة
ثم رأوا الله تعالى بإيمان
قلوبهم ، وشاهدوه
بغيب أرواحهم
ولاحظوا جلاله وجماله
بحفى أسرارهم وهم مع
ذلك في درجات القرب
على قدر حظ كل واحد
منهم في اليقين وصفاء
القلب وهؤلاء الأصناف
الثلاثة إنما عرفوا الله
سبحانه بمخلوقاته

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشنار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أطراف رجله ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافذة له ^(١) » وروى « إن الطاهر كالصائم ^(٢) » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا ذا كرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

(كيفية الغسل)

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءا للصلاة كما صفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم يبدل ما قبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس والحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خفف وليس على المرأة تقص الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعده من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب بأربعة مخارج الماء والتقاء الحنايين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والأعياد والأحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولن غسل ميتا فشكل ذلك مستحب .

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانعه عن الوصول إليه من سبب أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعطش رقيقه أو كان ملسا لغيره ولم يعبه إلا بأكثر من ثمن الثلث أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصابحي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند من من حديث أبي هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصرا (٢) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند من دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

واقسامهم في تلك المعرفة كاتقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كماله ومن حافظ لجميعه لكنه متلعم فيه متوقف على الانهماك في قراءته ومن حافظ في تلاوته غير متوقف في شيء منه وكأهم ينسب إليه ويعد في المشهد والمغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخالقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات ما يغني عنه ومن قارى جميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبادة ومن ماهر في قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة في رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء في فراغه وشغله وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوى عند ذلك استبابة الصلاة ولا يكلف إيصال القبار إلى ماتحت الشعور خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالقبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الخان ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى بظهور أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقاب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمررها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى الرقبة بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به القرض فله أن يتنفل كيف شاء فإن جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم .

(القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة ، وهي نوعان أو ساخن وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية)

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالنظافة عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ^(١) » ويقول عليه الصلاة والسلام : « ادهنوا غبا ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها ^(٣) » أي ليصنها عن الأوساخ « ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ^(٤) » الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع .

الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرأة في سفر ولا حضر ^(٥) » وهي سنة العرب وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ^(٦) وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ^(٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله غبا الترمذي في الشمائل بأسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الشمائل أيضاً بأسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند ت ن من حديث عبد الله بن مغفل النبي عن الترجل إلا غبا بأسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمها وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر بأسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطولاً (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت في الشمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند ت .

والفناء والبقاء ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لدوى الأفهام من شمس النهار وقت الزوال وعلمت لم سمى أهل هذه المرتبة مقرر بين فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن إحدى الحالتين عماء البصيرة وانطاس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعداً مأخوذاً من البعد عن محل الراحة والنزل الواجب وموضع العبادة والأنس والانتفاع في مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفسار والوحشة والحالة الثانية عبارة عن افتقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة

والعقل وعمار البيت
بمشاهدة ما غاب عنه
أهل الغلة والنهر
ولكنه يدل على أنه لم
يصل لملك تقول أرى
بعض أئمة الكلام عن
لحوق هذا المقام كأن لم
يضر بوا فيه بسهم ولم
يفز قدحهم منه بحظ
ولاسهم وأراهم عند
الجمهور في الظاهر
وعند أنفسهم أنهم
أهل الدلالة على الله
تعالى وقادة الخلق إلى
مرادهم ومجاهدون
أرباب النحل الرديئة
واللئالضالة للهلكة
وقد سبق في الإحياء
أنهم مع العوام في
الاعتقاد سواء وإنما
فارقوهم بإحسانهم
حراسة عقودهم . فاعلم
أن ما رأيت في الإحياء
صحيح ولكن بقي في
كشفه أمر لا يخفى على
المتبصرين ولا يغيب
عن الشاذين إذا كانوا
منصفين وهو أن
التكلمين من حيث
صناعة الكلام فقط لم
يفارقوا عقود العوام
وإنما فارقوهم بالجدل
عن الانحراف . والجدل
علم لفظي وأكثره

وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها
« اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوى من رأسه
ولحيته فقلت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه
إذا خرج إليهم ^(١) » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيها
للملائكة بالحدادين وهيئات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من
وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا
تستغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تفيهم وهذا القصد واجب على كل عالم
تصدي الدعوة للخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه
والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالترزين
على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة المبالاة بالنفس مخدور وتركه شغلا
بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبس
غير راجح عليه بحال وكمن جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى
غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم
إرغام المتبدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم
ييعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ، فعند ذلك تميز السيكة الخالصة من البهجة فتعود بالله
من الخزي يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب
لا تنسك غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم ^(٢) . السابع تنظيف الرواجب ^(٣) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم العرب بتنظيفها وهي رءوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها
المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً ^(٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار ^(٥)
وجاء في الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له
كيف نزل عليكم وأتم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجبكم وقلح لا تستاكون مر أمتك
بذلك ^(٦) » والأف وسخ الظفر والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - تعبهما أي بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوى من رأسه
الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدي وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم
الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر بقوا براجكم ولا بن عدي في حديث
لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا تواضاً ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم
(٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ
عناك جبريل قليل ولم لا يبطأ وأتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا
تنظفون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت في قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من
حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي
يكون بين الأظفار فقال دع ما يريك إلى ما لا يريك (٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه
جبريل قال له كيف نزل عليكم وأتم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا حديثين

تست الظفر من الزيت وقيل لا تضاف بهما كما تنادى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن يرشع الدرق وعبار الدارق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لقائده ولا بأس بطالب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فإن تسلط على أمرها وإزالة التبرع عنها إلا سيده ويمنع الآلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إيحاة مس ما ليس بسوأة لازالة الوسخ استمال ولكن الأفيس التحريم إذا لحق مس السوأتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الخدين ، والواجبان في عورة الغير أن يفض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النبي عن المنكر واجب وعايه ذكر ذلك وليس عليه الغزال ولا يمسقط عنه وجوب الذكر إلا لحوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعصية وذلك يؤثر في تنبيه الأمر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ومثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لاسيما ماتحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يبدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحریم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام ورؤى ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن عشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصده لتنظيف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فليسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجحالة من أحد العوضين وتطيب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلاء أو يتكلم تخلية الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمخاططين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكور للنظر في العورات ثم لا يخلو الانسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضي الله عنهما عينيه ، ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مشوئة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقبسه إلى جهنم فانه أشبه بيت جهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دار معمورة مفروشة فاذا تقدمتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى اثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتياط ونهي وهو عمل النفس وتخليق اليهم وليس بشجرة للمشاهدة والكشف ولا قبل هذا كان فيه السمين والنفس وشاع في حال النضال إيراد القطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم والقام المثار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم للمضارع للضرورة بأن لا إله إلا الله إذا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ومن أين للنازل طمأنينة للنازل ومالعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار ولقدار في أوقات الضرورات والاختيار

وبين ما يراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينم عن ذوي اليقين البشير ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الدين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان إليهم لا يقول في أكثرهم إنهم لا يحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواء بما هو أعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكمهم لم يبدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأؤكد ولما كان نجم في وقته من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشبث كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعي في اجتاع الكلمة على السنة بعد اقترافها وإهلاك ذوي الكيد في احتياله وإخضاع نارهم الذين هم أهل

والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرة للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبدة فان نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في موق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون بهذا هو القالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا إلى مدة المقام في الآخرة استحقها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بانظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصفح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء الكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرا ولا بأس باظهار الاستعانة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يفصله إنسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وبعد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تفحمت بي (١) ثم معها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعيم الذي أحذثوه هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطفيء المرة الصفراء وتبقى اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بولة في الحمام قاتمة في الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من القرص ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستحم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نقساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معنا لها على المكروه .

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية)

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الدواب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وبعد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللعالم من حديث عائشة حرام على نساء أمي قال صحيح الاسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو نقساء .

شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبسا . الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشارب» وفي لفظ آخر «حفوا الشارب وأعفوا اللحى» (١) أي اجمعوا حفاف الشفة أي حولها وحفاف الشئ حوله منه وترى اللائكة حافين من حول العرش . وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل «إن يسئلكموها فيحلفنكم تبخلوا - أي يستصغي عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحتفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شارب به فقال ذكرته أتحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الغيرة بن شعبة «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لي على سؤالي» (٢) ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبق فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى أي كثروها وفي الخبر «أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم» (٣) خالفوهم» وكره بعض العلماء الحلق وراءه بدعة . الثالث شعر الابط ويستحب تنفه في كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تمود تنفه في الابتداء فأما من تمود الحلق فيسكنه الحلق إذ في التنف تعذيب وإيلام والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تتأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيما في أظفار الرجل وفي الأوساخ التي تجتمع على البراحم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أرفى الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم بإبهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام» (٥) ولما تأملت في هذا خطر لي من الغنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة فعايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل الغناد والتمادى على التي وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

(١) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ احفوا الشوارب وأعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبي هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث الغيرة ابن شعبة نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لي على سؤالي (٣) في الشمائل (٤) حديث إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم خالفوهم أحمد من حديث أبي أمامة قلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سباليهم فقال قصوا سباليكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور أن هذا فعل الجوس ففي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في الجوس انهم يوفرون سباليهم ويحلقون لحاهم خالفوهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظفاركم فإن الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر (٥) حديث البداء في قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والخنصر بإبهامها وفي اليسرى بالخنصر إلى الإبهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به .

وكما لا يقال في الصدر
الأول قهواء الأمصار
ومن قبلهم حين لم يحفظ
عنهم في الغالب إلا عوام
آخر كالفقه والحديث
والتفسير لأن الخلق
أحوج إلى علم ما حفظ
عنهم وذلك لغلبة
الجهل على أكثرهم
فالوا أن حفظ الله
تعالى تلك العلوم بمن
ذكرنا لجهلت العبارات
واقطع علم الشرع
ونحن مع هذه الحالة
نعلم أنهم عارفون
بالتوحيد على جهة
اليقين بغير طريق علم
الكلام والجدل
يتحاون بالمقامات
المذكورة وإن لم يشتهر
عنهم ذلك اشتباها
ما أخذ عنهم الخاص
والعام ومثل ذلك حالة
الصحابه رضي الله
عنهم بعد النبي صلى الله
عليه وسلم لما خافوا
دروس الإسلام وأن
يضعف ويقل أهل
ويرجع البلاد والعامه
إلى الكفر كما كانوا
أول مرة فقد مات
صاحب المعجزة صلى الله
عليه وسلم والبعوث
لدعوة الحق عليه

في كفاي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة
الظهور وغيره على اليمين وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين وإن وضعت بطن
الكف فالوسطى هي اليمين واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة
اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فيقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت
الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين
المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويقتضي إبهام اليمين فيختم
به التعليل وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر
ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف
فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها ثقل أن يبدأ بخنصر
اليمين ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها في اليد لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة
في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمين فإن تقديرها
حلقة بوضع الأخص على الأخص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تستكشف
بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما
لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة
الحكم وتنبه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن أن أفعاله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن
وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام
كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فإن الاسترسال مهملا كما يتفق
سجية الهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الإنسان
وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الأهال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء
أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذا القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله
عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعود بالله
أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله
صلى الله عليه وسلم « فانه كان يكتحل في عينه اليمين ثلاثا وفي اليسرى اثنتين ^(١) » فيبدأ باليمين لشرفها وتفاوتها
بين العينين لتسكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا عن الزوج فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن
يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم
يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا الواحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول
الأجفان بالسكل وإنما خص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة
أحق . فإن قلت فلم اقتصر على اثنتين اليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل
واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم
الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا
على قياس الوضوء ^(٢) وقد قل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولود هبت أمتصص دقائق ماراها صلى
الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمع . واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمين ثلاثا وفي اليسرى اثنتين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد
ضعيف (٢) حديث الاكتحال في كل عين ثلاثا قال القرظي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند
الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حدث حسن .

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع مساوئ الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إدلوروث هو الذي حصل للمال له واشغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأما هذه المعاني مع سهولة أمرها بالاضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستدل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستدل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلعة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشغل الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء ^(١) » وينبغي أن لا يبلغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تحفض « يا أم عطية أشمى ولا تنكح فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج ^(٢) » أي أكثر لاء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة افعله صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ماله وقعت الفلة عنه خيف ضرره ف سبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم يمين بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها ف قيل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحية » والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قديشوه الحلقة ويطلق السنة الغتابين بالنبدالية فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل .

(فصل) وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتنفها وتنف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعاً لأجل الرياء وتركها شعثة إظهاراً للزهد والنظر إلى سوادها عجباً بالشباب وإلى ياضها تكبراً بعلا السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبهاً بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم ^(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد ^(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار ^(٥) » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث بن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا تنكح الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر وغيره وهذا شيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى ياض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر العدو والغزو في سبيل الله وضرب وجوه الكهـ بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهراً وباطناً وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم أوكد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم غناء ولهم بحالهم قيام والعموم إن لم يكن مشغولاً بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقهم إلى مرآشدهم وصالحهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدر على شيء كامل من البر فلا خاصة إلا بعامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزين والضل

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يختبئ بالسواد ففعل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجهه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يرعون رائحة الجنة » (١) الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين » (٢) وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صححت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً عن الشباب وإظهار الكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهبات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم عمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكبر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والحير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فتية آمنوا بربههم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبيا - وكان أنس رضي الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهوشين فقال كلكم يكرهه » (٣) ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن ينجله بصغر سنه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه » (٤) وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تفرنكم الله فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير المامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله بيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناديه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فإنه لم يكن له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والراجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم .

الغلام يتعلم منه . وقال علي بن الحسين من سبق فيه العالم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك منك ، وقيل لأبي عمرو بن العلاء أحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجبل يقبض به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلمه وشمسي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلمه أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلمه ولا نزول . الرابع تنف يياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن (١) » وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ماسبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس تنفها أو تنف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة وتنف الفنيكين بدعة وهما جانبان العنفة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فينكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن لله سبحانه ملائكة يسمون والذي زين بنى آدم باللحي وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أبا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سترته تخصيصا له وتفضيلا . السادس تقصيصها كالنعية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كدنب الحمامة ويعرقون نعالهم كالمنجل أولئك لا خلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصديغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الخد وذلك يبين هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد . التاسع والعاشر النظر في سوادها وفي يياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس (٢) والمضمضة والاستنشاق (٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاقه الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة واتقاص الماء قال وكيع يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ضعفة ن ولأبي د ه من حديث تميم بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية واتقاص الماء قال د روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

بالكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم وقال للأئصار أمترون أن يذهب النار بالشاء والبعير فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فالنبي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وقهاء الأمصار وأعيان التكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وإنما القليل من حملة اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توقن ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

[بيان للرتبة الرابعة] وهو توحيد الصديقين وأما أهل للرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا طالعوا في الوجود

على سواه فقد كان يبان
 شارات الصحابة رضى
 الله عنهم أجمعين فيما
 خصوا من المعرفة في
 هجيراهم فكان هجير
 أبي بكر الصديق رضى
 الله عنه : لا إله إلا الله
 وكان هجير عمر رضى
 الله عنه : الله أكبر وكان
 هجير عثمان رضى الله
 عنه : سبحان الله وكان
 هجير علي رضى الله
 عنه : الحمد لله فاستقرى
 السابقون من ذلك
 أن أبا بكر لم يشهد في
 الدارين غير الله سبحانه
 وتعالى فلذا كان
 الصديق وسمى به كما
 علمت وكان يقول
 لا إله إلا الله وكان عمر
 يرى مادون الله صغيرا
 مع الله في جنب عظمه
 فيقول الله أكبر وكار
 عثمان لا يرى التزنية
 إلا لله تعالى إذ الكل
 قائم به غير معرى من
 النقصان والقائم بغيره
 معلول فكان يقول
 سبحان الله وعلى
 لا يرى نعمة في الدفع
 والرفع والعطاء والنعم
 في المكروه والمحجوب
 إلا من الله سبحانه
 فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب (١) وأربعة في الجسد وهي تنف الابط والاستحداد والختان والاستنجا بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولتتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها في ربيع المهلكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل . تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتهما)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وبأن السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تطفب بالترغيب والدعوة، وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليته المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فنّ الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفقه منها يستمد ومعو لا له إليها يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب تقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في فنّ الفقه، ومربون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل الصلاة . الباب الثاني : في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : في الإمامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس : في مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها . (الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأمّ بقوم وهم به راضون ورجل أذن في مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله عز وجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة (٣) »

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مخرجا وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة بخ من حديث أبي سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه»^(١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»^(٢) وذلك مستحب إلا في الحيمتين فإنه يقول فيها لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفي الثوب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراع يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

(فضيلة المكتوبة)

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فماترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شيء قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»^(٥) وقال ﷺ «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضجع للصلاة لم يعأ الله بشيء من حسناته»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»^(٨) وسئل ﷺ «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس ياكل طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهان يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة»^(١١) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم من رآه كع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد»^(١٢)

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه ح ب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولها نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسل (٧) حديث من لقي الله مضجعا للصلاة لم يعأ الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طبراني في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس ياكل طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهان الحديث أحمد ح ب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلا في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر .

وأهل هذه الرتبة على الجملة في حال خصوصهم فيها صفان مریدون ومرادون فالمریدون في الغالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وعى توحيد المقرين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقاء والنجاء والشهداء والصلحون والله أعلم . فان قلت ليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فعود الحوادث قديمة ثم تتحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والبروق عن مصدر العقل ما يغنى عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر ^(١) » أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بالاحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بانها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد عليه السلام ^(٢) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من توطأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوطه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فاذا ممع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . ويروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة ^(٣) » فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب ^(٤) » وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فاطفئوها .

(فضيلة إتمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ^(٥) » وقال يزيد الرقاشي « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ^(٦) » وقال عليه السلام « إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض ^(٧) » وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناده فيه مقال .
 (٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتي (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناده فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المحر في العقل من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن المحر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى في عوالي مشايخ مصر من حديث جابر مایؤمنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منسك بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه وجه حمار .

التخيل للولي لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو كيف يعد حالا لولي أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تنقلب إلى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعتري الولي تخيل فتخيل ما لاحقيقة له وإنما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لوراه يبصره عيانا ما ازداد إلا يقينا وإن أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أطم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتش الخلق بمعيارك وكلهم بمسكالك وفضلت نفسك على الجميع إذ لا سبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من المعرفة مالم يخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طئف فقد علم ما قال الله في الطائفين .

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة (٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتهم (٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوتهم بحزم الخطب ولوعلم أحدهم أنه يحمد عظامينا أو مرتاتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملائحة عبادته (٦) » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أخوا إنه إن تعوجت قومى وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان يأتى حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء . وقال النخعي مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدري زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فانتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو إسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع النادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقبل له إن الناس قد انصرفوا فقال إن الله وإننا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لانتفوت فيه تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار (٧) »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طب في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتهم الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذى وروى عن عثمان موقوف (٦) حديث من صلى صلاة فى جماعة فقد ملائحة عبادته لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لانتفوت فيه تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

ويقال

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينسأ ولا فى حال نومه وشغله وهذا موجود فى من كثير اهتمامه بشئ وثبت فى قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه فى شغله ونومه كما لا يفقه فى يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتمكن فى رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو مجادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام الفهر عليه فى الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها فى المخلوقات ليست لغير الموصوف الذى هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتمين بالذكر فى سر القلب وخير للعرفة ولا بالإدراك فى ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوب الدرّ فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالآقصار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في السجود . وروى أن السلف كانوا يوزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وخط عنه بها سيئة » (٢) وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مراقبتك في الجنة فقال ﷺ « أعني بكثرة السجود » (٣) وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا (٤) وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأمنون وجوههم من أثر السجود - فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمره هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فقصيت في النار » (٥) ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فسا بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب للراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة ه من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مراقبتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أئجه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم [فصل] وأمامني إفشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما أتى به للفتى وتعظيما لما ارتكبه ويعترض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفرا لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذي سمى على معناه سائر وهذا الفتى للسر ناشر وأين النشر والإظهار من التغطية والإعلان من الكتم واندفاع هذاهين بأن يقال ليس الكفر الشرعي تابع الاشتقاق وإنما هو حكم لخالفه الأمر وارتكاب النهي فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل فقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث ، نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فأن لم يزل في بي خداج»^(٢) وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال «ليس كل مصلي أتقبل صلاته إنما أتقبل صلاة من تواضع لهطقت ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لو جهن» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت الناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك الهذو كور الذي هو المقصود واللبثني عظمة ولاهية فما قيمة ذكرك»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم الذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع»^(٤) أي مودع لنفسه مودع لهواء مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه - وقال تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا»^(٥) والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم يعرفه»^(٦) اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»^(٧) وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على مليون وكان سعيد التوشخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحية» وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبعث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»^(٨)

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زيادة في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس إلا بخير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت الناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب وك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا على بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسل باسناد صحيح ورواه طب وأسند ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس باسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن المنكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم يعرفه الأزد في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبعث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجهتين إحداها من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك اسما يني عن وصف والثانية من جهة الشرع ويكون إذ ذاك حكما يوجب عسوية والشرع قد ورد بشكر النعم فأنهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يفرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفتن لخداعتها واحترس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكنتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب النبي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور ككفران البدن وقسمة أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث

ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بشئ الخطأ أنت تخطف الحور العين وأنت تعبث بالحصى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيك الدباب في صلاتك فتطردھا قال لأعود نفسي شيئا يفسد على صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط الساطان ليقل فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي رب أفأتحرك لدبابه ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تحدثوا أنتم فاني لست أسمعهم ويروى عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرّم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتريك عند الوضوء فيقول أتندرون بين يدي من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تتقبل الصلاة فأوحى الله إليه يا داود إنعاسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى، يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيته وإن سألتني أعطيته أجعل له في الجبل حدا وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وإنما مثله في الناس كالفردوس في أعلى الجنان لا تيس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل السكبة بين حاجتي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقنصتان في تفكير، خير من قيام ليلة والقلب ساه.

(فضيلة المسجد وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل - إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة»^(١) وقال ﷺ «من ألفت للمسجد ألفة الله تعالى»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «اللائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد»^(٥)

- (١) حديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة الحديث هـ من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو كمفحص القطاة
- (٢) حديث من ألفت المسجد ألفة الله تعالى طيب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف
- (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة
- (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد إلا في المسجد الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما عسلا فهو
صماء وحواسه تشابه
الكواكب والنجوم
من حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس فتضيء بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيضيء مسلك
المدرجات وروح
الانسان مشابهة
للشمس فضاء العالم
ونور نباته وحرارة
ضواريه وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الانسان به حصل
في الظاهر نمو أجزاء
يدنه ونبات شعره
وحلول حياته وجلت
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بالنهار
وتغرب بالليل وجلت
الروح وسط جسم
الانسان وهي تعيب
بالنوم وتطلع باليقظة
ونفس الانسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاتا كما ذكرهم الدنيا وحسب الدنيا لا يتجالسوهم فليس الله بهم حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن يوتى في أرضي المساجد وإن زوّارني فيها عمارها فطوبى لعبد نظير في بيته ثم زارني في بيتي حتى يلقى الزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن المسيب عن رجل من جلس في المسجد فأنما يجالس ربه فبما حقه أن يقول إلا شيئا يروى في الأثر أو الخبر « الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحفلة الملائكة يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي كرم الله وجهه إذا مات العبد يسكن عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين - وقال ابن عباس تنبى عليه الأرض أربعين صباحا وقال عدلاء الحراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكرك الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاهما من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم .

(الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

ينبغي للمصلي إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الحث في البدن والمكان والياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويأويح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلاة (٥) » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مقرنين في الأصفاد - والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاتا كما ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود ذلك من حديث أنس وقال صحيح الإسناد (٢) حديث قال الله تعالى : إن يوتى في أرضي المساجد ، وإن زوّارني فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغي له أن يحاورك فيقول أين قرأ القرآن وعمار المساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسناد صحيح وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسنه وه وك وصححه من حديث أبي سعيد (٤) حديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثاني)

(٥) حديث النهى عن الصفن والصفد في الصلاة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أوصافنا قدميه فقال أخطأ هذا السنة .

خائف الذنوس والقصر آية محجوة والنفس مثلها ومحو القمر في آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في آن ليس عقلها منها ويعتري الشمس والنمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وذلول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هى لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لدوى العقول تشبيه وتثليل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

عليه إذ قد كثر الخلاف في ذلك فاعلم أنه إنما على الانسان أن يني كلامه على ما يعلم لا على ما يحس، وأنت لو علمت النفس والروح علمت أنهما اثنان فان قلت فقد سبق في الإحياء أنهما شيء واحد وقلت في هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح فالذي سبق في الإحياء ورأيت في هذه الإجابة وهو شيء واحد لا يتناقض مع ما قلناه الآن وذلك أن لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لا يبعد أن يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الإضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لأن الله سبحانه نبأ بأنه حي قادر سميع بصير عالم يريد متمكماً فاعلم

وأغنى للبصر وإيكن بصره محسوراً على مصلاه الذي يصلى عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطاً فان ذلك يقصر مسافة البصر وينع تفرق الفكر وليتجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدع على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقبله وإطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصن به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أؤدي فريضة الظهر لله ليعجزها بقوله أؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يهزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد إرسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبإبهاميه شحمتي أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه (١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفرجاً ولا ضمّاً بل يتركها على مقتضى طبيعتها إذ تقل في الأثر النشر والضم (٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدين في مقرها ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراً لما لليمنى بأن تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإبهام والخنصر والبصر على كوع اليسرى وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين (٣) ومع استقرارهما (٤) ومع الإرسال (٥) فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالإرسال أليق فانه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليلق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكل مقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفا عند التكبير ولا يردّها إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نقضاً إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً ويستأنف وضع اليدين على الشمال بعد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى (٦) » فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رءوس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول و د من حديث وائل بن حجر بإسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجداً التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في الشكل فكلما حتى التي هي للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ بإسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك يفساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر ورائه أأنا
كأنه يقول أكبر ويجزم راء التكبير ولا يضمها فيه هية التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يتدبى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة وأصيلا (١) وجهته وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك أعظم وتعالى يدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جابجا بين منفرقات ماورد في الأخبار
وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن الإمام مكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يتدبى فيها بيسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجهد في
الفرق بين الصاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا
ويجهد بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهز بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر
ثلاث آيات من القرآن ثم يقرأ آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بتدبر قوله
سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء
نحو والسماذات البروج وماقاربها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك
في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وضعنا في أول الصلاة .

(الركوع ولو أحقه)

ثم يركع ويراعى فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تسكيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا
إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منسورة ووجهة نحو القبلة على طول
الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يعد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره
كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يحافى مرفقيه عن جنبه وتضم المرفأة مرفقيه
إلى جنبها وأن يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثا والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما
ثم يرفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول
ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة
التسبيح والكسوف والصبح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (٤) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض وينزع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا
م من حديث ابن عمر قال بينما نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم
الله أكبر كبيرا الحديث و د - من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة
قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهته وجهي الحديث م من حديث علي
(٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا ذلك وصححه من حديث عائشة
وضعفت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهته وبين سبحانك
اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل هؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت
الحديث د ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات
يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام
حيا قادرا عالما صاعدا
بصيرا مریدا متكاملا
فأعلا وكانت لأدم عليه
السلام صورة محسوسة
مكونة مخلوقة مقدره
بالتعلل وهي لله تعالى
مضاهة باللفظ وذلك أن
هذه الأسماء لم تجتمع
مع صفات آدم إلا في
الأسماء التي هي عبارة
لفظ فقط ولا يفهم من
ذلك نفي الصفات فليس
هو مرادنا وإعنا مرادنا
تباين ما بين الصورتين
بأبعد وجوه الامكان
حتى لم تجتمع مع صفات
الله تعالى إلا في الأسماء
الملفوظ بها لا غير
وفرار أن تثبت صورة
به تعالى ويطلق عليها
طالة الوجود فافهم هذا
فانه من أدق ما يترعرع
سمك ويلج قلبك
ويظهر لعقلك ولهذا
قيل لك فان كنت
تعتقد الصورة الظاهرة
ومعناه إن حملت
إحدى الصورتين على
الأخرى في الوجود
تكن مشبا مطلقا
ومعناه نتيقن أنك من
الشبهين لا من المنزهين

على نفسك بالتشديد
معتقدا ولا تنكر كآليل
كن يهوديا صرفا وإلا
فلا تلعب بالتوراة أى
تلبس بدينهم وتريد
أن لا تنسب إليهم أى
تقرأ التوراة ولا تعمل
بها وإن كنت تعتقد
الصورة الباطنة مزها
بجلالا ومقدسا مخلصا
أى ليس تعتقد من
الاضافة الضعيف إلى
الله تعالى إلا الأسماء
دون المعاني فذلك المعاني
المسما لا يتبع عليها اسم
صورة على حال وقد
حفظ عن الشبلى رحمة
الله عليه فى معنى
ما ذكرناه من هذا
الوجه قول بلخ مختصر
حين سئل عن معنى
الحديث فقال خلقه الله
على الأسماء والصفات
لا على الذات . فان قلت
فكذا قال ابن قتيبة
فى كتابه العرف
بتناقض الحديث حين
قال هو صورة لا كالصور
فلم أخذ عليه فى ذلك
وأقيمت عليه الشناعة
به واطرح قوله ولم
يرضه أكثر العلماء
وأهل التحقيق . فاعلم

عند الموى ولا يرفع يديه فى غير الركوع ويذبح أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبا وأن يضع
بعضها يديه ثم يضع يدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنته على الأرض وأن يجافى مرقبه عن جنبه
ولا تفعل للرأه ذلك وأن يسرج بين رجليه ولا تفعل للرأه ذلك وأن يكون فى سجوده نحويا على الأرض
ولا تكون للرأه نحوية والنحوية رفع البطن عن الفخذين والتفريخ بين الركبتين وأن يضع يديه على
الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام
فلا بأس ولا يفتش ذراعيه على الأرض كما يفتش السكاب (١) فانه منبى عنه وأن يقول سبحان ربى
الأعلى ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما ثم يرفع من السجود فيطهثن جالسا معتدلا فيرفع رأسه
مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة
ولا يتكلف ضمها ولا يفرجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عني
ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود المسيح ويأتى السجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة
خفيفة للاستراحة فى كل ركعة . لا تشهد عقبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه فى
حال الارتفاع وعيد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام
بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتاده على اليد للقيام وراء
أكبر فى وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله
ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالأولى .

(التشهد)

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده
اليمنى على فخذ اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلى المسبحة ولا بأس بارسال الإبهام أيضا ويشير بمسبحة يمينه
وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله ولا يفتش ذراعيه على الأرض كما يفتش السكاب (٢) فانه منبى عنه وأن يقول سبحان ربى
الأعلى ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما ثم يرفع من السجود فيطهثن جالسا معتدلا فيرفع رأسه
مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة
ولا يتكلف ضمها ولا يفرجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عني
ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود المسيح ويأتى السجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة
خفيفة للاستراحة فى كل ركعة . لا تشهد عقبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه فى
حال الارتفاع وعيد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام
بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتاده على اليد للقيام وراء
أكبر فى وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله
ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالأولى .

- (١) حديث النهى عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش السكاب متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد من حديث طلى فى دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث وفى الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفى الباب غير ذلك جميعها فى الأصل
- (٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان .

صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم والملائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه وبثبت الامام ساعة حتى يرفع الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقرم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يغض الامام نفسه بالادعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهز به ويؤمن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

(التهيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناها وعن الإفناء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن المواصلة (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجائع والغضبان والتلثم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإفناء فهو عند أهل اللغة أن يحاس على وركيه ويتصب ركبتيه ويحمل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رؤوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإفناء ت ه من حديث علي بسند ضعيف لا تقع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان وك من حديث سمرة ومحمدة بنى عن الإفناء (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة د ت ك ومحمدة من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شعرا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار د ك ومحمدة من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلى الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة د من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن المواصلة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسره التزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن ه وقط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن و د من حديث أبي هريرة لا يحل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لاصلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهري بدافعة الغائط وفيه حديث عائشة التى قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحازق عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الحف الضيق (١٠) حديث النهي عن التلثم في الصلاة د ه من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يعطى الرجل فاه في الصلاة رواه الحاكم ومحمدة قال الخطابي هو التلثم على الأفواه .

أن الذى ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ فى الإنكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى أئمتنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تنهم غرضنا وذمات عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتها حالة للذات فأين من لب الجوز قد شورت فرقع والذي يغلب على الظن فى ابن قتيبة أنه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء البهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذى هو موجب عند ذوى القصور تشبيها وبين التأويل الذى ينفه فأنتم للنهى المرغوب

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا (١) » وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام . وأما الواصلة فهي خمسة اثنان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمه الفرض بالتسليم الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والمهم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب (٢) » وفي الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان (٣) » وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتشاؤب والحكاك والالتفات والعبت بالشيء (٤) » وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفأ الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه (٥) أو يفرقع أصابعه (٦) أو يستر وجهه (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذه في الركوع (٨) » وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفع في الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: الرعاف والنعاس والوسوسة والتشاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتشاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي والحديث للبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التشاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدرككم صلى (٥) حديث النهي عن تشبيك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ودت ه حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهي عن تفقيح الأصابع في الصلاة ه من حديث علي باسناد ضعيف لا تقع أصابعك في الصلاة (٧) حديث النهي عن ستر الوجه ه ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يعطى الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث النهي عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب .

عنه وأرادني مخاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فيها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لا قطة فبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق - فإياك الوادى

للمقدس طوى - أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادى المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادى وإنما قدس الوادى بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادى مقام ما حصل فيه فحذف اللضاف وأقام للضاف إليه مقامه وإلا فالمقصود ما حذف

لما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أى سر بقلبك لما يوحى فلعلك تجدد على النارهدى ولعلك من

يسوى الحصى بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

(تميز الفرائض والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما يبنى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير والقيام والقائمة والأضحية في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبته مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائماً والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعداً والجأوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا يجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك اللغات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدنا من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم نذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمعناها في اسم السنة فلهذا درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعان فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبّر عن ذلك ببعض وقيل الأبعاض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفتان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فقدم تلك الأذكار لا تعين صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معموراً بالقائمة ومخيراً عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع بمد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياماً ممدوداً معتاداً ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فان قلت تميز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأثور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فإمعان . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك بثال وهو أن الانسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو نفوت الحياة بفواته وبعضها لا نفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سرا دقات العز تنادي
بما نودي به موسى إني
أنار بك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد المزيد وحوادث
الصدق وثمار المعارف
وارتياح سلوك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الأذان وما يوحى أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو لقاء
بواسطة ملك أو لقاء
في روع أو مكاشفة
بحقيقة أو ضرب مثل
مع العلم بتأويله
ومعنى لعلك حرف
ترويح ومعنى إن لم
تدرك آفة تقطعك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداده عن غيره
وسرا دقات المجد هي
حجب للمكوت وما
نودي به موسى هو علم
التوحيد التي وسعت
العبارة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إني أنا الله لا إله
إلا أنا والنادى باسمه
أزلاً وأبداً هو اسم

موسى لما سمى السالك
الوجود في كلام الله
تعالى في أزل الأزل قبل
أن يخلق موسى لا إلى
أول وكلام الله تعالى
صفه لا يتغير كلاً يتغير
هو إذ ليست صفاته
اللعنوية لغيره وهو
الذي لا يحول ولا يزول
وقد زلّ قوم عظم
اقتراحهم وهو أنهم
حملوا صدور هذا
القول على اعتقاد
اكتساب النبوة وعبادته
بأنه من أين يحتمل
هذا القول ما حملوه
من الذهب أليسوا
وهم يعرفون أن كثيراً
من يكون محضرة
ملك من ملوك الدنيا
وهو مخاطب إنساناً
آخر قلب ولاية كبيرة
وفوض إليه عملاً عظيماً
وحباه جباة خطيراً
وهو ينادى باسمه أو
يأمره بما يمثل من
أمره ثم إن السامع
للملك الحاضر معه غير
الولى لم يشارك الولى
المخلوع عليه والقوض
إليه في شيء مما ولى
وأعطى ولم تجب له
بسماعه ومشاهدته

الحاجبين واللعبة والأهداب وحسن اللون وبمضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس
الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهدب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون
فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورته صورها الشرع وتعبدها باكتسابها فروجها وحياتها
الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الآن في أجزاءها الظاهرة فالركوع
والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة
بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى
اليدين والعينين والرجلين ولا نفوت الصحة بفواتها كما لا نفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن
يصير الشخص بسبب فواتها مشوّء الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقلّ
ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حياً مقطوع الأطراف . وأما الهيئات
وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون .
وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية
وغيرها فالصلاة عندك قرينة وتحفة تقترب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القرينة
من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك
الخيرة في تحسين صورتها وتبجيلها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فلعليها ولا ينبغي أن يكون
حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه
يجوز تركها فتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يبطل وجود الإنسان ولكن
يخرجه عن أن يصدق رجاء التقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فمكذبا ينبغي
أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي
الحصم الأول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعني فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان
الصلاة ليظهر لك وقعها .

(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولندكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها
وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لئلا زاد الآخرة .

(بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة لذكري - وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد
الله كرفن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقياً للصلاة لذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين -
نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تعلموا ما تقولون - تعليل لنهى السكران وهو مطرد
في الغافل المستغرق الهم بالسوا وسأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن
وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام
« إنما الشفعة فيما لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن
الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى
الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ^(١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ن ه من حديث أبي هريرة رب قائم
ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر وإسناده حسن .

صلى الله عليه وسلم «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»^(١) والتحقيق فيه أن الصلي مناج ربه عز وجل^(٢) كما ورد به الخبر والسكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه أن الزكاة إن غفل الانسان عنها أمثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وعود فأما الذكر فانه محاور ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطايا ومحاورا أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالمسك في الصوم وكما تمتحن البدن بمشاق الحج ويمتنح القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال العشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان مأخذه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلا وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيا بعد الاعتقاد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم ير في عينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه إذ لا يكون كلامه خطايا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضر في قلبه فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصير بارا في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والخطاب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن الخطاب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتسقيط القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والله كروا بالجملة فهذه الخاصة لاسبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظيمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرايين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - أى الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب . فان قلت إن حكمت بيطلاق الصلاة وجعلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا

(١) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه (٢) حديث المصلي يناجي ربه متفق عليه من حديث أنس .

أكثر من حظوة القربة
وشرف الحضور ومنزلة
للكاشفة من غير
وصول إلى درجة
الخطاب بالولاية
والفتوح إلى الأسر
ولذلك هذا السالك
لذلك إذا وصل في
طريقه ذلك بحيث
يصل بالكاشفة
والمشاهدة واليقين التام
إلى يوجب المعرفة
والعلم بتفاصيل العلوم
فلا يمتنع أن يسمع
ما يوحى لغيره من غير
أن يقصد هو بذلك
إذ هو محل سماع الوحي
على الدوام وموضع
للائكة وكفى بها أنها
الحضرة الربوبية
وموسى عليه السلام
ما استحق الرسالة
والنبوة ولا استوجب
التكليم وسماع الوحي
مقصوداً بذلك بحلوله
في هذا المقام الذي هو
المرتبة الثالثة فقط بل
قد استحق ذلك بفضل
الله تعالى حين خصه
بمعنى آخر ترقى إلى
ذلك المقام أضاعفا
فأوز المرتبة الرابعة
لأن آخر مقامات

الاجتهاد والقلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كالفعل والقتل وتميز السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الاجماع فقد قل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعبدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ^(١) » وهذا لو قل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا وما قل من هذا الجنس عن الفقهاء للتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الحاق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكيفية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحق أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطلق في مخالفة الفقهاء فيما أنفوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الحاق أحد الأسباب للامانة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعا للريد الطالب لطريق الآخرة وأما الجادل للشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبق به رفق الروح الحضور عند التكبير فالتقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حى لأحراره به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لأحراره به نسأل الله حسن العون .

(بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والنفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرها ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان

(١) حديث إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث دن حب من حديث عمار بن ياسر ينحوه .

في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولسكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان العظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مشوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته نواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهتك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعظلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهمات ما حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبد المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع . وأما التفهم فسيببه بعد حضور القلب إيمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني التزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ومالم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداها معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يمتد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخسستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تترج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقتنر إليه . وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرته الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة البالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

قلبه من الرسل إنما هو على سبيل البالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فتقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجبنا أنه كلمة قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلاً مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على أننا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

الاختلاف فيه فيكون
النبي المرسل يسمع
كلام الله تعالى عز
وجل الداني القديم
بلا حجاب في السمع
ولا واسطة بينه وبين
القلب ومن دونه يسمعه
على غير تلك الصورة
مما يلقي في روعه ومما
ينادي به في سمعه أو
سره وأشبه ذلك كما
ذكر أن قوم موسى
عليه السلام حين سمعوا
كلام الله سبحانه مع
موسى أنهم سمعوا
صوتا كالشبور وهو
القرآن فإذا صح ذلك
فتبين القامات اختلف
ورود الخطاب فموسى
سمع كلام الله بالحقيقة
الذي هو صفة له بلا
كيف ولا صورة نظ
الحروف ولا أصوات
والذين كانوا معه أيضا
سمعوا صوتا مخلوقا جعل
لهم علامة ودلالة على
صحبة التكليم وخلق الله
سبحانه لهم بذلك العلم
الضروري وسمى ذلك
الذي سمعوه كلامه
إذ كان دلالة عليه كما
تسمى التلاوة وهي
الحروف المتلو بها

داجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد
من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحشية والمهية وسيأتى أسباب ذلك في كتاب
الحواف من ربيع النجيات . وأما الرجاء فسيبه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف
صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من
مجموعهما الرجاء لا محالة . وأما الخياء فباعتباره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم
حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعبود النفس وآفاتهما وقلة إخلاصها وخبت دخلتها وميلها
إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على
السرى وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة
تسمى الخياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه في معرفة السبب
معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعنى به هذه المعارف التي ذكرناها
ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم
وبقدر اليقين ينشع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى عليه وسلم
يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى
موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنفض أعضائك وكن عند ذكرى
خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يديّ فقم قيام العبد
الدليل وناجى بقلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لعصاة أمتك
لا يذكروني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني فذكرته فإذا ذكروني فذكرتهم باللعة » هذا في عاص
غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان واختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب
انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم يغيب قلبه في لحظة
بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار
بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط
من على يمينه ويساره ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة
كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضاعفه مشاهد في هم أهل الدنيا
وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك
أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو مثل عمن حوالبه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار
عنه لا اشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوالبه ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من
صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهرها الحركات ولذلك
قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة
والهدوء ومن وجود النعم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش
عليه وبراعى في ذلك حال قلبه لأحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو
إلا من أتى الله بقلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان الدواء النافع في حضور القلب)

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك
عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لاسبب له
إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغية القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهم عن الصلاة

إلا الحواطر الواردة الشاغلة للدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الحواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فما يفرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يقبضه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا لبعض ومن قوت نيته وعلت همته لم يلزمه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلي في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الشوارع وفي المواضع المنقوشة للصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتصدون يتعدون في بيت صغير مظلم سبعة قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون للمساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من طي عيניהم وشمالهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا بدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزع ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشبعت به الموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو اللطع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهجمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة « إني نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذي في البيت ^(١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجي إلا السهل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامساكه أضرم عليه من إخراجها فيتخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الحميصة التي أتاها بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهمتني آثما عن صلاتي واثموني بأبجانية أبي جهم ^(٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شرك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشرك الخلق ^(٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلأ فأعجبته حسنها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له نعلين سبطين جرداوين فلبسهما ^(٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

(١) حديث إني نسيت أن أقول لك تخمر القربتين اللذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحجي وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الحميصة وقال اثموني بأبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم . (٣) حديث أمره بنزع الشرك الجديد ورد الشرك الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلأ فأعجبته حسنها فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حقيق في ترف الفقراء من حديث عائشة ناسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى
إذ هي دلالة عليه . فإن
قلت فما يبقى على السامع
إذا سمع كلام الله تعالى
الذي يستفيد معرفة
وحدانيته وقته أمره
ونبيه وفهم مراده
وحكمه يلحقه العلم
الضروري فيما أرى
بأنه الشيء المرسل
إلا بأن يشتغل باصلاح
الخلق دونه ولو كان
عوضا منه آخر
عنه ومقامه مقامه ؟
فاعلم أن الذي أوجب
عشورك ودوام زلك
واعتراضك على العلوم
بالجهل وعلى الحقائق
بالتخايل إنك بعيد
عن غور المطالب بعيد
في شرك المعاطب بعيد
صوب الصوت بعيد
صحب السحاب إن
الذي استحق به
الناظر السالك الواصل
للمرتبة الثالثة مباح
نداء الله تعالى معنى
ومقام وحال وخاصة
أعلى من تلك الأولى
وأجل وأكبر وبينهما
ما بين من استحق
لواجهة الخطاب
والقصد به وبين من

لا يستحق أكثر من
سماعه من مخاطب به
غيره فهذا من الإشارة
باختلاف ورود
الخطاب إليهما مما
يوجب شورا وتباين
ما بينهما فان فهمت
الآن وإلا تصدق
لاندر بحال؟ فان قيل
أليقل الله تعالى - فلا
يظهر على غيبه أحدا
إلا من ارتضى من
رسول - وسماع كلام
الله تعالى بحجاب أو
بغير حجاب وعلم ما في
الملكوت ومشاهدة
الملائكة وما غاب عن
المشاهدة والحسن من
أجل الغيوب فكيف
يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في السلام
حذف يدل على صحة
تقديره الشرع الصادق
وللمشاهدة الصورية
وهو أن يكون معناه
إلا من ارتضى من
رسول ومن اتبع
الرسول بالإخلاص
والاستقامة أو عمل بما
جاء به النبي لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« اتقوا قراسة المؤمنين
فانه ينظر بنور الله »

فرماه وذلك شغلي هذا نظره إليه ونظرة إليكم (١) « وروي « أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجر فأعجبه
دبسي طائر في الشجر يلتمس شرا جافاً تبعه بصره ساعة ثم لم يدركه صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت (٢) » . وعن رجل آخر أنه سأل
في حائط له والنخل مطوقة بشمرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركه صلى فذكر ذلك لثمان رضي الله عنه وقال
هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه ثمان بنحوه ثمان ألفاً فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر
وكنارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا ينبغي غيره فأما ما ذكرناه
من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الله كذا فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والسم التي لا تشغل إلا حواس
القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاديك ثم تطلبك وتتقضى
جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يسفوله فكره وكانت أصوات العصافير
تشوش عليه فلم ينزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنوير بالخشبة
فتقل له إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات
إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الدباب إلى
الأقذار والشغل يطول في دفعها فان الدباب كلما ذاب وأجله معى ذباباً فكذلك الخواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلمنا يخاف العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى بطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ولا
ليستعين بها على الآخرة فلا يطمئن في أن تصفوله لذة النجاسة في الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله
سبحانه وعبادته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لاجلها إليها ولم يكن مع
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة
استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالاً حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين
لا يجذبا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فصجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها
أو ثلثها من الوسواس لتكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخلل لاجل الماء ولا يجتمعان .

(بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فقول حقا إن كنت من المريدن للآخرة أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائماً
والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك
للإجابة والسارعة فان السارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فأعرض
قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه
يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال (٣) » أي أرحنا بها
وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك

(١) حديث رمية بالحاتم الذهب من يده وقال شغلي هذا نظره إليه ونظرة إليكم ن من حديث
ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاتم كان ذهباً ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن
أباطلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه
بالحاتم مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال
قط في العلل من حديث بلال ولأبي داود وموه من حديث رجل من الصحابة لم يسلم باسناد صحيح .

الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لباس
الذي هو ذنابك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على التزك
في المستقبل فطاهر بها باطنك فانه موضع نظر مبودك . وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقاب
بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فلا بالك في عورات باطنك وقناع
سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح يالك وطالب نفسك بسترها
وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكائنها فتدلل بها نفسك ويستكين تحت الحيلة قبابك
وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه
من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى
أقترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيات فلا مطلوب
سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للخواص ونسب للحوارج وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة
حتى لا تنفخ على القباب فانها إذا بلغت وظلمت في حركاتها وانفتحت إلى جهاتها استبست القلب وانقلب
به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة
البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال
صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم
ولده أمه (١) » وأما الاعتدال قائماً فانما هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن
رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متسكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبها
على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام
بين يدي الله عز وجل في هول اللطع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله
عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن
معرفة كنهه جلالة بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومراقب بعين كائنة من رجل
صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك
وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من
نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وجهه
أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق
أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحي منه
كما تستحي من الرجل الصالح من قومك (٢) » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعزم على إجابة الله
عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك
لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه بإياك في المناجاة
مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا

(١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولده أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من
قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق هي في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسله هي
بزيادة ابن عمر في السند وفي العلل قط عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث
سعيد بن زيد أحد العشرة .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه
أن ينكشف إليه
وقال « إن يكن منكم
محدثون فممر » أو كما
قال « المؤمن ينظر
بنور الله » وفي القرآن
العزیز - قال الذي
عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك -
فعلم ما غاب عن غيره
من إمكان بيان
ما رعد به وأراد أنه
قدر عليه ولم يكن
نبيا ولا رسولا وقد أنبا
الله سبحانه وتعالى
عن ذي القرنين من
إخباره عن العلوم
الغيبية وصدقه فيه حين
قال - فإذا جاء وعد
ربى جعله دكاء وكان
وعد ربى حقا - وإن
كان وقع الاختلاف
في نبوة ذي القرنين
فالاجماع على أنه ليس
برسول وهو خلاف
السطور في الآية
وإن رام أحد المدافعة
بالاحتياط لما أخبر به
ذو القرنين وما ظهر
على يدي الذي كان
عنده علم من الكتاب
وأراد أن يجوز على

تاجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الحجل وترتد فرائصك من الهية ويصفر وجهك من الخوف . وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذب به قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كاشهد على المنافقين في قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فإن كان هوأك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان الخجرت وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للنساجة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صدقا ، وإذا قلت خفيضا مسلما فينبغي أن يخطر ببالك أن السلم هو الذي سلم المسمون من لسانه وبده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتقدم على ما سبق من الأحوال وإذا قلت أما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الحجة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه وإذا قلت عميى ومخاتى لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر من رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمر الدنيا لم يكن ملأما للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومترصدا لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقته فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فإن ذلك لا ينفعه بل لا يعينه إلا بتبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يعينه مجرد القول فليقرن قوله بالعزم على التعوذ بحسن الله عز وجل عن شر الشيطان وحسنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ « لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصي أمن من عذابي ^(١) » والتحصن بمن لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لافي حصن الله عز وجل . واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها . فأما القراءة للناس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب

(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصني ك في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي باسناد ضعيف جدا وروى أبي منصور الديلمي أنه حديث ثابت مردود عليه .

عمر التشبه بالحقائق
فما يصنع فيما جرى
للخضر وما أنبا الله
سبحانه وأظهر عليه
من العلوم النبية وهو
بعاد أن يكون نبيا فليسي
برسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول
- إلا من ارتضى من
رسول - فدل على أن
في الآية حذف مضاف
معناه ما تقدم وانظر
إلى ما ظهر من كلام
سعد رضي الله عنه
أنه يرى الملائكة وهو
غيب الله وأعلم أبو بكر
بما في البطن وهي من
غيب الله وشواهد
الشرع كثيرة جدا
يعجز المتأول ويلته
للعائد هذا والقول
بتخصيص العموم
أظهر من الجرامة
وأشهر مما قل الكافة
ويحتمل أن يكون المراد
في الآية بالرسول للذكور
فيها ملك الوحي الذي
بواسطته تنجلي العلوم
وتتكشف العيوب
فمن لم يرسل الله ملكا
بإعلام عيب أو مخاطب
مشافهة أو لقاء معنى
في روع أو ضرب مثل

ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن الخ

الذي

فترجمه فغرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والقرآن بون لسانهم ترجمان القلب
القلب ولا يقبض القلب . وتفصيل ترجمة اللسان أنك إذا قالت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك
لابتداء القراءة لسلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن المراد بالاسم
ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ التبرك
من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يتعبد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله
عز وجل . وفي تسميته وتحميده نقصان بقدر النفاذ إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم
فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجائك ثم استمر من قلبك التعظيم
والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلا أنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب
الذي هو مالكة ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الخول
والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا باعائته وأن له المنه إذ وفقك الله لطاعته
واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان
العين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة
إلى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل أهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا
إلى جوارك ويفضى بنا إلى مرضاتك وزده شربا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالذين أفاض عليهم
نعمة الهداية من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار
والزائغين من اليهود والنصارى والصائبين ثم التمس الاجابة وقل آمين فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه
أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة
بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى مأسأل (١) » يقول المبدى الحمد لله رب
العالمين فيقول الله عز وجل حمدنى عبدى وأثنى على وهو معنى قوله معج الله لمن حمده الحديث الخ
فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف
بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سأأتى فى كتاب تلاوة
القرآن فلا تنفل عن أمره ونهييه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه
ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهى والاتعاظ حق
الوعظة والشكر حق ذكر المنه والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما
اتهى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ فى النافور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى
- إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضطرب أو صاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلى
مغاولا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار
قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب
ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة
وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل
ويفرق بين نعماته فى آية الرحمة والعداب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتعجب . كان النخعي إذا
مر بمثل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولدوما كان معه من إله - يخفض صوته كالمستحي عن أن
يذكره بكل شئ لا يلبق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا (٢) » .

(١) حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث م عن أبى هريرة (٢) حديث يقال
لصاحب القرآن اقرأ وأرق دت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

في بطة أو منام لم يكن
إلى علم ذلك القلب
سبيل ويكون تقدير
الآية فلا يظهر على
غيبه أحدا إلا من
ارتضى من رسول
أن يرسله إلى من يشاء
من عباده فى بطة
أو منام فانه يطاع على
ذلك أيضا ويكون
قائمة الاخبار بهذا فى
الآية الامتنان على من
رزقه الله تعالى علم شئ
من مكنوناته وإعلامه
أنه لا تصل إليها نفسه
ولا مخلوق سواه إلا بالله
تعالى حين أرسل إليه
لك بذلك وبه الله
حق يتبرأ المؤمن من
حوله ومن حول كل
مخلوق وقوته ويرجع
إلى الله تعالى وحده
ويتحقق أنه لا يرد
عليه شئ من علم
أو معرفة أو غير ذلك
إلا بإرادته ومشيقته
ويحتمل وجه آخر
وهو أن يكون معناه
والله أعلم فلا يظهر على
غيبه أحدا إلا من
ارتضى يريد من سائر
خلقه وأصناف عباده
ويكون معنى من

رسول أي عن رسول من الأنبياء
[فصل] ومعنى ولا يتخطى رقاب المقدس
إن قلت ما الذي أوصاه إلى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في الرتبة الثالثة حال المقربين ما وصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وإنما خاصة من هو في رتبة الصديقين عدم السؤال لكثرة التحقق بالأحوال وخاصة من هو في رتبة الترتيب كثرة السؤال طمعا في بلوغ الآمال ومثاله فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا في بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شيء مما يراه ولا يحتاج إلى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيئا أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل إلى علم الباقي وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر

وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقادة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يقبل على الصلوة ما لم يلتفت » (١) وكما يجب حراسة الرأس واليدين عن الانشغال إلى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الانشغال إلى غير الصلاة فاذ التفت إلى غيره فذكره بإدلاء الله عليه وبقيح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب فإن الخشوع عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع وهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا متصليا يعبث بلحيته « أما هذا لو خشع قلبه لحشمت جوارحه » فإن الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصح الراعي والرعية » (٢) وهو القلب والجوارح وكان السديقي رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه التلبس بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لتصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجاوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجد عند هذا ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بفضله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجهدا في ترفيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد كده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحمك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك مع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر للتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فأنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربّي الأعلى وأكده بالتكرار فإن التكرار الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رقت قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فإن رحمة تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما واقيا بعدد عباد الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالمسألة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كلتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأمور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على الصلوة ما لم يلتفت د ن ك وصحح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصح الراعي والرعية لم أقفله على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح .

السؤال عما يعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه إلى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك ما في ذلك الوقت أو الأبد تلك العلوم متى كانت لا تقال بالكسب وإنما تنال بالمنح قليل له لا تخط رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لا يخطر به وليس هو من الطرق الموصلة إلى مقامهم فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به في حاله وسيرته فعاك ترزق مقامه فإن لم يكن فتبقى على حالة القرب وهي تتلو الصديقة فهذا معناه .

[فصل] ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى إما أنه لما وصل إليه بالسؤال صرف إليه ملاق به من الأحوال ليحكم ما بقي عليه من الأعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه غرائب العلم اذهب فأحكم ما هناك وبعد

وصدق الرجاء بالإجابة وأشرك في ذلك أرويك وسائر الزماني واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانوخت الصلاة واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة وتوهم أنك مودع الملائكة هذه وأنتك ربما لا تعيش لمثلها وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه « صل صلاة مودع » ثم أشعر فملك الوجع والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون محموتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك وترجع مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله . كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان إبراهيم يكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائرون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يسره الله منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد وأما صلاة العافين فهي محذرة إلا أن يضمده الله برحمته والرحمة واسعة والكريم فائض فنسأل الله أن يغمدا برحمته ويغفرنا بفضله إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالجزع عن القيام بطاعته . واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة فأولها الله المكشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكشفون في الصلاة لاسيما في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى - واسجدوا اقرب - وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلالة والخفاء حتى ينكشف بعضهم الشيء بعينه وينكشف بعضهم الشيء بمثاله كما كشف بعضهم الدنيا في صورة جيفة والشیطان في صورة كلب جائم عليها يدعو إليها ويختلف أيضا عما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله وبعضهم من أفعاله وبعضهم من دقائق علوم العاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدّها مناسبة المهمة فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا في المراتب الصغيلة وكانت المرأة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لابلخل من جهة النعم بالهداية بل لحبث متراكم الصدى على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذا طبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والباحثة للشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة في الخبر « إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادي مناد لوعلم هذا المناجي من يناجي ما التفت وإن أبواب السماء تفتح للمصلين وإن الله عز وجل يباهي ملائكته بعبده المصلي (١) » ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب : يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديّ مصليا يا كيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالعيب رأيت نوري قال فكنا

(١) حديث إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم أجده .

نرى أن تلك الرقعة والبكاء والفتوح الذي يجده الصلي في قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منه عشرة آلاف وبأى الله به مائة ألف ملك وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالتأمنون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة وهكذا الرَّاكعون والقاعدون فإن ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص لذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا: وما منا إلا له مقام معلوم، وفارق الإنسان الملائكة في الترقى من درجة إلى درجة فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لملك واحد إلا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستخسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهنّاح مزيد الدرجات هي الصلوات . قال الله عز وجل - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي القرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المقاجين بالصلاة أيضاً فقال تعالى - والذين هم على صلواتهم يحافظون - ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فهم فيها خالدون - فوصفهم بالفلاح أولاً وبوراثته الفردوس آخراً وما عدى أن هزيمة اللسان مع غفلة القلب تنهى إلى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل في أصدادهم - ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين - فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والتمتعون بهديه ودنوه من قلوبهم . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيدنا من عقوبة من تزيت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم النان القديم الاحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضى الله عنهم)

اعلم أن الخشوع عمدة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست محتصة بالصلوة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعاً له وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأيته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه قراه مطرقاً غاضاً بصره وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول وبشر الخبيثين أما والله لو رأيك محمد ﷺ لفرح بك ، وفي لفظ آخر لأجلك وفي لفظ آخر لضحك ، ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشياً عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يبق حمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشياً عليه إلى مثل الساعة التي صعق فيها فقائه خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف . وكان الربيع يقول مادخلت في صلاة قط فأهني فيها إلا ما أقول وما يقال لي . وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تجدك نفسك في الصلاة بشئ قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي إلى إحدى الدارين قيل فهل تجد شيئاً مما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الأُسنة في أحب إلى من أن أجِد في صلاتي ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد قلنا أنه لم يشعر بسقوط

ذلك أعلمك غرائب العلم وأما صفة انصرفه فإنه نهض بالبحث ورجع بالتدكر وفوائد المزيد ووجهه أن من لم يستطع المقام في ذلك الوضع بعد وصوله إليه فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول النيب عنه لا يمكن في العادة ولو أمكن لملك الجسم وتفرقت الأوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا وقد سبق في علمه - ولن تجد لسنة الله تبديلاً ومعنى قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا ما رجع لما حالة الانتقاص من وصل إلى حالة الاخلاص والذي طمع الناظر في الحصول فيه سؤاله وتماذيه إلى حال القرب منه إذ لم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله . [فصل] ومعنى بأن ليس في الامكان أبعد من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا

أسماء أتاني بالسجدة وهو في الصلاة وأنا بل طرف من أطرافهم وأحييت فيه إلى السجدة فقلت
قبل إنه في الصلاة لا يجزئ عجزه على قطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخر فذاذا قلت
فيها خرجت من الدنيا وتدل لأخوه هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها
ومثل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا فقال وهل شيء أسأل الله في الصلاة فأذكر فيها أو كان أبو العبد
رضي الله عنه يقول من قته الرجل أن يبدأ بمساجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ
وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة البسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها قليل له تنفست
يا أبا القحطان فقال هل رأيت مني قمصت من سديها شيئا قال لا قال إن ما ذكرت من الشيطان إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له فيها ولا ثواب ولا أجر ولا
حسنها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) » ويقال إن طلحة
والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان
وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على النبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكل
لله تعالى صلاة قبل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . ومثل
أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدرى على كم
ينصرف أو على شفع أم على وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو
الذي إن صلاه في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تسجيها خيرا ولا تأخيرها
إثما . واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كادلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه
يقول إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث
إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل (٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض
نجسا مني عبدي وبالنوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا ينجو
مني عبدي إلا بأداء ما اقترضته عليه (٣) » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى صلاة قترك من
قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة
كذا وتركت آية كذا فما ندرى أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يأتني ثم أقبل على الآخرين فقال
ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صفوفهم ونيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من
كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني
أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون إليه (٤) » وهذا يدل على أن
استماع ما يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة
عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدة على أهل مدينته لهلكوا قيل
وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مضغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

أكل سمعا ولو كان
وآخره مع القدرة
كان ذلك مجازا
السكر الإلهي وإن
لم يكن قادرا عليه
كان ذلك مجازا
القدرة الإلهية فكيف
يقضى عليه بالعجز فيما
لم يحلقه اختيارا وكان
ذلك ولم ينسب إليه
ذلك قبل خلق العالم
ويقال ادّخار إخراج
العالم من العدم إلى
الوجود عجز مثل ما قيل
فيما ذكرنا وما الفرق
بينهما وذلك لأن تأخير
بالعالم قبل خلقه عن
أن يخرج من العدم
إلى الوجود يقع تحت
الاختيار الممكن من
حيث إن الفاعل المختار
له أن يفعل فاذا فعل
فليس في الامكان أن
يفعل لإنهاية ما تقتضيه
الحكمة التي عرفنا أنها
حكمة ولم يعرفنا بذلك
إلا لعلم مجاري أفعاله
ومصادر أموره وأن
تتحقق أن كل
ما اقتضاه ويتقضى من
خلقه بعلمه وإرادته
وقدرته إن ذلك على
غاية الحكمة ونهايه

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها قليل له خفت يا أبا القحطان الحديث وفيه إن العبد ليصلي
صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند
(٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل لأصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن
أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن انتقص من فرضه شيئا قال الرب عز وجل
انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني
عبدي إلا بأداء ما اقترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة قترك من قراءتها آية فلما التفت قال
ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسل
وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبي نزيه بإسناد صحيح.

فهذه صفة المشايخين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق .

(الباب الرابع في الإمامة والقدوة)

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الباقي وامرأة زوجها ساخط عليها وإمام أمّ قوما وهم له كارهون ^(١) » وكما ينهي عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهي عن التقدم إن كان وراءه من هو أفضل منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليقدمهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك المدافعة فتدليل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم وماروى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيببه إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فإن الأئمة ضعفاء وكأن من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياة من المتقين لاسما في جهرة بالتواضع فكان لا حتراز من احتراز أسباب من هذا الجنس .

الثانية إذا خيل المرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما قلناه من فضيلة الأذان لقوله عليه السلام « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن ^(٢) » فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجدا فاسجدوا ^(٣) » وفي الحديث « فإن أتمّ فله ولهم وإن نقص فعليه ولا عليهم ^(٤) » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين ^(٥) » والغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر « من أمّ في ^(١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ^(٦) » ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون للإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله عليه السلام « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ^(٧) »

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الباقي الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكى عن ابن اللديني أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدي وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فإن أتمّ فله ولهم وإن انتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخاري من حديث أبي هريرة يصلون بكم فإن أصابو فلكم وإن أخطئوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل مجديين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أمّ الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام الصنف ولكن في العراقي والشارح لفظا وإن في الموضوعين فليحذر الحديث اه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله للموجبة لإجلاله فلو كان ما خلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولولم يخلق لسكان يظهر النقص المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهمها وعرفهم ما أكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون ه حيث عرفهم بكماله دهم على قصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين للملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا ويتز به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أئمتكم شفعاؤكم أوقال وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم ^(١) » وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة الصالحين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالبوة وهذا بالعلم وهذا بعقاد الدين وهو الصلاة وهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدينا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا ^(٢) » ومقدموا بلالا احتجاجا بأنه رضى للأذان ^(٣) » وماروى أنه قال له رجل يا رسول الله « دلى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بأزاء الامام ^(٤) » فاعلمه ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلى في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا ^(٥) » هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلى الصلاة في آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاتته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ^(٦) » ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإتماما لآخر للظاهرة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى قامت رسول

أصلا في العلم أو كان نسخا له ومعنى نقيس عليه غيره وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق المخبر إذ أفشاء لغير أهله وأهداه لمن لا يستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام : لا تعلقوا الدر في أعناق الخنازير . وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تغموا الحكمة أهلها فظلموه ولا تضعوها عند غير أهلها فظلموها وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقابوب ضعيقة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه في خير وكذلك لو انكشف أنه من أهل النار كن

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين ^(١) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم قطهق وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبغوي وابن قانع والطبراني في معاجهم وك من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمى وهو ضعيف ^(٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدينا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث طي قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وإني لشاهد ما أنا بغائب ولأني مرض فريضنا لدينا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لدينا والرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس ^(٣) حديث تقديم الصحابة بلالا ^(٤) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألقى عليه مارأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاء إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فابى عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبة وفي إسناده جهالة ^(٥) حديث قال له رجل يا رسول الله دلى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخارى في التاريخ والعقيل في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ^(٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف ^(٦) حديث إن العبد ليصلى الصلاة في أول وقتها ولم تفته الحديث الدارقطني من

(١) قول العراقي تقديم الصحابة بلالا لعل المناسب عدم تقديمه فليتامل

انهم اكه فيلا يحتاج
إلى تمبزانة ولا تصيبه
مكابدة فلو عرف كل
واحد عاقبته ومآله
بطلت الأحكام الجارية
عليه وإن كان
كشفتها من مخبر
استروح الضعيف إلى
ما يسمع من ذلك
فيتعطل وينخرم حاله
وينحل قيده وبعد
هذا فلا يحمل كلام
سهل إلا على ما يقدر
لا على ما يوجد ولذلك
جعلناه مقرونا بحرف
لو الدال على امتناع
الشيء لامتناع غيره
كما يقال لو كان للانسان
جناحان لطار ولو
كان للسماء درج
لصعد عليها ولو كان
البشر ملكا لفقد
الشهوات فعلى هذا
ينخرج كلام سهل في
ظاهر العلم .

[فصل] وأما خطاب
العقلاء للجملات فغير
مستنكر فقيما ندب
الناس الديار وسألوا
الأطال واستخبروا
الآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامها من
ذلك كثير وفي حديث

الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام بنفسها قال فأشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢)، وليس على الإمام انتظار المؤذن وإتمام على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره . الرابعة أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقا من مسجد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو أحاد الناس فلا يحكم بتجريمه ولكنه مكروه والكرهية في الفرائض أشد منها في التراويح وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والأصرار على الصغائر فالمرشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والحجب فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناية في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان «صلى خلف كل بر وفاجر إلا ممن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق . الخامسة أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف قليلت يميننا وشمالا فان رأى خلا أصر بالتسوية ، قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة ففي الخبر «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين (٦) وأصر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلبا لفرغ القلب . السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحترام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيره الإمام فيبتدىء بعد فراغه والله أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة : أولها

حديث أبي هريرة نحوه بإسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوما عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة . (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجناية في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكره بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوما إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر في قصة طعنه (٥) حديث يمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره ، تذكر من حديث جابر : يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد النعم الدياجي منكر الحديث قاله خ وغيره (٦) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة واليهيقي لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فأبدءوا بالعشاء متفق عليه .

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتسبيح الذي لا ينفرد ويحجر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع السجود والركعات
الشاء والمغرب وكذلك التفرّد ويظهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويسر التأخير
تأمينه بتأمين الإمام مما لا تعقياً (١) ويحجر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار
الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكّات (٣) هكذا رواه سمرة بن
جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً من إذا كبر وهي الطولى منهم
مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه إن لم يسكت يفوتهم
الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرأوا الفاتحة في سكوتهم واشتغلوا بغيرها فذلك عليه
لأعلمهم . السكّة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكّة الأولى فاتحته وهي
كنصف السكّة الأولى . السكّة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك
بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة
فان لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصّر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده
أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني
مادون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا
بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختتمها لأن ذلك لا يتكرر
على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكير وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض
أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر
موسى وفرعون قطع فركع (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة (٥) وهي
قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع باللا يقرأ
من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطأ الطيب بالطيب فقال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث
ترك الجهر بهما من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً
منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب
وعمران بن حصين في سكّات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سكّات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى
أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف أن
عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضوع من المسند وده حب وت فأنكر ذلك عمران وقال
حفظا سكّة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سكّتان ولكن اختلف عنه في محل
الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى
صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكّاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما
انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين
وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية -
ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما - قولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون -
و د من حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا
بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع باللا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك
فقال أخطأ الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه .

النبي صلى الله عليه وسلم « اسكن أحد
فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان » وقال بعضهم
اسأل الأرض تخبرك
عن شق أنهارها
وجرى بحارها وفق
أهواءها ورتق
أحواءها وأرسي جبالها
إن لم تحبك أجابتك
اعتباراً وإنما الذي
يتوقف على الأذهان
ويتحرر في قوله
السامعون وتسمعون
منه القول هو كيفية
كلام الجمادات
والحيوانات الصامتات
ففي هذا وقع الإنكار
واضطرب النظر
وكذب في تصحيح
وجوده ذوالسمع من
الاعتبار ولكن لتعلم
أن تلقى الكلام للعقلاء
عن لم يعقل عنه في
للشهود يكون على
جهات من ذلك مع
الكلام الداني كالتلقي
من أهل النطق إذا
قصودوا إلى نظم اللفظ
وذلك أكثر ما يكون
للأنبياء والرسول
صلوات الله عليهم في
بعض الأوقات كتحسين

الجدع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبغته ومنها تلقى الكلام في حسن السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويعتري هذا سائر الحواس كشمل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال الرئي للنائم ليس له وجود في سمعه وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة وعامة ، وقد ورد أن الحجر في زمن عيسى ينادى للسلم يا مسلم خلقي يهودى فاقته وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا وينهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار في العادة من اللائكة والجن أو يكون كلام يخلق الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في العرض الأكبر يوم

بما زال الفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر ينتف ذلك وفي المغرب بأواخر الفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخييف أولى لاسمها إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء (٢) » وقد كان معاذ ابن جبل يصلى بقرم العشاء ققرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم نفسه فقالوا نفاق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذ فقال أفتان أنت يا معاذ أقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيبجات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٤) ، نعم روى أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجمل أنهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا للتجردون للدين فلا بأس بالمشى هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية في المأموم ينبغي أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يساقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس بأن يستعذ في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

- (١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل .
- (٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء ققرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهي عند البيهقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن باسناد جيد وضعفه ابن القبطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا لم أجده أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه فحرقنا في ركوعه عشر تسيبجات وفي سجوده عشر تسيبجات .
- (٧) حديث كان الصحابة لا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التعوذ في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الغزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً .

وقيل لأنه تمسوح العين أى مضموسها . وأما وظائف التحلل فتلاثة : أولها أن ينوى بالتسليمين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يقيم حتى ينصرفن (١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (٢) . الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الإمام فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وأعماها إلا شيئا واحدا أنك لما سلمت لم تتفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضى ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فقرأه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت (٣) فإذا صح الحديث استحباب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التمويل على التوقيف وبينهما يضاف فرق وذلك أن لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لا يثق بالدعاء والله أعلم فهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله الموفق .

(الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه (٥) » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره (٦) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرخوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخبره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أولى الناس به سبقوا وأهل الكتابين لهم تبع (٧)

بآخر الصلاة وللمزمذ من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون وك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش ومجهم وسأى في الدعاء (١) حديث المكث بعد السلام من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث ه من حديث جابر باسناد ضعيف .
(٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامه إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلائق مثل اسم المنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيجتمعا أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة في الشرع وفيما سمعت غنية ومقنع .

ومنها تلقى الكلام في العقل وهو الاستفادة بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس :
وأجهشت للتوداد حين رأيت
وكبر للرحمن حين رآني
قللت له أين الذين عهدتهم
حواليك في عيش وخض زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم
ومن الذي يبقى على الحدان

وفي أمثال العوام قال
الحائط للوتد لم تشعني
فقال الوتد للحائط
سل من يدقني
فلو كانت العبارة تتأني
منها ماعبرت إلا بما قد
استعير لها وعلى هذا
المعنى حمل كثير من
العلماء قوله تعالى
إخبارا عن السماء
والأرض حين - قلنا
أتينا طائعين - وفي
قوله تعالى - إنا عرضنا
الأمانة على السموات
والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها
الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا - ومنها تلقى
الكلام من الجبال مثل
قوله صلى الله عليه وسلم
« كأي أنظر إلى
يونس بن متى عليه
السلام عليه عبادتان
قطوانيتان يلي وتجييه
الجبال والله يقول
ليتك يا يونس » فقوله
كأي يدل على أنه
تخيل حالة سبقت لم
يكن لها في الحال وجود
ذاتي لأن يونس بن
متى عليه السلام قدمات
وتلك الحالة منه سلفت

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفه امرأة
بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك منك بهدك . قلت
فما لنا فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم
ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه
وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيدي . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ
في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرميه فيتجلى
لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه
وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيدي كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم
النظر إلى الله تعالى في الجنة ^(٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من
النار ^(٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلمت الجمعة سلمت
الأيام ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجحيم تسع في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس
في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فانه صلاة كله وإن جهنم لاتسع فيه ^(٥) »
وقال كعب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي
ليلة القدر ، ويقال إن الطير والهوام يلقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال
صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر ^(٦) »
(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فان وقعت
تسليعة الامام في وقت العصر فانت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق إذا وقعت ركته
الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف . الثاني المكان ، فلا تصح في الصحارى والبرارى وبين الحياض
بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لاتنقل ، يجمع أربعين ممن تليهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط
فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث العدد فلا تتعقد بأقل من أربعين
ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يقطعون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة
أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في
قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعهم ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفه امرأة بيضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعي في المسند والطبراني
في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي هريرة (٣) حديث إن لله في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار
عد حب في الضعفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل والحديث غير ثابت (٤) حديث
أنس إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام حب في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية وهق في الشعب من حديث
عائشة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجحيم تسع كل يوم قبل الزوال عند استواء
الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبي قتادة وأعله بالانقطاع (٦) حديث من مات
يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو وث نحوه
مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس إسناده متصل . قلت وصلته الحكيم في النوادر .

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهور وإذا سلم الامام تممها ظهرا .
الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقه بأخرى في ذلك البلد فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز
في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خاف الأفضل من الامامين فإن تساويا فالمسجد الأقدم
فإن تساويا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى . السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام
فيهما فريضة والجلوس بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التمجيد وأوله الحمد لله والثانية
الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
والسلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف
أو العزّة والمنبر كي لا يعبث بهما أو يضع إحداها على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
ولا يستعمل غريب اللغة ولا يعطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ
آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
لعذر المطر والوحل والفرع والمرض والتبريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعنى
أصحاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
أو عبد أو امرأة صحت جمعهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر حمل)

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قبولت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله
عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
ويفعل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التي
تنعه من البكور إلى الجمعة وينوى في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى
يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل
كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهلها في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحب ذلك
قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل ^(١) » وهو حمل
الأهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال
ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيبا من الجمعة
من انتظرها ورعاها من أمس وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة

(١) رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحب و ك وصححه من
حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت .

وفي هذا الحديث إخبار
عن الوجود الخيالي
في البصر والوجود
الخيالي في السمع
ومنها تلقى الكلام
بالشبه وهو أن يسمع
السامع كلاما أو صوتا
من شخص حاضر
فيلقى عليه شبه غيره
مما غاب عنه كقوله
عليه السلام في صوت
أبي موسى الأشعري
إذ معمه يترنم بالقرآن
« لقد أعطى زممارا
من زمير آل داود »
وزمير آل داود قد
عدمت ، وذهبت
وإنما شبه صوته بها
وكذا إذا سمع المريد صوت
زممار أو عود فجاء على
غير قصد يتخيل صرير
أبواب الجنة وشبهها
بما جأ صوته من ذلك
فهذه مراتب الوجود
فأنت إذا أحسنت
التصرف بين أساليبها
ولم يعتكز غلط في
بعضها يبعث ولا
اشتبهت عليك وصمت
عمن نظر بمشكاة نور
الله تعالى إلى كاعغد
وقدره أسود وجهه
بالخبر فقال له ما بال

وجهك وقد كان أبيض
أشقر موتها والآن
قد ظهر فيه السواد
فلم سودت وجهك
فقال سئل الخبر فانه
كان مجتمعا في المحبرة
التي هي مستقره ووطنه
فسافر عن الوطن
ونزل بساحة وجهي
ظلماء وعدوانا فقال
صدقت . ثم أنت إذا
سمعت أمثال هذه
الراجعات أعمل الفكر
وجدد النظر وحل
الكلام إلى أجزاء التي
ينظم منها جملة ما بلغك
فسأل عن معنى الناظر
ومعنى المشكاة ومعنى
نور الله سبحانه
وما سبب أنه لم يعرف
الناظر الكتابة
والمكتوب وبأى لسان
خاطب الكاغد وكيف
مخاطبة الكاغد وهو
ليس من أهل النطق
وفيما صدق الناطق
الكاغد ولم صدقه
بمجرد قوله دون دليل
ولا شاهد فيدو لك
ههنا من الناظر هو
ناظر القلب فيها أورده
عليه الحس والمشكاة
استعارة من مشكاة

في الجادع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداء بالغسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يكره فأقربه إلى الرواح
أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى
وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم ^(١) » والمشهور من حديث نافع عن
ابن عمر رضي الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل ^(٢) » وقال عليه السلام « من شهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسل ^(٣) » وكان أهل المدينة إذا تسابوا المتسابون يقول أحدهما للآخر لأنت أشرف من
لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك
البكور فقال ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضع وتخرج فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن
رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل ^(٤) » وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالتغسل أفضل ^(٥) » ومن اغتسل
للجناية فليغسل الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له
الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجناية وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال
له ألي الجمعة فقال بل عن الجناية فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره
به لأنهم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال المقصود بالنظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء
أيضا وقد جعل في الشرع قرينة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توشأ ولم يطل غسله والأحب
أن يحتزز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطيب
الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فان كان قد دخل
الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها
الروائح الكريمة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره « وأحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ^(٦) » روى ذلك في الأثر وقال الشافعي
رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب
إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل
بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا
اليوم روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون
على أصحاب العمام يوم الجمعة ^(٧) » فان أكره الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع
في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث
نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث
من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهق من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر
لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان
(٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث سمرة (٦) حديث
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه د ت وحسنه و ن من
حديث أبي هريرة (٧) حديث واثلة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة
ط وعد وقال منك من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث واثلة .

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وإيكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في صعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصدا للعبادة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والمسارة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء ^(١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الفجر إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا إلىهن في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة ^(٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن الغدو إلى الجمعة وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم ^(٣) » وجاء في الخبر « إن الملائكة يفتقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فمر فأغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فأقبل قلبه إلى طاعتك ^(٤) » وكان يرى في القرن الأول سحرا أو بعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى التدرس ذلك فقليل أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبيكرون إلى البيخ والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبيكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والرجح فلم لا يسابهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قريهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذن إلا بالاستهام عليها حرصا على ما فيهن من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ^(٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن مسعود ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم يباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث إن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان هق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص بإسناد حسن . واعلم أن المصنف ذكر هذا أمرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطا .

الزجاجة التي أعمرت بسراج النار إلى خبر المعرفة للقلب بسر القلب شبيها بها لأنها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شططها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتغال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهية بإذن الله تعالى ظم جهالات القلوب ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والخبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرها وجعلهما مبدأ طريقه وأول سلوكه إذ هما في عالم الملك والشهادة الذي محل جولة الناظر في حال نظره وأما سبب أنه لم يعرف الكتابة والكتوب فلاجل أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي وإنما يروم معرفة قراءة الحط الإلهي الذي هو آيين وأدلة على الفهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو

جاء فسبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر إن كان مرادا فباقى الكلام فى الحسن بما ينبئ عنه المطالب من الحق وهو من باب الالتقاء فى الروع فيودعه الحسن المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الأشياء المحسوسة وإن كان مريدا فيتلقيها باسان الحال للسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد فى عذره وإحاطته على الخبر لم يكن لمجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس وه يسلك إلى القدرة وهو آخرها سئل عن أجزاء عالم الملك . وأما مسمعته فى حد عالم الجبروت فذلك من القدرة المحدثه إلى العقل والعلم الوجودين فى الانسان المستقرة فى القوة الوهية للدركة جميع ما لا يستدعى وجوده جسما ولا سكن قد يعرض

قد سبقوه بالبكور فأنتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتباً لها رابع أربعة ومارابع أربعة من البكور ببعيد . الخامس فى هيئة الدخول ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسبى ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد فى تخطى الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جهمت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم ترك تتخطى رقاب الناس (٢) . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفى حديث مسند أنه قال « ما منعك أن تصلى معنا » قال أولم ترى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وآذيت (٣) » أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يرون بين يديه أعنى بين يدي المصلى فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدي المصل (٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل رمادا رمديا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلى (٥) » وقد زوى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع فقال « لو يعلم المار بين يدي المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه (٦) » والأسطوانة والحائط والمصلى المقروش حد للمصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أبى فليدفعه فان أبى فليقاتله فإنه شيطان (٧) » وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصصره فرما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند صروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فلينبص بين يديه شيئا طوله ذراع ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كإروياه وفى الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام (٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة أخذ جسرا إلى جهنم ت وضعفه وه من حديث معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك فى الرقائق (٣) حديث ما منعك أن تصلى معنا فقال أولم ترى قال رأيتك تأنيت وآذيت دن حبك من حديث عبد الله بن يسر مختصرا (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يدي المصلى البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهنم أن يقف أربعين قال أبو النضر لأدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة وه وجب من حديث أبى هريرة مائة عام (٥) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خيرا له من أن يمر بين يدي المصلى أبو نعيم فى تاريخ أصحابه وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا (٦) حديث لو يعلم المار بين المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح (٧) حديث أبى سعيد فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي انظر آخر « غفر الله إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس ^(١) » ولا يغفل في طاب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تكبر وتصل في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمح كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يابا عبد الله أليس في الخبر « ادن واستمع ^(٢) » فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلاما بعدت عنهم ولم ينظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم ^(٣) » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فأنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية إشارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقطوعة عن المسجد للسلطان فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلطان وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك اطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإيما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذن ولم يشب له أصل في أثر ولا خبر ولسكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها قالوا : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له ^(٤) » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بآشارة أومر وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس دح بك من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع د من حديث حمزة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجرونا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لجمعة له تن عن أبي هريرة دوت قوله ومن لغا فلا جمعة له قالت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع العطف وتنفذ من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم الملكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصورة فأما أي شيء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا يتفهم بسماعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأولى المشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد : [فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

وفي حديث أبي ذرٍّ أنه لما سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبيّ اذهب فاجتمع لك فشكاه أبو ذرٍّ إلى النبي ﷺ فقال « صدق أبي »^(١) وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لأن ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينة حتى يفتى إلى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب وإذا كانت تسكره الصلاة في وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية وقال عليّ كرم الله وجهه تسكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يراعى في قدوة الجمعة ماذكرناه في غيرها فإذا سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً وسبعاً وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من دأب على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين^(٢) ، وروى أبو هريرة أربعة أرباع^(٣) ، وروى علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ستاً^(٤) والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلازم المسجد حتى يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا كرا الله عز وجل مفكراً في آلائه شاكراً لله تعالى على توفيقه خائفاً من تقصيره مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوه »^(٥) .

(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فالخير في كلامهم ولا ينبغي أن يخلو المرید في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

إذا قلت لصاحبك و د من حديث عليّ من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له (١) حديث أبي ذرٍّ لما سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث هق وقال في المعرفة إسناده صحيح د ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الرداء وأبو ذرٍّ ولأحمد من حديث أبي الرداء أنه سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يسهل فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا (٤) حديث عليّ وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة هق مرفوعاً عن عليّ وله موقفاً على ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستاً (٥) حديث يأتي على أمي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث هق في الشعب من حديث الحسن مرسلاً وأسنده ك من حديث أنس وصححه إسناده وحسب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الملك وبين العلم الإلهي في عالم الملكوت أن العلم كما اعتقدته مجسم بطيء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلاك شغافاً عن مثله في الظاهر مجعولاً تحت قهر سلطان الآدمي الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والإفك فالعلم الإلهي عبارة عن خلق الله في عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة في عالم الملك يرى من أرصاف ماسمي به القام المحسوس كلياً مصرفاً يتميز الخالق بحكم إرادته على ماسبق به عليه في أزل الأزل وإنما مسمى بهذا الاسم لأجل شبهة بعمل ماسمي به غير أنه لا يكتب إلا حقائق الحق والفرق بين عيني الآدمي وعيني الله عز وجل أن عيني الآدمي كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها وعصل تعضل أدواؤها وعظام يعظم بلاؤها

نهى عن التحاق يوم الجمعة قبل الصلاة^(١) « إلا أن يكون عالماً بالله يذكر بأيام الله وبقته في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر^(٢) » إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة^(٣) » قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أما إنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد سمي الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً - وقال تعالى - ولقد آتينا داودنا فضلاً - يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يروونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قاص يقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا^(٤) » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه وروى أن قاصاً كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتى ففرض به ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة في الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه^(٥) » وفي خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلي^(٥) » واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أيها عليه السلام وعليها^(٦) وقال بعض العلماء هي مبهمه في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنتقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا^(٧) لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضاً لها باحضار القلب وملازمة الذكر والزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحبار إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلي ولا ت حين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قعد ينتظر

ولحم يمدد و جلد غير جلد موصولة كمثلها في النصف والافعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال ويعين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل العلوم المحدثه وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها اليمين السكينة بالقلم المذكور بالخط الإلهي الثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الأميون إذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئ إذا كانوا عبيد شهوراتهم ولم يشارك عيّن الأدمى إلا في بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريباً إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر^(٢) حديث أبي ذر^(٢) حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم^(٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر^(٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ت ه من حديث عمرو بن عوف المزني^(٥) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبي هريرة^(٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في العلل هي في الشعب وعلته الاختلاف^(٧) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه بن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

[فصل] وحدها عالم الملك
ماظهر للحواس ويكون
بقدره الله تعالى بعينه
من بعض وصحة التعبير
وحدّ عالم للملكوت
ما أوجده سبحانه
بالأمر الأزلي بلا تدريج
وبقي على حالة واحدة
من غير زيادة فيه
ولا نقصان منه وحدّ
عالم الجبروت هو ما بين
العالمين بما يشبه أن
يكون في الظاهر من
عالم الملك فخير بالقدرة
الأزلية بما هو من عالم
الملكوت .

[فصل] ومعنى أن الله
خلق آدم على صورته
فذلك على ما جاء
في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم
والعلماء فيه وجهان
فمنهم من يرى للحديث
سببا وهو أن رجلا
ضرب غلامه فرآه
النبي صلى الله عليه وسلم
فتناه وقال إن الله
تعالى خلق آدم على
صورته وتأولوا عود
الضمير على المضروب
وعلى هذا لا يكون
للحديث مدخل في هذا
الموضع لم يردّه مورد
آخر في غير هذا الوطن

الصلاة فهو في الصلاة (١) قال بلي قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة
من الله سبحانه للقائين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا
وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم
الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأُمّي وتعدّد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا وحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته
واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ماجازيت نبيّا عن أُمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من
النبيين والصالحين بأرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع
في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد آتى بالصلاة
المأثورة فقال « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونواحي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك
وتحيّتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح
البرّ ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلّف به قربه وتقرّب به عينه يغبطه به الأولون
والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشاهقة المنيفة
اللهم أعط محمدًا مؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه
وأبلغ حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنّا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته وأحننا
على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه وأسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبطلين
ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين (٣) » وعلى الجملة فكل ما آتى به من ألفاظ الصلاة
ولو بالمشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا
اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبي
هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها
إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الآخرة وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح
وعوفي من الداء والديلة وذات الجنب والبرص والجذام وقتة الدجال (٤) » ويستحب أن يختم القرآن
في يوم الجمعة وليتمّها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب
أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله
أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا ت حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من
قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعبا هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك
وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجّع والحديث رواه دت ن
حب من حديث أبي هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة
ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال
ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود
(٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما .

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للمسببات الست في يوم الجمعة أوليلتها حسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورة بآياتها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان^(٢). الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) فقد قل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للدخول حتى صلاها^(٥). فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنيفة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التيسيع كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلاها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتيسيع والاستغفار . السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ليناؤه إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكانه من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلات لا يصح مسندا ولا مرسلات (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والإمام يخطب م من حديث جابر وخ الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للدخول حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسنده عيين بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلات (٦) حديث صلاة التيسيع وقوله لعنه العباس صلاها في كل جمعة ذه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عقي وغيره ليس فيها حديث صحيح .

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول مما يمز ويعسر فليبق السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الوطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائدا إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فإذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أي جهة يحمل في الاعتقاد العلمى على الله سبحانه ففيها وجهان : أحدها أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والناقة والحيين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

السلف من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداوا ابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تنفردلى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدىء فيه السفر فقد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه (١) » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة نفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خبراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بسىء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لملته لحرمانه بركة الوقت وانتهى كحرمه الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسبأى ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج الريد إلى معرفتها)

فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا ييطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل العقرى التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحلك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعى إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقيها وهذه رخصة والافالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرده الباب وقال لأعود نقسى ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تآب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجشأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا يبتغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا الضرورة [مسئلة] الصلاة في النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلاً وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها اللداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع قنزع الناس نعالهم فقال لم خلعت نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثاً فليمسحه بالأرض وليصل فيهما (٢) » وقال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعت نعالكم وهذه مباقة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليسين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقدرى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه (٣) » فأذن قد فعل كليهما فمن خلع فلا يبتغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع قنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث

أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

به تعالى فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بجملة آدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر لكنه مختصر صغير فإن العالم إذا فصلت أجزاؤه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظر في تحليل صورة العالم الأكبر قسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كالعالم الملك والثاني باطن معقول كالعالم للسكرات والانسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم ومائر أنواع

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه ^(١) » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما ^(٢) فلما إمام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا بزق في صلاته لم يطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا بعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحترمه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعر جون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعران ثم التفت إلينا وقال أياكم يجب أن يبرق في وجهه قلنا لأحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة ^(٣) » وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبرقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدترته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض [مسئلة] لوقوف المقتدى سنة وفرض . أما السنة فأن يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجانب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهى خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يخرج إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لأنه بنى فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام ؛ صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفروق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وكفى بهما رابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبأها لاطىء في المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعروة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركب الامام قبل تمامها وقدر على الحوقة في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وإن ركب الامام وهو في السورة فليقطعها وإن أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للإحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فلن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د إسنيد صحيح وضعه المنذرى وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا م من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشباه ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قدانقسم بالعوامل إلى عالم الملك وهو الظاهر للحواس وإلى عالم السموات وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم إلى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابه لعالم السموات فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكالإدراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة بأجزائه والوجه الثانى أن يكون معناه كفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بمالم تصله عقولهم أن تريدون

أن يكذب الله ورسوله
فمن حدث أحدا بما لم
يصله عقله ربما سارع
إلى التكذيب وهو
الأكثر ومن كذب
بقدره الله تعالى وبما
أوجدتها فقد كفر
ولو لم يقصد الكفر فإن
أكثر اليهود والنصارى
وسائر الكفار ما قصدت
الكفر ولا تظنه
بأنفسها وهي كفار
بلا ريب وهذا وجه
واضح قريب ولا
تلائم إلى ما مال إليه
بعض من لا يعرف
وجوه التأويل ولا
يعقل كلام أولى الحكمة
والراسخين في العلم
حين ظن أن قائل ذلك
أراد الكفر الذي
هو نقيض الإيمان
والاسلام بتعلق مخبره
وتلحق قائله وهذا
لا يخرج إلا على مذاهب
أهل الأهواء الذين
يسكفرون بالمعاصي
وأهل السنن لا يرضون
بذلك وكيف يقال لمن
آمن بالله واليوم الآخر
وعبد الله بالقول الذي
ينزه به والعمل الذي
يقصد به التبعيد لوجهه

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أو لا ثم العصر فان ابتداء العصر
أجزاء ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده
فان الجماعة بالأداء أولى فان صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة
الوقت والله يحتسب أيهما شاء فان نوى فائتة أو تطوعا جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة
أخرى فليكن الفائتة أو النافلة بإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لوجهه وإيضا احتمل ذلك لدرك
فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولورأى النجاسة
في أثناء الصلاة رعى الثوب وأتم والأحب الاستئناس وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل
عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة
[مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو فعل
فعلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصلي ثلاثا أو أربعاً أخذ باليقين وسجد سجدة
السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وبعد أن أحدث
بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد
إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد
طول الفصل فقد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سبها خبل في العقل أو جهل بالشريع لأن امتثال
أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم
فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا
عليه بوجهي كان سفها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما
إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشترط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون
القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون
تعظيما فانه لو قام مدبراعنه أو صبر فقام بعد ذلك عمدا لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابد وأن تكون
معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ
الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم
النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فان هذه
القصد وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الدهن بحيث تظالهما
النفس وتأمليهما وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة
وإن لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما
هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الوجود والمعدم والتقدم والتأخر والزمان
وأن التقدم للمعدم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطقية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث
إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان
المنقسم إلى المتقدم والتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله إنني أعلم الحادث ومن
الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرية والأدائية
والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يظالها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل
العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كاستئصال
أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا باحضار هذه
الأمر مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه ولو سوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعبد ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية فتفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضلوا سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها [مسألة] ينبغي أن لا يتقدم للمأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمداً لم تبطل صلاته كالموقوف بحضبه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبهاً بما لو تقدم في الموقف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلاً للتبعية في الفعل وتحصيلاً لصورة التبعية إذ اللاتق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لأوجه له إلا أن يكون سهواً ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فيه فقال «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار»^(١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الركوعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسألة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانسكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه»^(٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من يسئ صلاته فلم ينه فهو شريك في وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تقص إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة»^(٣) وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الملبث هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد بين الصف ولذلك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر»^(٤) ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه أئني إذا لم يكن بالغاً وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيماناً ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد وينيله ما شرف من النسخ ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنينه وإطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في إفشاء سرّ الولي ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشاءه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متعبد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر وولي هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم - ثم إنه من سب أحداً منهم على معنى ما يجده من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثبتت من غير تكفير وأنه أئيماً فعل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من النوافل من الصلوات)

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل للواظبة عليه كما سنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وميمت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائد على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار للعرف لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الأفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الأفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم واليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات

الحس وثلاثة وراها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »^(١) ويدخل وقتها بطول الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن تعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك بطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقدمت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »^(٢) ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فان قيل

فامعنى قول سهل رحمه

الله تعالى ونسب إليه :

للإلهية سر لوانكشف

لبطلت النبوات

وللنبوات سر لو

انكشف لبطل العلم

والعلم سر لوانكشف

بطلت الأحكام وجاء

في الإحياء على أثر هذا

القول وقائل هذا القول

إن لم يرد به إبطال

النبوة في حق الضعفاء

فيا قالوا ليس بحق فإن

الصحيح لا يتناقض

والكامل من لا يظني

نور معرفته نور ورعه

وهذا وإن لم يكن من

الأسئلة المرسومة فهو

متعلق منها بما فرغ

من الكلام فيها آقا

وناظر إليه إذما أدى

إفشائه إلى إبطال النبوة

والأحكام والعلم كفر .

فالجواب : أن الذي

قاله رحمه الله وإن كان

مستعجما في الظاهر

فهو قريب للسلك باد

للمتأمل الذي يعرف

مصادر أغراضهم

ومسالك أقوالهم الإلهية

فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة . الثانية : راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهم وركوعهم وسجودهم صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل (١) . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال يطلمن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل (٢) » رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرده ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب (٣) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) « فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء قصارت الركعتان قبل الظهر كد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبه مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط ه ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانهى على الامتدانة إلى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً وفي وقت

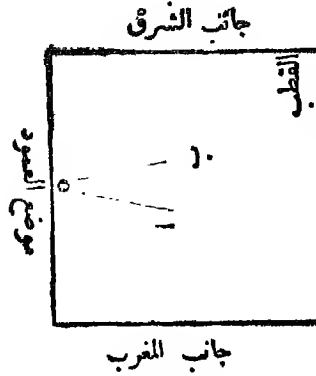
(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهم الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة الحديث بن ك وصححه اسناده على شرط م ورواه م مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين الذي لولا لم يكن نبيا لا يخلو أن يكون إنكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التي هي غائبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طراً عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والته ما بهر العقول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضعفه ومن انتهى إلى هذه الحالة فنبطل النبوة في حقه أن يعرفها أو يعقل ما جاء من قبلها إذ قد شغلها ما هو أعظم لديه منها وربما كان سبب موته لعجزه عن حمل ما يطأ عليه كما حكى أن شاباً من سالكي طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان في مقام الضمفاء من المريدين فلم يطق حمله فبات به وإما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فنبطل النبوة في حق

الخبر حين نهى أن
لا يفشى فأفشى أو أمر
أن لا يحدث فلم يفعل
نفرج بهن المعصية
عن طاعة النبي صلى
الله عليه وسلم فيها
فلمذا قيل في ذلك
بطلت النبوة في حقه .
فان قيل فلم لا تكفروه

على هذا الوجه إذا بطلت
النبوة في حقه بأخباره .
قلنا ما بطلت في حقه
جميعا وإنما بطل في
حقه منها ما خالف الأمر
الثابت من قباه وبعد
هذا من الكلام على
تغليظ حق الإفشاء
وقد سبق الكلام عليه
في معنى إفشاء سر
الربوبية كفر وأما
سر النبوة الذي أوجب
العلم لمن رزقها أو
رزق معرفتها على
الجملة إذ النبوة
لا يسرفها بالحقيقة
إلا نبي فان انكشف
ذلك لقلب أحد بطل
العلم في حقه بارتفاع
الحجة له بالأمر المتوجه
عليه بطلبه والبحث
عنه والتفكير فيه
فيكون كالنبي إذا
سئل عن شيء ولو وقعت

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل
من تلك العلامة مثل العمود دل وقت العصر فهذا الفدر لا بأس بمعرفته في علم الزوال وهذه صورته :



الثالثة : راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم مستحب استجابة مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة
قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم
تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل
عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبد بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال
عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل
فيحسب أننا صلينا^(٣) فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل
أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فعابه الناس قتر كهما قتل له في ذلك فقال
لم أر الناس يصلونهما قتر كهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل
وقت المغرب بغيوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت
محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه وسلم
« إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأحب المبادرة في صلاة
المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه وآخر عمر
رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق
ركبتين . الخامسة : راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر د ت ح ب من حديث ابن عمر وأعله
ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره في ابتداء أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم السواري إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لا من حديث
عبادة وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا
يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى
يدخل الداخل فيحسب أننا صلينا م من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق
عليه من حديث عبد الله بن مغفل (٥) حديث إذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه
من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام د .

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلامعنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل (٢) » فإذا اختار كل مرید من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيها ذكرناه أن بعضها آكد من بعض وترك الآكد أبدا لاسيما والفرائض تسكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر . السادسة : الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) » وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصلا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعنى ما معينا جملتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف فقيل إن الايتار بركعة فردة أفضل إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون مورا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث هق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ولا ذكر ألقاكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر بسبع م دن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشرين وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم في الذي قبله والترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد في رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتاج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء في روع فيعود مخترعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجائبها ولا لاحظ للسلوك يصير قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا يفهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وأن منح المعارف والعلوم أسنى المحبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله الميقات فمن حى وميت ومتحرك وساكن وعالم

وجاهل وشقي وسعيد
وقريب وبعيد وصغير
وكبير وجليل وحقيق
وغنى وفقير ومأمور
وأمر ومؤمن وكافر
وجاحد وشاكرو ذك
وأثني وأرض وساء
ودنيا وأخرى وغير
ذلك مما لا يحصى
والكل قائم به موجود
بقدرته وباق بعلمه
ومنته إلى أجله
ومصرف بمشيئته
وذلك على بالغ حكمته فما
أكل جهل من لا يجد
به إلا قدماء ولا من
يصرفه إلا استبداده
ولا ملكه إلا ملكه
فيعود المحدث قديما
والربوب ربا والمالوك
مالك فيعود الخلق من
خلق الله كهو، تعالى الله
عن جهل الجاهل
وتخييل المعتوهر
وزيغ الزائعين .
[فصل] وأما حكم هذه
العلوم المكتوبة في
الطلب وسلوك هذه
المقامات ورفع هذه
الدرجات واستفهام
هذه المخاطبات أهى من
قبيل الواجبات
والمندوبات أو اللبايات

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة
فى أى وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به
وترا فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة فى نيته فى الركعتين نظر فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة
العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر
أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيين أحدهما أن يكون فى نفسه وترا
والآخر أن ينشأ ليجمع ترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن
وتريته موقوفة على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر
والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترا بأنفسهما ولكنها
موترتان بغيرها والوتر ينبغى أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسبأى فضائل الوتر والتهجد
وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالموظبة عليها من عزائم
الأفعال وفواضلها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت أم هانىء أخت على بن
أبى طالب رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم
ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فانها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة
ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى
الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وأرتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من
أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى
أربعاً (٥) فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار
ربعه بازاء صلاة العصر فان وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى
على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب
وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة .
الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين العشاءين ست ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أمده كم بصلاته هى خير
لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (٢) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن
متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً
ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث
جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس
وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعاً ت ن ه من حديث على كان نبي الله صلى الله
عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى
ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى
بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن
ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم
فيها يمين بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة .

— تتجاف جنوبهم عن الشمال — وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتسكَّم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر مائة عام ويغرس له بينهما غرامسا لوطافه أهل الأرض لوسعهم (٢) » وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثاني ما يتكرر بتكرار الأسابيع)

(وهي صاوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنة وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمره وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر (٣) » وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقاً على الله أن يقضى حاجته (٤) » . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها (٥) » وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلأأ (٦) » . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار (٧) » وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

فاعلم أن السؤل عنه على ضربين أحدهما هو في حكم المبادئ والثاني في حكم الغايات فأما الذي هو في حكم المبادئ فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم العامة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهي واجبة قال الله تعالى — فاتقوا الله ما استطعتم — وقد سبق التنبيه عليه. وأما الذي هو في حكم الغايات مثل إقلاص الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسر معاني التقدير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين . ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن النذر مرسل (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بإغاله من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى اللديني من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث على وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى اللديني فيه بغير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى اللديني من حديث جابر عن عمر مرفوعاً وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى اللديني بغير سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار الحديث أبو موسى اللديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخط رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المقرض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معلول إمامتونه بدينه وأحجوب به وربك على كل شيء قدير .

[فصل] وأما أي شيء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

آية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن صاذن جيل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث صرات والعودتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي^(١) » يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجبا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعد ذلك من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة^(٢) » يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عبد مؤمن قام إذا استقبلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أصبغ الوضوء فصلى مسجدة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة وألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة^(٣) » وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له^(٤) » . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف حجة وعمره ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء^(٥) » . وأما الليالي . ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والعودتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله

ولا عند ارتفاعه^(١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى المدني وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين^(٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى المدني بسند ضعيف جدا^(٣) حديث علي يوم الجمعة صلاة مامن عبد مؤمن قام إذا استقبلت الشمس الحديث لم أجده أصلا وهو باطل^(٤) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجهه غير هذا^(٥) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى المدني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .

ومحمدا حبیب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع الله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبة من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

الشارع فيما له أن يعتجن به من كلف ويتلو من بعيد ولكن للعالم رجال مخصوصون فما بال من لم يجعل شارعا ولم يبعث لغير أن يسلك ذلك. والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ورث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه كحلته والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى : ومرة فاستوى وحكم يارث فيما ورث حكم بلوروث فيما ورث عنه فاعرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امثله وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتهاده فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلمه للعالمات وأشار مما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير إسناد وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكورة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا .

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتي عشرة ركعة . لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا لم يخرجها تأمل .

وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء^(١)». ليلة الجمعة: قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها^(٢)» وقال أنس قال النبي ﷺ «من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والعوذتين مرة مرة ثم أوثر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة^(٤)». ليلة السبت: قال أنس قال رسول الله ﷺ «من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له^(٥)».

(القسم الثالث ما تكرر بتكرار السنين)

وهي أربعة: صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان. الأولى صلاة العيدين: وهي سنة مؤكدة وشعار من شعار الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور، الأول: التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الأقاويل ويكبر عقب الصلوات للفروضة وعقب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد. الثاني إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجائر التزين عند الخروج. الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر^(٦) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ «يأمر بأخراج العواتق وذوات الخدور^(٧)». الرابع المستحب الخروج إلى الصحراء إلى البكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويحوز في يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين. الخامس يراعى الوقت فوق صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر يوم. الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الله سبحانه وتعالى صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لأصله (٣) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصله وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن المظفر حسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٤) حديث أكثرُوا على من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهري طبع في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٧) حديث كان يأمر بأخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية.

فلم يكن للوارث تعدد
عن حكم الموروث كما
حكى عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
إني رويت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وعاءين أحدهما هو
الذي بثته فيكم، وأما
الثاني فلو بثته لحزتم
السكين على هذا البلعوم
وأشار إلى حلقه وبعد
كل شيء في القدوة
بصاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه النجاة
وفي اتباعه الفوز بحب
الله ويد الله مع الجماعة
وفوق كل ذي علم عليم
وقد أفدناك من طرائف
ما عندنا وأهدينا إليك
من غرائب ما لدينا
وإلى الله يرد العلم مما
دق وجل وكثر وقل
وعظم وصغر وظهر
واستر وإعما ينطق
الإنسان بما أنطقه الله
تعالى وهو مستعمل
بما استعمله فيه إذ
كل ميسر لما خلق له
فاستنزل ما عند ربك
وخالفك من خير
وامتثل ما تؤمله منه
من هداية وبر براءة
السبع الثاني والقرآن

العلماء التي أمرت
بقراءتها في كل صلاة
ركذا عليك أن
تميدها في كل ركعة
وأنسبرك الصادق
السنديق صلى الله عليه
وسلم أن ليس في التوراة
ولا في الإنجيل ولا في
الفرقان مثلها وفي هذا
تنبية بل تصريح بأن
يكثر منها بما ضمنت
من الفوائد وخست به
من الدخائر والعوائد
على لوسطر لكان فيه
أوقار الجلال فافهم واتنبه
واعقل ما خلقت له
واعرف ما أعد لك والله
تعالى سبحانه حسيب
من أرواده وهادي من
جاهد في سبيله وكاف
من توكل عليه وهو
الغني الكريم انتهى
الجواب عما سألت عنه
وفرغنا منه بحسب
الوسع من السلام
ونسأل الله تعالى
المباعدة بين حيالات
قلوب البشر أن يصرف
عنا حجب السكدرات
والأهواء ومراتب
الغنى فيسده مجارى
القدورات وهو إله من
ظهور وغبر وإليه يرجع

وروی

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بينه ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل (١) » وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه ، والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه قال بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وتأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآية الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى طي سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأُمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى (٢) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبيئة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تكرر بشكر السنين وإن كانت رتبها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة تقرأها الأحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون بها صلاة الخير ويجمعون فيها

وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمهما إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بالني ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفاق في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعي قال دخلت على نجي فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أوردته رزين في كتابه وهو حديث موضوع .

من آمن وكفر ومجازي الخلاق بنعيم أو سقر والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافي الضرر وعلى آله السادات القدر وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

تم كتاب الإملاء .

في مشكلات الإحياء

[كتاب عوارف

المعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه

القوى سلطان الظاهر

إحسانه الباهر حجة

وبرهانه المحتجب

بالجلال والمنفرد

بالكمال والمتردي

بالعظمة في الآباد

والآزال لا يصوره وهم

وخيال ولا يحصره حد

ومثال ذي العز الدائم

السرمدى والملوك القائم

الديمومى والقدره

المتنع إدراك كنهها

والسطوة المستوعر

طريق استيفاء وصفها

نظمت الكائنات بأنه

الصانع للبديع والاح من

صفحات ذرات الوجود

بأنه الخالق الخترع

وسم عقل الانسان

وربما صلوها جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها للمغفرة (١)

(القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة :)
صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء وتحمية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة (٢) » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية ووقتها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تقرب الشمس كاسفة ، وتفتت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يطل سلطان الليل ولا تقوت بغروب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلي في أثناء الصلاة آتمها تخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان منتظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد . وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا (٣) » ولو خرج أهل الذمة أيضاً متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودى الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلاً بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل وهـ من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجه من حديث المغيرة بن شعبه (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبر الناس واستقبل القبلة وتحول الرداء في الاستسقاء أخرجه من حديث عبد الله بن زيد المازني .

بالعجز والنقصان وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلبة البيسان وأحرقت سبجات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تمرزا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة تعظيما وإجلالا ولم يجد من فرط الهية في فضاء الجيروت مجالا فعاد البصر كليلا والعقل غليلا ولم يتمتع إلى كنهه السكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكليفه ثم ألبس قلوب الصفة من عباده مسابح العرفان وخصمهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس غلوة ومرأى قلوبهم بنور القدس مجلوة قهيات لقبول الإمداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية واتخذت من الأنفاس العطرية بالأذكار

جلالاً وأقامت على
الظاهر والباطن من
التقوى حراساً وأشعلت
في ظلم البشرية من
اليقين نبراساً
واستحقرت فوائد
الدنيا ولذاتها وأنكرت
مصايد الهوى وتبعاتها
وامتطت غوارب
الرجوت والرهوت
واستفرشت بعلو همتها
بساط الملوك
وامتدت إلى العالي
أعناقها وطمحت إلى
اللامع العلوى أحداقها
وانخذت من اللأ
الأطلى مسامراً ومخاوراً
ومن النور الأعز
الأقصى مزاوراً ومجاوراً
أجساد أرضية بقلوب
سماوية وأشباح فرشية
بأرواح عرشية
نفوسهم في منازل
الخدمة سيارة وأرواحهم
في فضاء القرب طيارة
مذاهبهم في العبودية
مشهورة وأعلامهم
في أقطار الأرض
منشورة يقول الجاهل
بهم قعدوا وما قعدوا
ولكن سميت أحوالهم
فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقينا ومسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وثقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار (١) » حتى قال عوف تمت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملاً والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشجيعها مشهورة فلانطيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما تصير نقلاً في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم بمجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفيل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركاً بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفهم الله عز وجل فيه (٢) » وإذا شيع الجنائز فوصل للمقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنيبه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسناً فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعداً سنة مؤكدة حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاضغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يخلوا ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياماً بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لعبور أو جالس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تنكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والتروب لما روى (١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

كاشفين بالجنان
بائنين بقلوبهم عن
أوطان الحدان
لأرواحهم حول العرش
تطواف ولقاوبهم من
خزائن البر إسعاف
يتعمون بالخدمة في
الدياجرو بتلذذون من
وهيج الطلب نظماً
الهواجر تسلاوا
بالصلوات عن الشهوات
وتعوضوا بخلاوة
التلاوة عن اللذات
يلوح من صفحات
وجوههم بشر
الوجدان وينم على
مكنون سرائرهم
نضارة العرفان لا يزال
في كل عصر منهم علماء
بالحق داعون للخلق
منحوا بحسن المتابعة
رتبة الدعوة وجعلوا
للمتقين قدوة فلا يزال
تظهر في الخلق آثارهم
وتزهر في الآفاق أنوارهم
من اقدى ٣٣
اهتدى ومن أنكرهم
ضل واعتدى فلله الحمد
على ما هياً للعباد من
بركة خواص حضرته
من أهل الوداد والصلاة
على نبيه ورسوله
محمد وآله وأصحابه

(١) حديث صلى ركتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة كان يصلي ركتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ أخرجاه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقتته الله ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بهم سبقتني إلى الجنة الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركتين يمنانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث هق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بكر حسبته عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكر وقال خ لأصله (٧) حديث ركتي الاحرام مخ من حديث ابن عمر .

الأكرام الأجداد .
ثم إن إشاري لهدى
هؤلاء القوم ومحبي
لهم علما بشرف
حالمهم وصحة طريقتهم
البنية على الكتاب
والسنة المتحقق بهما
من الله الكريم الفضل
والمنة حداني أن أذهب
عن هذه العصابة بهذه
الصباية وأؤلف أبوابا
في الحقائق والآداب
معربة عن وجهه
الصواب فيما اعتمدوه
مشعرة بشهادة صريح
العلم لهم فيما اعتقدوه
حيث كثر التشبهون
واختلفت أحوالهم
وتستر بنهم للتسترون
وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من
لا يعرف أصول سلفهم
سوء ظن وكاد لا يسلم
من وقعة فيهم وطعن
ظنا منه أن
حاصلهم راجع إلى
مجرد رسم وتخصصهم
عائد إلى مطلق اسم
ومما حضرنى فيه من
النية أن أكثر سواد
القوم بالاعتزاء إلى
طريقهم والاشارة إلى
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر (١) وركتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور
من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أو شرب ركعتين وإذا شرب شربة
صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على
ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم
« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبت (٣) » الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد
النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلاة
على رسول الله ﷺ وزوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت
النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التمجيد .
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه
فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة
صلاة الاستخارة . فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الاقدام عليه فقد
أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلى ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدر بك بقدرتك
وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن
هذا الأمر خير لى في دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى
وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه
عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شئ قدير (٤) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم
بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الأمر ويدعو بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا
من أعطى الشكر لم يمنع الزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فمن ضاق عليه الأمر
ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد
أنه قال إن من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد اثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأمر الكتاب
وآية الكرسي وقل هو الله أحد فاذا فرغ خرّ ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به
سبحان الذى تعطف بالجسد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه سبحان الذى لا ينبغي
التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بما قد العز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف
في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره
الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن
مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبت ر د ن ه حب في صحيحه من حديث
أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث
ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتى عشرة ركعة أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس بأسنادين ضعيفين
جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة
ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب وفي إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلانك التامات العامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجواب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهاكم فيمتانون بها على معصية الله عز وجل . التاسعة صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحجوك بشيء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أو له وآخره قديمه وحديثه خطؤه وعمده سره وعلايته تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي السنة مرة ^(١) » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقد ست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كما سبق عشراً عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى ^(٢) » وإن زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات للمأثورة ولا يستحب شيء من هذه التوافل في الأوقات الكروية إلا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى في الأوقات الكروية ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلى لا أنه يصلى لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلى في وقت الكراهية فلا يبذل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا يبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل يبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلى لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينبذ قضاءه إن كان مجزأً أن يكون في ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها في النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضايقة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقتها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقتها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ^(٣) » ونهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التسبيح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحي .

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل النج عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً والله العين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف . الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر للتصوف والتمشيه . الباب الثامن في ذكر للمامتي وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

العاشر في شرح رتبة
المشيخة . الباب
الحادي عشر في شرح
حال الخادم ومن يشبهه
به . الباب الثاني عشر
في شرح خرقه المشايخ
الصوفية . الباب الثالث
عشر في فضيلة سكان
الربط . الباب الرابع
عشر في مشاهة أهل
الربط بأهل الصفة .
الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط فيما يتعاهدونه
بينهم . الباب السادس
عشر في اختلاف
أحوال المشايخ بالسفر
والمقام . الباب السابع
عشر فيما يحتاج المسافر
إليه من الفرائض
والنوافل والفضائل .
الباب الثامن عشر في
التسبب . الباب
العشرون في حال من
يأكل من الفتوح .
الباب الحادي
والعشرون في شرح
حال للتجسّد من
الصوفية والتأهل .

في هذه الأوقات ونبه به على الصلاة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه في تمطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر في الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استتقال وملاول لذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فإن القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل فإذا كانت هذه أمور مهمة في النهي عن ارتكاب أوقات السكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف وتحية المسجد فأما ما ضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .
ككل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأفنى الذي خلق الحيوان من نطفة تنمى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما ينسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهار الامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن فضله تركي من عباده من تركي ومن غناه زكي ماله من زكي والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه الخصوصيين بالعالم والتقى .
[أما بعد] فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(١) » وشدد الوعيد على المقتصرين فيها فقال - والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأخنف بن قيس كنت في نهر من قریش فمر أبوذر فقال بشر السكّانين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أفقائهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حمة ندى أحدهم فيخرج من نفض كفيه ويوضع على نفض كفيه حتى يخرج من حمة نديه يترزل وقال أبوذر انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال « هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا ومن بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، مامن صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأسمه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخرها عادت

وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصنابحي وهم فيه والصواب سيد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس (١) » وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد سار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصاد على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضة . الرابع : في صدقة التطوع وفضاها .

(الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والتقدين والتجارة وزكاة الركاك والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر)

(النوع الأول : زكاة النعم)

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعماءة باقية حولاً نصاباً كاملاً مملوكاً على الكمال . الشرط الأول كونه نعماءة فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الحيل والبغال والحمر والتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيمت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤتمتها فلا زكاة فيها . الثالث الحول قال رسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » (٢) ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لأنه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نعمائه فتجب زكاة ماضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيا به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمساً ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من الموز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثالثة فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فإن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادراً على شراؤها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا صارت ستاً وسبعين ففيها بنتاً لبون فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبسيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبسيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لأشئ فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الخياطين كصدقة المالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخطلة الجوار كخطلة الشيوع ولكن يشترط أن يرجماعوا ويسقوا

(١) حديث أبي ذر انتهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجاه م وخ (٢) حديث لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي باسناد جيد وه من حديث عائشة باسناد ضعيف .

الباب الثاني والعشرون
في القول في السماع
قبولا وإثارا . الباب
الثالث والعشرون في
القول في السماع
ردا وإنكارا . الباب
الرابع والعشرون في
القول في السماع ترفعا
واستغناء . الباب
الخامس والعشرون
في القول في السماع
تأديبا واعتناء . الباب
السادس والعشرون
في خاصية الأربعينية
التي يتعاهدها
الصوفية . الباب
السابع والعشرون في
ذكر فتوح
الأربعينية . الباب
الثامن والعشرون في
كيفية الدخول
في الأربعينية . الباب
التاسع والعشرون في
ذكر أخلاق الصوفية
وشرح الخلق . الباب
الثلاثون في ذكر
تفاصيل الأخلاق .
الباب الحادي
والثلاثون في الأدب
ومكانه من التصوف .
الباب الثاني والثلاثون
في آداب الحضرة لأهل
المقرب . الباب الثالث

معها ويحلبها معا ويسرحا معا ويكون للمرعى معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا يحكم للخلطة مع الدمي والمنكاتب ومهما زل في واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض في النزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ في الزكاة مريضه إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من السكرام كريمة ومن اللثام لثيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال .

(النوع الثاني زكاة العشرات)

فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيادونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر أن تكون ثمانمائة من تمر أو زبينا لارطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبلستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أوقاة فان كان يسقى بنضح أودالية فيجب نصف العشر فان اجتماعا فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الإصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الحفاف .

(النوع الثالث زكاة التقدين)

فاذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فيحسابه ولودرها ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فيحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة التقدين وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدي الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدي زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما في النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأقيس .

والثلاثون في آداب
الطهارة ومقدماتها .
الباب الرابع والثلاثون
في آداب الوضوء
وأسراره . الباب
الخامس والثلاثون في
آداب أهل الخصوص
والصوفية فيه . الباب
السادس والثلاثون في
فضيلة الصلاة وكبر
شأنها . الباب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب .
الباب الثامن والثلاثون
في ذكر آداب الصلاة
وأسرارها . الباب
التاسع والثلاثون في
فضل الصوم وحسن
أثره . الباب الأربعون
في أحوال الصوفية في
الصوم والافطار . الباب
الحادي والأربعون في
آداب الصوم ومهامه .
الباب الثاني والأربعون
في ذكر الطعام ومافيه
من المصلحة والفسدة .
الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكل . الباب الرابع
والأربعون في ذكر
آدابهم في اللباس
ونياتهم ومقاصدهم فيه
الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز والمعدن)

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكده شبهة بالنعمة واعتباره أيضا ليس يبعد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين ، وأما المعدن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربح العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب زكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب بالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجاً عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريية من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

(النوع السادس في صدقة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات^(١) بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلاثون يخرج منه جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوا بمختلفة اختار خبرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته وبماليكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عمن تمونون^(٢) » وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته كدوقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم^(٣) فهذه أحكام نفقة لا بد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فإنه لا يتشكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالماً وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق إسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحب لك وصححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتي

والأربعون في ذكر فضل قيام الليل .

الباب السادس

والأربعون في الأسباب

العينة على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون

في آداب الالتباه من

النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن

والأربعون في تقسيم

قيام الليل . الباب

التاسع والأربعون

في استقبال النهار

والأدب فيه . الباب

الخمسون في ذكر العمل

في جميع النهار وتوزيع

الأوقات . الباب الحادى

والخمسون في آداب

للريد مع الشيخ . الباب

الثانى والخمسون فيما

يتممه الشيخ مع

الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والخمسون

في حقيقة الصعبة

وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والخمسون

في أداء حقوق الصعبة

والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس

والخمسون في آداب

الصعبة والأخوة . الباب

السادس والخمسون

في معرفة الانسان

وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه تلف ماله وتمسكه بمصادفة المستحق وإن أخر لعدم المستحق فلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فئات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنياً بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس زكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقباً آخر الأمور وسلامة المأقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلاً باعتبار القيمة بل يخرج النصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضى الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سدّ الخلة وما أبعد عن التحصيل فإن سدّ الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلاً إذ لاحظ للجمرات في وصول الحصى إليها فقصد الشرع فيه الأتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر للعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً ^(١) » تنبهاً على أن ذلك إظهاراً للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتناله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما للمقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المقصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو يبدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعاً وهو حظ العباد وامتنان المكلف بالاستعداد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاها ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضى الله عنه فخط الفقير مقصود في سدّ الخلة وهو جلي سابق إلى الأفهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعباً يميز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى والتساهل فيه غير قادم في حظ الفقير لكنه قادم في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهاء ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النعدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهماً في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقض من القيمة ولم قدر بعشرين درهماً وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها ، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي النقل تخيب للظنون فإن فعل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً . البرار والدارقطني في العلل من حديث أنس .

نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك . الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها . الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما . الباب التاسع والخمسون في الإشارة إلى المقامات على الاختصار والابتناء . الباب الستون في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب . الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها . الباب الثاني والستون في شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الأحوال . الباب الثالث والستون في ذكر كبرى من البدايات والنهايات ومحبتها ، فهذه الأبواب تحررت بمون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق إشاراتهم ولطيف

الخروج عن شبهة الخلاف أولى فايخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قوله المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التوزيع في الخليلك والعبادات ينبغي أن يتوفى عن المهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لولم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهلوا فيه فان ذلك لا بد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة)

اعلم أن على مرئد طريق الآخرة بركاته وظائفه . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعات من مباني الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلطف بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافرااد العبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشراكة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأمنون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتنحوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساحمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل والمساحمة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتى درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع خمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشرط ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبى بكر رضى الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بينك وبينى (١) فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم المسكون أموالهم الراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الاتفاق على قدر الحاجة دون التمتع وصرف الفائض عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهاً وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقاً

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشرط ماله الحديث دلت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما ما بينك وبينى .

اصطلاحاتهم فعلومهم كلها إنباء عن وجدان وانتزاع إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لأنها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصت بكنهها على الإشارة وطفحت على العبارة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والامتلاف وكرعت حقائقها من بحر الألفاظ وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم فى حواشيه بدا هذا القول منه فى وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى التابعين فكيف بنامع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول

والحمد لله رب العالمين .
الباب الأول في ذكر
منشأ علوم الصوفية :
حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
عبد القاهر بن عبد الله
ابن محمد السهروردي
إسلاء من لفظه في
شوال سنة ستين
 وخمسمائة قال أنبأنا
الشريف نور الهدى
أبو طالب الحسين بن
محمد الزيني قال أخبرتنا
كريمة بنت أحمد بن
محمد الرزوية المجاورة
بمكة حرسها الله تعالى
قالت أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن مكي الكشميهني
قال أنبأنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف
القريري قال أخبر
أبو عبد الله محمد بن
إسماعيل البخاري قال
حدثنا أبو كريب قال
حدثنا أبو أسامة عن
بريد عن أبي بردة عن
أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إنما مثلي
ومثل ما يعني الله به
كمثل رجل أتى قوما
فقال يا قومى إنى رأيت

سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتى المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - ومما رزقناهم ينفقون - وبقوله تعالى - وأنفقوا مما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أُرهِقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرصا ولا يلزمه بذلك بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذلك في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهى أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى - إن يسألكموها فيحسبكم تبخلوا - يحسبكم أى يستقص عليكم فسكن بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقص عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال . المعنى الثانى التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال عليه السلام « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسيأتى في ربيع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بغير النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . المعنى الثالث شكر النعمة فان الله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغناثه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلمنا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت ذاعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع قلبه والشیطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (٢) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام للعومات وهى العشر الأولى والأيام للعدودات وهى أيام التشریق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان ، الحديث أخرجه من حديث ابن عباس .

العشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر (١) » وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) » وقد روى أيضاً مسنداً وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء (٣) » وفي الحديث المشهور « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه (٤) » وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب (٥) » وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى في ملأ من الناس يغني الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه (٦) » وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشي كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقرباً لا دغاً وصفة الرياء تنقلب في القبر أفعى من الأفاعى وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقبواً للحية فيقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولوترك الأمر كما كان لسان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويحجب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه المعاني في ربيع المهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي مسند كرهه في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فنعما هي - وذلك حيث يقتضى الحال . الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إن سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفة من

الجيش بعينى وإنى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فأنطلقوا على مهلمهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق . معنى اجتاحتهم : استأصلهم ومن ذلك الجائحة التي تفسد الثمار ، وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخذت أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى

- (١) حديث أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر أحمد حب ك من حديث أبي ذرٍّ ولأبي داود من حديث أبي هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فقد ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن العبد ليعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهق في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة لتطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم أظفر به هكذا.

الله به فعمل وعلم ومثل
من لم يرفع بذلك رأساً
ولم يقبل هدى الله
الذي أرسلت به قال
الشيخ أعد الله تعالى
لقبول ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أصفي القلوب وأزكى
النفوس فظهر تفاوت
الصفاء واختلاف
التركية في تفاوت
الفائدة والنفع فمن
القلوب ماهو بمثابة
الأرض الطيبة التي
أنتبت الكلاً والعشب
الكثير وهذا مثل من
اتنفع بالعلم في نفسه
واهتدى ونفعه علمه
وهده إلى الطريق
القويم من متابعة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن القلوب ماهو
بمثابة الأخاذات أي
الغدران جمع أخاذة
وهو المصنع والغدير
الذي يجتمع فيه الماء
فنفس العلماء الزاهدين
من الصوفية والشيخوخ
تزكت وقلوبهم صفت
فاختصت بزيادة الفائدة
فصاروا أخاذات قال
مسروق صحب أصحاب
رسول الله صلى الله

الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار
عذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن
أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به
فانه محذور والنجس فيه والاعتباد بذكره منهي عنه فاما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن
هو السبب فيها ومثل هذا المعنى قال عليه السلام « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له (١) » وقد قال الله تعالى
- وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد
دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فتدبر
الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والعوائل ولم ينظر بعين الشهوة
اتضح له الأولى والأليق بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى
- لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى
أن يظهرها وقال سفيان من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال أن يذكره ويتحدث به وقيل للمن
أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره
أويؤخه بالمسئلة وقد قال عليه السلام « لا يقبل الله صدقة منان (٢) » وعندى أن المن له أصل ومغرس وهو
من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا
إليه ومنعاه عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من
النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتبها به فخمه أن يتقلد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض
حق الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل (٣) »
فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ولو كان
عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون
القابض تحت منته سقيا وجهلا فان المحسن إليه هو المتكفل برزقه أما هو فأنما يقضى الذي لزمه بشراء
مأجبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب
الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما يبدل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن
رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للزيد وكيفا كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه
محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن
وهو والتحدث به وإظهاره وطلب المسكافة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام
بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المن ومعنى المن في الباطن ما ذكرناه
وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالأظهار وفنون
الاستخفاف وباطنه وهو منعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الحاق لا محالة . والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته
أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة
ما يساوي ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم أنه يبدل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة
(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عند حب في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالذي قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع
بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة
عنه ورواه هق في الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيف فرض
فالكراهة لوجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء
لما استحققر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الآخسون ورب الكعبة» فقال أبوذر من هم قال «هم الأكثرون
أموالا» الحديث ثم كيف يستحققر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر
منه ويحتشد في حفظه بمقدار الحاجة وقد أُرْم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه فالغنى مستخدم للسعى في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة
الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقيضه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأذى
والتوبيخ وتطبيب الوجه وتبديل بالاستبشار والثناء وقبول للمنة فهذا منشأ المن والأذى . فان قلت
فرويته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه
محسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أومالا عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصديق فان زاد لم تخل صدقته
عن شائبة المنه لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب
أحد عنه فما دوائه . فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يعطاها متقدا
للمنة فان الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قالنا للرسول حفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنه ومن حيث الباطن المعارف التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه
الشريعة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس المرء
من صلاته إلا ماعقل منها (١) » وهذا كقوله ﷺ لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والأذى - وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فانه إن
استعظمها أعجب بها والعجب من الهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى - ويوم حين إذ أعجبكم
كثرتكم فلم تعن عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والعصية كلما
استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتجيئله وستره
وليس الاستعظام هو المن والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام
ولا يمكن فيه المن والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودوائه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ماعقل منها تقدم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم
كأخاذات لأن قلوبهم
كانت واعية فصار
أوعية للمعروف بما رزقت
من دسفاء الفهوم
أخبرنا الشيخ الامام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن اسماعيل
القزويني إجازة قال
أنا أبو سعيد محمد
الحلي قال أنا
القاضي أبو سعيد محمد
الفرخزاذي قال أنا
أبو اسحق أحمد بن
محمد الثعالبي قال أنا
ابن فنجويه قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
اسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالي
قال حدثني عبد الله بن
الحسن قال حين زلت
هذه الآية - وتعيأذن
واعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لعلي سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي فما نسيت
شيئا بعد وما كان لي
أن أنسى قال أبو بكر
الواسطي أذان وعت

عن الله تعالى أسرار
وقال أيضا واعية في
معادنها ليس فيها غير
ما شهدته شيء فبي
الحالية عما سواء
فما اضطراب الطبائع
إلا ضرب من الجهل
فقلوب الصوفية واعية
لأنهم زهدوا في الدنيا
بعد أن أحكموا أساس
التقوى فبالثقوى
زكت نفوسهم وبالزهد
صفت قلوبهم فلما
عدموا شواغل الدنيا
بتحقيق الزهد انفتحت
مسام بواطنهم وسمعت
آذان قلوبهم وأعانهم
على ذلك زهدهم في
الدنيا فعلماء التفسير
وأئمة الحديث وفقهاء
الإسلام أحاطوا علما
بالكتاب والسنة
واستنبطوا منها
الأحكام وردوا الحوادث
للتجسدة إلى أصول
من النصوص وحى الله
بهم الدين وعرف
علماء التفسير وجه
التفسير وعلم التأويل
ومذاهب العرب في
اللغة وغرائب النحو
والتصريف وأصول
القصص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كإدراكنا
في فهم الوجوب فهو بخير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله
أو أكثره فإيتا مل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووقته
لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة
وأنه يبذله للآب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله
بما سلك بنية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطلب برد وديعة
فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإعنا
لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل - فيحبكم تبخلوا - . الوظيفة السابعة :
أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان الخرج
من شبهة فربما لا يكون ملسا له مطلقا فلا يقع الموضع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوبى لعبد
أنفق من مال اكتسبه من غير معصية (١) وإذا لم يكن الخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ
قد عسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد أضر على الله عز وجل وغيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم
إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه
وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو كل فأفنى
والذي يأكله قضاء وطير في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه - أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الغمض
فلا تؤثر وابه ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أحل
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل
ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون
فقال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء
على النفي تكذيبا لهم ثم ابتداء وقال - جرم أن لهم النار - أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف
الثانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة : الأولى أن يطلب
الأنقياء المعرضين عن الدنيا للتجدين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام
تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في
طاعته بأعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأنقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »
وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء
الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم
الله سبحانه فإذا طرقتهم فاقه تشنت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوبى لعبدا أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البرار (٢) حديث سبق درهم
مائة ألف ن حب وصحبه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعاما تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى
د ت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم
الأنقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدرى قال ابن طاهر
غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من يحبه الله ابن المبارك أنبأنا جوير عن الضحاك مرسل .

من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجديد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إغانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحته فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعرفة أهل العلم فقيل له لو سمعت فقال إنني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم ينفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم ففرغهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعا واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذسلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فلهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإغانة مثل هذا العبد للموحد لا تضيق . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول أحفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فأجعل فلانا لا ينساك يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك (١) » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله (٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي فقيلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفعلن ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر (٣) وفي

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول أحفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلا إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التي أوردتها للمصنف وسمى الرجل حديرا فقد روينا من طريق البيهقي أنه وصل لحدير من أبي الدرداء شيء فقال اللهم انك لم تنس حديرا فأجعل حديرا لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحابه يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي فقيلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ فقال أبو بكر قومي فقيلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أحمد الله لا إياكما والبخاري تعليقا فقال أبو بكر قومي فقيلي لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمد كما ولكن أحمد الله ، وله ولمسلم فقالت لي أمي قومي فقيلي لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله وللطبراني فقالت

وجوه القراءة و صنفوا في ذلك الكتب فأتبع بطر يقتهم علوم القرآن على الأمة وأتم الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان و تفردوا بمعرفة الرواة وأسماى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز العوج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

وتأيدت واستقام الدين
الحقيقي وتفرع وتأصل
الهدى النبوي
المصطفوي فأثبتت
أراضي قلوب العلماء
الكلاء والعشب بما
قبلت من مياه الحياة
من الهدى والعلم قال
الله تعالى - أنزل من
السماء ماء فسالأت أودية
بقدرها - قال ابن
عباس رضي الله عنهما
الماء العلم والأودية
القلوب قال أبو بكر
الواسطي رضي الله عنه
خلق الله تعالى ذرة
صافية فلا حظها بعين
الجلال فذابت حياء
منه فسالت فقال أنزل
من السماء ماء فسالأت
أودية بقدرها فصفا
القلوب من وصول ذلك
الماء إليها . وقال ابن
عطاء أنزل من السماء
ماء هذا مثل ضربه
الله تعالى للعبد وذلك
إذا سال السيل في
الأودية لا يبقى في
الأودية نجاسة
إلا كنسها وذهب بها
كذلك إذا سال النور
الذي قسمه الله تعالى
للعبد في نفسه لا تبقى

لنفس آخر أنها رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية
الوسائل إلا من حيث إنهم وسائل فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتنق الله سبحانه في تصفية
توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث
والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجل
قال الله تعالى - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا - أي لا يلحون
في السؤال لأنهم أغنياء يقيمهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتهفص عن أهل الدين في كل محلة
ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف
إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا معرضا أو سبب من الأسباب فيوجد
فيه معنى قوله عز وجل - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أي حبسوا في طريق الآخرة بعلة أو
ضيق معيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودوا الجناح مقيدوا الأطراف
فهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فافوقها وكان صلى
الله عليه وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة (١) وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة
العيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم
وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال علي رضي الله عنه لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب
إلي من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ولأن
أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدّمون على العارف كما
يتقدّم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي
أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى
ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجريه في الحال تطهيره
نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي
تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته
فان قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فان أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون
الثاني فهذا يضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية
للمذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي ولا إلى مطلبى

بحمد الله لا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من
حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومي فاحتضني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لأدون منه
الحديث وفيه أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يعطي العطاء
على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا أتاه النقي قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا .

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما فلندكر صفات الأصناف الثلاثة . الصنف الأول الفقراء : والفقر هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقر ولكن مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تنفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرج عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقا ويمنع الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة (١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكنتها بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقر . الصنف الثاني المساكين : والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وجيلا وهو غني والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أغنى ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يخطأ في قطع الحاجة بالكتاب فالكاتب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفريح بالمطالعة أما حاجة التفريح فلا تعتبر كاشتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجرى في الدنيا إلا مجرى التفريح والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمدبب والعلم والمدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياطة وسائر الحرفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعليم من الكتاب كادّخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فإن من فضل من قوت يومه شئ عزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدّر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فإن قال إحداها أصبح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفريح والترفيه وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن

مسعود بسند ضعيف .

فيه غفلة ولا ظلمة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل فأما الزبد فيذهب جفاء - فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة وأما ما ينفع الناس فيمكنك من الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث حبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب للناسب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

فسالت فيه مياه العلوه واجتمعت وصارت أخاذات . قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت قسيها قط إنما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بماعلموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى - فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار إحياء للنذر بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي يبلغ رتبة الانذار بعلمه فمورد العلم

وفي الدار وسعتها وضيقتها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بمآبراه ويقترح فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط والله أعلم . الصنف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزداد واحد منهم على أجرة المثل فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كل من مال المصالح . الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم . الصنف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبدا له . الصنف السادس الغارمون : والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فإن استقرض في معصية فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنه . الصنف السابع الغزاة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو . الصنف الثامن ابن السبيل : وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مالا يلد آخر أعطى بقدر بلغته فإن قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكينة فيقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتداده قوله إذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فإن لم يف به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتي .

(بيان وظائف القابض وهي خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليسكني همه ويجعل همومه ها واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الأموال وصحبها في أيدي عبادته لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنه وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه بحماة عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه ويانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتسكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل مستحقا للعبد والمقت من الله سبحانه . الثانية : أن يشكر المعطى ويدعوه له ويشئ عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يهرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أثبت الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم العبد إنه أواب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخه عند نفسه وعند الناس صنيعة فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد النعمة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والأخذ بالعكس منه وكل ذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما للنكر أن يرى الواسطة أصلاً . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حلّ تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم للتورع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسياتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الرية والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا القدر المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره للثل وإن أعطى زيادة أبي وامتنع إذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به وإن كان مسافراً لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازياً لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريه إلى ما يريه وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نقاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع وهو محقوت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذ ما لا كثيراً بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّخر لعياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يجد به حد الفقير والمساكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه الحديث دن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث ادّخر لعياله قوت سنة أخرجه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادّخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر .

واللهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه - فالتفرق في الدين يستولى الدون على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر يستزيين الجوارح بالاهياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى مجراً مواجاً ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدرنا ما أخذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه وسلم غداؤه وعشاؤه ^(١) » وقال آخرون يأخذ إلى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما أوقيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب ^(٢) » وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال ^(٣) » وبالع آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يبيع بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيت فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله في قرابتك فهو خير لك ^(٤) » فأعطاه حسان وأبقتادة فحائط من نخل لرجلين كثير . من وأعطى عمر رضي الله عنه أعراباً ناقة معها ظر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فأوراءه فيه خطر وفيما دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال لا ورع « استفت قلبك وإن أفنوك وأفنوك ^(٥) » كما قاله صلى الله عليه وسلم إذ الائم حزاز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذ فليترك الله فيه ولا يترخص تماماً بالتقوى من علماء الظاهر فإن لفتواهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه التهمة إما الجهل وإما لتساهل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل أبا طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن أفنوك تقدم في العلم .

فظهر على نفسه الشريفة
بضارة العلم وريه
فتبدلت نعوت النفس
وأخلاقها . ثم وصل
إلى الجوارح جدول
فصارت رياه ناضرة
فلسا استتم نضارة
وامتلاء رياه بئس الله
تعالى إلى الخلق فأقبل
على الأمة بقلب موج
بمياه العلوم واستقبل
جدول الفهم وجري
من بحر في كل جدول
قسط ونصيب وذلك
القسط الواصل إلى
الفهم هو الفقه في
الدين . روى عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ما عبد
الله عز وجل بشيء
أفضل من فقه في الدين
ولفقيه واحد أشد على
الشیطان من ألف عابد
ولكل شيء عماد وعماد
هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
إملاء قال حدثنا سعيد
ابن حفص قال حدثنا
أبو طالب الزبي قال
أخبرتني كريمة بنت
أحمد بن محمد المروزي

(الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضاها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمررة فانها تسد من الجائع وتطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمررة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله أخذها يمينه فيربها كأي ربى أحدكم فضيلة حتى تبلغ التمرة مثل أحد » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لأبي الدرداء » إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرائك فأصبرهم منه بمعرفة (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل » وقال صلى الله عليه وسلم « ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة » (٨) ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذي يقصد باعطائه عمارته دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت فلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » (٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به » (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » (١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بتمررة فانها تسد من الجائع وتطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استرعى من النار ولو بشق تمررة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبان ولأبي يعلى والبخاري من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمررة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبان وإسناده ضعيف والترمذي ون في الكبرى و ه في حديث معاذ والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمررة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا بإسناد صحيح وأسند الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليبدأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما المعطى فمن سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة.

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا القزويني قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب افتتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشدين الغي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرجي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرجي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل . وروى عبد الله بن عباس : أفضل العباداة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما فقهوا علموا

ولما علموا أعمالها ولما
عملوا عرفوا ولما
عرفوا اهتموا فكل
من كان أقفه كانت
نفسه أسرع إجابة
وأكثر اهتماما لمعلم
الدين وأوفر حظا من
نور اليقين فالعلم جملة
موهوبة من الله للقلوب
والمعرفة تميز تلك الجملة
والهدى وجدان
القلوب ذلك فالذي
صلى الله عليه وسلم لما
قال «مثل ما بعثني الله به
من الهدى والعلم» أخبر
أنه وجد القلب النبوي
العالم وكان هاديا مهديا
وعلمه صاوات الله
عليه منهما وراثته
معجونة فيه من آدم
أبي البشر صلى الله
عليه وسلم حيث علم
الأسماء كلها والأسماء
سمة الأشياء فكرمه
الله تعالى بالعلم وقال
تعالى - علم الانسان
ما لم يعلم - فأدركنا
ركب فيه من العلم
والحكمة صار ذا الفهم
والقنينة والمعرفة
والرأفة واللفظ والحب
والبغض والفرح
والغم والرضا والغضب

وبال «ردو امذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لو صدق السائل ما أفاح من رده» (٢) وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويغمره وكان يناول المسكين يده (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمران واللقمة والقمطان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا (٤) » وقال ﷺ « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة (٥) » . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتما وأسيرا - فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلمهم يعودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانياتها بسبعين ضعفا وإنما لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان اللصائب وروى مسندنا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضل لكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول - إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الكثر لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحسن الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأغرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجهلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أجوج من الفقير إلى صدقته فقدا بطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر الروعة وكشف عن

- (١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة
- (٢) حديث لو صدق السائل ما أفاح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العقيلي لا يصح في هذا الباب شيء وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف
- (٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطن من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مراسلا (٤) حديث ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمران الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصححه إسناده من حديث ابن عباس وفيه خال من طهمان ضعيف

الحاجة وخروج عن هيئة التصف والتصون المحبوب الذي يوجب الجاهل أهله أغنياء من التصف .
 الثاني أنه أسلم لقارب الناس وألسنتهم فأنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذهم ويظنون أنه أخذ
 مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب السكيات وصياتهم عن
 هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني
 حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم
 السلمي أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيثة ولو علمت
 أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إعانة المعطى على إسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الإعطاء
 أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف والسكمان لا يتم إلا بالثنيين فمهما أظهر هذا انكشف أمر
 المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك
 فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه وقبلته وذلك أساء أدبه في عمله فردته عليه وأعطى رجل لبعض
 الصوفية شيئا في الملا فرددته فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان
 لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية
 فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أكن عوناً لك على العصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال
 التورى لو علمت أن أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها قبلت صدقته . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا
 وامتنانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره
 إذلالا للعلم وامتنانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز
 عن شبهة الشراكة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها (١) » وبأن
 يكون ورقا أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه
 ورقا أو يطعمه خبزا (٢) » فجعل الورق هدية بانقراضه فاعطى في الملا مكروه لإبرضا جميعهم ولا يخلو
 عن شبهة فاذا انقرد سلم من هذه الشبهة . أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الاخلاص
 والصدق والسلامة عن تلبس الحال والمراعاة . والثاني إسقاط الجاه والمزلة وإظهار العبودية والمسكنة
 والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه
 أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً فانك لا تخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت
 ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل آفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق
 فذلك الذي يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب
 مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد
 باختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانعياً بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية
 والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصورا على الواحد
 الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد

والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له فأنبي صلى الله عليه وسلم يمشي إلى الأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله - انتيا طوعا أو كرها قلنا أنتينا طامعين - نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سررة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض ذرة الصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دخت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكانات تبع له وإلى هذه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط . وهق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزا عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقصى . عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد وت وصححه من حديث البراء من مسح سحبه ورق أو منحة لمن آو هدى زققا فهو كعتاق نسمة .

بين الماء والطين «
وفي رواية «بين الروح
والجسد» وقيل لذلك
سمى أميا لأن مكة أم
القرى وذرتهم أم الحليمة
وتربة الشخص مدفنه
فكان يقتضى أن
يكون مدفنه بمكة
حيث كانت تربته منها
ولكن قيل الماء لما
تموج برى الزبد إلى
النسواحي فوقعت
جوهرة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى ماخاذى
تربته بالمدينة وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكيًا مدنيًا
حينئذ إلى مكة وتربته
بالمدينة والاشارة فيما
ذكرناه من ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو ما قال
الله تعالى - وإذ أخذ
ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم
ألمست بربكم قالوا بلى -
وردد في الحديث «إن
الله تعالى مسح ظهر
آدم وأخرج ذريته منه
كهيئة الدر» استخرج
الدر من مسام شعر
آدم فخرج الدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم حاجة وقال ليشتر كل واحد منكم بما وليد بها
حيث لا يراه أحد فاشتر كل واحد وذبح لإذلك المريد فانه رد الدجاجة فسلهم فقالوا فعلمنا ما أمرنا به
الشيخ فقال الشيخ للمريد مالك لم تدبج كاذب أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل . الرابع
أن الاظهار إقامة السنة الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والكتان كفران النعمة
وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال ﷺ «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن
ترى نعمته عليه (١)» وأعطى رجل بعض الصالحين شيئاً في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا
والعالية فيها أفضل والسرفى أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في الملاخذ ثم اردد في
السرو الشكر فيه محشوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢)»
والشكر قائم مقام الكفاة حتى قال ﷺ «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فان لم تستطيعوا فأثبوا
عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله
مارأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة (٣)» فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن
ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا
لأنهم حكما بتا بأن الاخفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات
وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغي أن يكون الخلق مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى
بجمل الغرور ولا يخضع بتلبس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب في معاني الاخفاء منه في
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فأما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض
الجاه والمزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطى بعين المنعم المحسن
فهذا هو الداء الذي يستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة
التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكمه أمر واحد وهو أن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كنهه بانكشاف
صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان ينبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو
يتقى انتهاك الستر أو إعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر
من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم
لامن حيث إنه علم زيد أو علم عمرو والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لامن حيث إنها
تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال
كثير العمل قليل الخطو أما جانب الاظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطيب لقلب المعطى واستجاث
له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من البالغين في الشكر حتى يرغبوا في إكرامه وتقديره وهذا داء دين
في الباطن والشيطان لا يقدر على التدين إلا بأن يروج عليه هذا الحبث في معرض السنة ويقول له الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أحمد من حديث عمران بن حصين
بسند صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر
الناس لم يشكر الله تقدم (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم
الحديث ب وصححه من حديث أنس وزواه مختصرا دن في اليوم واليلة وك وصححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصد الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحك أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الحبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار البطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والإفهام مغرور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يفضل عن قضاء حق المعطى فينظر فان كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يخفي ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يحب الشكر ولا يقصده ففضل ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه « ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح ^(١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم في وجوههم لثنته يقيهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الدير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا ^(٣) » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه ^(٦) » وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يرعى قلبه فان أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعلل وعلى الجملة فالأخذ في اللأ والرد في السر أحسن للمسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنيذ وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فان في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكر بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لو سمعها ما أفلح أبدا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الدير العنبري وطب وابن قانع في معاجمهم وحب في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا ، من حديث ابن عمر ورواه في المراسيل من حديث الشعبي مرسل بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف وك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه حيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن المسيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن المسيب مرسل (٦) حديث إذا مسح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طمس حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

نخرج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فأضاف الفعل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أي أحصى كما تحصى الأرض بالمساحة وكان ذلك يبطن نعمان واد بجانب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب النذر وأجابوا بيلي كتب العهد في رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الحبيسة من الأرض والعلم والمهدي فيه معجوزان فبعث بالعلم والمهدي موروثا له وموهو باوقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبى حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه خلقت النفس مما مس قدم

إبليس فصارت مأوى
الشر وبعضها لم يصل
إليه قدم إبليس فمن
تلك التربة أصل الأنبياء
والأولياء وكانت ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم موضع
نظر الله تعالى من
قبضة عزرائيل لم يسها
قدم إبليس فلم يصبه حظ
الجهل بل صار منزوع
الجهل موفرا حظه من
العلم فبعثه الله تعالى
بالهدى والعلم وانتقل
من قلبه إلى القلوب
ومن نفسه إلى النفوس
فوقمت المناسبة في
أصل طهارة الطينة
ووقع التأليف بالتعارف
الأول فكل من كان
أقرب مناسبة بنسبة
طهارة الطينة كان
أوفر حظا من قبول
ما جاء به فكانت قلوب
الصوفية أقرب مناسبة
فأخذت من العلم حظا
وافرا وصارت بواطنهم
أخاذاز فعملوا وعلموا
كأخاذاز الذي يسقى منه
ويزرع منه وجمعوا
بين فائدة علم الدراسة
وعلم الوراثة بأحكام
أساس التقوى ولما

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو ترك
المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ولأن الزكاة لا منة فيها وإعنا هو حق واجب لله سبحانه رزقا
لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان
النايب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولأن مراقبة المساكين أدخل في الدل والمسكنة وأبعد
من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذلك الآخذ
بحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يعلب عليه وما يحضره من النية
فإن كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعه
إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فإذا خير هذا بين
الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة
فإن الزكاة الواجبة بصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين
وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على المساكين فهو خير والأمر فيهما
يتفاوت وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار
الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة
والقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده النعمة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أملة وخيب ظنه ،
إذ جعل الصوم حصنا لأولياته وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى
قلوبهم الشهوات المستكنة وإن بقعها تصبح النفس الطمئنة ظاهرة الشوكة في قسم خصمها
قوية النية ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومحمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الباقية
والعقول للرجحة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فإن الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه
وسلم « الصوم نصف الصبر »^(١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان »^(٢) ثم هو متميز
بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ « كل
حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به »^(٣) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ونأهيك
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده لحالوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح
المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى فالصوم لي وأنا أجزي به »^(٤)

(كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر ت وحسنه من حديث رجل من بني سليم و ه من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو يعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسى بيده لحالوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وهو بعض الذي قبله

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود بقاء الله تعالى في جزاء صومه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة (٤) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر (٥) » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباحة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل المبدأ شبابي أنت عندي كبعض ملائكتي (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل (٧) » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ للصائم جزاءه إفراغاً وبخلاف جزافاً فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعينين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ﷺ « إن الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٨) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع (٩) » وسيأتي فضل الجوع في كتاب شمه الطعام وعلاجه من ربح المهاسكات فلما كان الصوم على الخصوص قعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرته

(١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجه من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو والنخعي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث وقال غريب وه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل (٨) حديث إن الشيطان يحرق من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلاً .

تركك النفوس انجلت مرايا قلوبهم بما صقلها من التقوى فانجلي فيها صور الأشياء على هيئتها وما هيئتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصباباً وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نعزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابيه ولا يعرف في طرق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمتوسمين وكم من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزي الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نعي

بالصوفية المقربين
فشايخ الصوفية الذين
أسماءهم في الطبقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق المقربين
وعلمهم علوم أحوال
المقربين ومن تطلع
إلى مقام المقربين من
جملة الأبرار فهو
متصوف عالم يتحقق
بالحلم فإذا تحقق
بالحلم صار صوفيا
ومن عداها ممن تميز
بزي ونسب إليهم
فهو مشقة - وفوق
كل ذي علم علم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروزي إملاء
قال أنا أبو منصور
المقري قال أنا الامام
الحافظ أبو بكر
الخطيب قال أنا أبو
عمرو الهاشمي قال أنا
أبو علي اللؤلؤي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثنا يحيى عن شعبة
قال حدثني عمر بن

لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تنصروا الله يتصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فإدامت محبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة وبنين ذلك بثلاثة فصول .

(الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة والباطنة بفساده)

(أما الواجبات الظاهرة فستة)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونفى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يشك هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبسح كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا رأى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلونوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يطل الجزم أو يستند إلى استحباب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالجبوس في المظمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان واجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسده نيته ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها . الثالث الامساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالقصد والحجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المائنة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسي فإنه لا يفطر أمان أكل غامدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مختلط أهله فنزع في الحال صح صومه فإن صبر ففسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم للحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

الخامس : الامسالا عن الاستمنا وهو إخراج المني قصداً بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بعناجتها ما لم ينزل اسكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخاً أو مالكا لا ربه فلا بأس بالقبيل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقيل أن ينزل فقبل وسبق المني أفطر لتقصيره السادس : الإمساك عن إخراج المني فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنا والأكل والشرب وماعدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقبلا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السجود وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المزور ودأب وأدأب أهله (١) » أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتابع في هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعاً أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعبادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا ماراً (٢) » وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقيل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدي رأسه قترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة (٣) » ومهما خرج العتسكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولاً عشرة أيام مثلاً والأفضل مع ذلك التجديد .

(١) حديث كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المزور (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا ماراً متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يدي رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها :

سليمان من ولده عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقهه وليس بققيه » أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم - يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بغشاء أو صافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلاً للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحراً

(الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم الخصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل ومائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم الخصوص الخصوص فهو كف القلب عن الطمع الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكيفية ، ويحصل الفطرى هذا الصوم : التمسك بما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا لإدراك ما لا يدرك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاده لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الوعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فانه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتسلية بسة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يندم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يمجده حلواته في قلبه (١) » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (٢) » . الثاني : حفظ اللسان عن الهديان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء وإزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم رواء بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم (٣) » وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتفعا فبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قديحا وقال ﷺ : قل لهما قيتا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما غبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما ففجع الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتما من لحومهم (٤) » . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى - سمعون للكذب أكلون للسحت - وقال عز وجل - لولا ينهمم الرابيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت - فالكسوت على الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث له وصححه إسناده من حديث حذيفة (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب (٣) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهري العلم وباطنه وجليته وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب السكوت واستئصال بركة الرغبات والرهبات ورأوا أن الوسواس أذنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقوام يتراكم من نقت الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الخطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الغتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن المسكاره وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرًا ويهدم مصرًا فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرة لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفًا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقاليده وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس الغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يعتلى جوفه فثامن وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره أهائته ضحوة نهاره وربما يزيد عاياه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدّة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهواتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أقل من كفته التي كان يأكلها كل ليلة ولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجدته وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره محلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل هتمه عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مرقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه البطولون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بأسائه أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة الردود تسد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

(١) حديث الغتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن ه من حديث أبي هريرة .

النفس أحطابها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر الملوهم فيها أو أمواردها بصفاء الفيوم فلما شهدوا بمعون قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبلي رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفه عيني قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال الفانية التي أقعدتكم عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

الأغراض والأمراض
قال الحسين بن منصور
لمن كان له قلب لا يخطر
فيه إلا شهود الرب
وأنشد :

أعني إليك قلوبا طالما
هطلت

سجائب الوحي فيها
أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب

لاحظ الحق بعين

التعظيم فذاب له

واقطع إليه عما سواه

قال الواسطي : أي

لذكرى قوم مخصوصين

لا لسائر الناس لمن

كان له قلب أي في

الأزل وهم الذين قال الله

تعالى فيهم - أو من كان

ميتا فأحييناه - وقا

أيضا للمشاهدة تذهب

والحجة تفهم لأن الله

تعالى إذا تجلى شيء

خضع له وخشع وهذا

الذي قاله الواسطي

صحيح في حق أقوام

وهذه الآية تحكي

بخلاف هذا لأقوام

آخريين وهم أرباب

التمكين يجمع لهم

بين الشهادة والفهم

فموضع الفهم محل

الحادثة والكلمة وهو

صومه صحيح فإمناه . فاعلم أن فقهاء الظاهر يشترط الظاهر بأدلة هي أضغف من هذه الأدلة
أي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من
التكاليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين القبلين على الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيضنون
بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخليق بخلق من
أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والافتداء باللائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون
رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكما انهمك في الشهوات انحط إلى
أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة
والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل
كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر
الصوم عند أرباب الأبواب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع
الانهماك في الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم
« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الدرداء يا جبذا نوم الأكياس
وفطرم كيف لا يعيرون صوم الحقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال
الجيال عبادة من الغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والمفطر الصائم
هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق
جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم
وهو غسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المسكاره كمن
غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع
بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه
وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) » . ولما تلا قوله عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه
من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أى إني أودعت لسانى لأحفظه
فكيف أطلقه بجوابك فاذا قد ظهر أن السك عباد ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشرها درجات
ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن فى أن تنفع بالقشر عن الباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الأبواب .

(الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها
يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء
والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مضان الصوم وهى
أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان (٣) »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود
فى حديث فى الأمانة والصوم واستاده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها . وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أنى هريرة دون
قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث ، تفق عليه من حديث عائشة

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم (١)» لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام (٢)» وفي الحديث «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام (٣)» وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان بـرمضان فبأثر (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهاى بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد ودو ثلاثة سرد وأفضلاها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه (٧)». وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثلاثين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الحيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الاوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل لكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كرهه ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لشئيين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الازدى في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يحىء رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان بـرمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان و دن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عدت ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت ه من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند دخ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير .

منع القلب وموضع للمشاهدة بصر القاب والسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه في بصره لتمسكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودى المستعد لفهم التقال لأن الفهم مورد الإلهام والسماع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ إنشاء ثانيا للتمكين في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على عمر الفناء إلى مقار البقاء . وقال ابن ميمون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رقب الشهوة فمن وقف على شهودته وجد ثلث الأدب ومن افتقر إلى ما لم يحسد

من الأدب به
الاشتغال بما وجد
فقد وجد ثلثي الأدب
والثالث امتلاء القلب
باللهي بدأ بالفضل عند
الوفاء تفضلاً فقد وجد
كل الأدب . قال محمد
ابن علي الباقر موت
القلب من شهوات
النفس فكما رفض
شهوات نال من
الحياة بقسطها فالسابع
للأحياء وللأموات
قال الله تعالى - إنك
لا تسمع الموتى - قال
سهل بن عبد الله القلب
رقيق تؤثر فيه الخطرات
الذمومة وأثر القليل
عليه كثير قال الله
تعالى - ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقض
له شيطانه فوله قرين -
فالقلب عمال لا يفتر
والنفس يقظانة لا تترقد
فإن كان العبد مستمعاً
إلى الله تعالى وإلا فهو
مستمع إلى الشيطان
والنفس فكل شيء
سد باب الاستماع فمن
حركة النفس وفي
حركتها يطرق
الشيطان . وقد ورد
« لولا أن الشياطين

الصوم حجر على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا لم يكن شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليعمل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ^(١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبع وأنضرع إليك إذا جعت ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ^(٣) ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوماً وأفطر يوماً فقال إني أريد أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك ^(٤) » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان ^(٥) » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوماً ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلاث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلاث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ القلب لله عز وجل والفقير يدق ناقص الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام ^(٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات وقد ذكره العلماء أن يوالي بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديراً بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقوى القلب ويولد ردي العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم للتطوع به والله أعلم بالصواب .

ثم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها

- (١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد ن في الكبرى وحسنه أبو طي الطوسي (٢) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا الحديث ت من حديث أبي أمامة بلنظ عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً . وقال حسن (٣) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوماً وأفطر يوماً الحديث أخرجه من حديثه (٥) حديث ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئاً ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئاً وكان لا تشاء تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ولا تأمناً إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم نعلم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لأرب غيره وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا (١)» فأعظم عبادة يعدم الدين بفقد الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وحجتها ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب .

الباب الأول : في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وحج أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثاني : في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلتبدأ بالبَاب الأول وفيه فصلان : الفصل الأول : في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وعلى نبيينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب السكبة وقيل في تفسير قوله عز وجل - لا تعدن لهم صراطك السقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها لمنع الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « مارؤى الشيطان في يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة (٣) » وما ذلك إلا لما يرى من زول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا عده من حديث أبي هريرة وت نحوه من حديث علي وقال غريب وفي إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث مارؤى الشيطان في يوم هو أصغر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا

يخومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزلي والأبدوما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع . وقال ابن عطاء هو القلب الذي يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خيرة ولا قرة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهد فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فرع وارتعد وإذا طالع به عين الجلال هدا واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه قلب الصوفي مجرد عن الأكوان ألقى سمعه وشهد بصره فسمع السموات

وأبصر البصيرات
وشاهد الشهودات
لتخلصه إلى الله تعالى
واجتماعه بين يدي
الله والأشياء كلها عند
الله وهو عنده فسمع
وشاهد فأبصر وسمع
جملها ولم يسمع ويشاهد
تفاصيلها لأن الجمل
تدرك لسعة عين
الشهود والتفاصيل
لا تدرك لضيق وعاء
الوجود والله تعالى هو
العالم بالجمل والتفاصيل
وقد مثل بعض
الحكماء تفاوت الناس
في الاستماع وقال إن
البازر خرج يئذه
فلا منه كفه فوق
منه شيء على ظهر
الطريق فلم يلبث أن
انحط عليه الطير
فاختطفه ووقع منه
شيء على الصفوان وهو
الحجر الأملس عليه
تراب يسير وندى قليل
فنبت حتى إذا وصلت
عروقه إلى الصفا لم
تجد مساعدا تنفذ
فيه فيس ووقع منه
شيء في أرض طيبة
فيها شوك نابت فنبت
فلما ارتفع خفه الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض السكاشرين من القريين أن
إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا نازل الجسم مصفر اللون باكي العين
مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف
أن لا ينجيهم فيجزي ذلك قال فما الذي أنزل جسمك قال صهيل الحيل في سبيل الله عز وجل
ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا
على العصية كانت أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول
يا ويلتي متى يجب هذا عمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته
حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج للمعتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض
ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله عز
وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروهم غفر لهم وإن دعوا استجب لهم وإن شفّعوا شفّعوا (٣) »
وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله
تعالى لم يغفر له (٤) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على
هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة يستنون للطائفين وأربعون للصليين وعشرون للناظرين (٥) »
وفي الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجددونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل
تجدونه (٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر « من طاف أسبوعا حافيا
حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه (٧) » ويقال إن الله عز
وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا
وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفه وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج للمعتمر إلى يوم القيامة
ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة هق في الشعب بالشر الأول من
حديث أبي هريرة وروى هو وقطن عن حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث
حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة
الشطر الثاني بلفظ الحج البرور وقال إن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث
الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث ه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله إن
سألوه أعطاهم وإن شفّعوا شفّعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (٤) حديث
أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في التفتق والمفتق وأبو منصور شهر دار
ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على
هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس باسناد
حسن وقال أبو خاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب و لك من
حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط
الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر
غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعندت و ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا
فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً - (١) « قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم حجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » (٢) « وروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حجبت عني؟ قلت نعم قال وليت عني؟ قلت نعم قال فاني أكاثت بها يوم القيامة أخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخالق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقاهم الملائكة فسلموا على ركب الأبل وصاحوا ركباً الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقاً وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيداً وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشعروا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفق قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أفتردي كم قبل منهم؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديداً وأهني أمرى فقلت إذ قبل حج ستة أنفس فأن أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند الشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلعة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا علي هيتيها فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبني من السرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضاً رضي الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إني قدوهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تقسخي علي وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قدوهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته .

(فضيلة البيت ومكة المشرفة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان نقصوا أكلهم الله عز وجل من الملائكة » (٣) « وأن الكعبة تحشر كالعروس الزقوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسهون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق » (٤) «

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكملت لكم دينكم - الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج لك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستائة ألف الحديث لم أجده أصلاً (٤) حديث إن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث صحيح وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه ت وحسنه وه وحب وك وصحح إسناده من حديث ابن عباس أيضاً وللحاجكم من حديث أنس إن الركن والمقام ياقوتان من يواقيت الجنة وصحح إسناده ورواه ن حب لك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأفسده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فثبت ونما وصالح فثان الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوي أن يعمل به فاذا اعترضت له الشبهات قيدته عن التماس بالعمل فيترك ما نوى عمله لعلبة الشهوة كالزعر يختلق بالشوك ومثل الذي وقع في أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تنزع ولا تنفع (٣) ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نحيبه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال بأبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال علي رضي الله عنه يا أبا المومنين بل هو يضر وينفع قال وكيف؟ قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقاه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام: اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابك ووفاء بعهدك، وروى عن الحسن البصري رضى الله عنه أن صوم يوم فيها مائة ألف يوم وصدقة درهم مائة ألف درهم وكذلك كل حسنة مائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح «عمرة في رمضان كحجة معي» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معي ثم آتى أهل مكة فأحشروا بين الحرمين» (٥) وفي الخبر «إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام» (٦) وجاء في الأثر: إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له وكشف بعض الأولياء رضى الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم رفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل للقرب التي تتوقع ولادتها وفي الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» (٧) وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله تعالى «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره» (٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمرودون قوله كثيرا، وإن أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث إنه كان يسجد عليه البزار وكمن حديث عمر وصححه إسناده (٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجاه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة معي أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معي فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معي ورواه بزيادة من غير شك (٥) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معي الحديث توحشته وحب من حديث ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم الحديث رواه للفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة (٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثال المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويحاسب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتبع سبيل الهدى هو الصوفي لأنّ للهوى حلاوة والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهي تركز إلى وتستلذه واستلذذ الهوى هو الذي يخلق التبت كالشوك وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الإلهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعة الحب تستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الإلهية تغلب حلاوة الهوى لأنّ حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار لكونها لا ترتقي عن حدّ النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة

(فضيلة المقام بمكة وحرسها الله تعالى وكرامته)

كره الخائفون المختاطون من العلماء المقام بمكة لثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حججوا ويقول يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنأ أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل غراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن الله تعالى عبدا تطوف بهم الكعبة تقرّبا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والله نوب بها فان ذلك محظور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المسكى قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطوائف حولي من فسكهم في الحديث ولقوهم ولهوهم لأن لم ينتهوا عن ذلك لأتفطن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أى أنه على مجرد الارادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركة أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض ، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة عليها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمضى قولنا إن ترك المقام به أفضل أى بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه ففهمات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت (١) » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كذا كراهه .

(فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد)

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (٢) » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسةائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة (٣) »

(١) حديث إنك خير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت ت وصححه ون في الكبرى وه وحب من حديث عبدالله بن عدى بن الحمراء (٢) حديث صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بجملة هكذا وه

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويسد بها بكايتها ويقول :

أشمت منك نسبا لست أعرفه

أظن لمياء جرت فيك أردانا

فعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه ممما وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويصير الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون

أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا

الألباب - قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء

تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم

وجزه في سائر المؤمنين والجزء الذى في سائر

الؤمنين أحـ
وعشرون سهما فسهـ
يتساوى المؤمنون كلهم
فيه وهو شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وعشرون
جزءا يتفاضلون فيها
على مقادير حقائق
إيمانهم قيل في هذه
الآية إظهار فضيلة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي الأحسن
ما يأتي به لأنه لما
وقعت له صحة
التمكين ومقارنة
الاستقرار قبل خلق
الكون ظهرت عليه
الأنوار في الأحوال
كلها وكان معه أحسن
الخطاب وله السبق في
جميع المقامات أترام
صلى الله عليه وسلم
يقول نحن الآخرون
السابقون يعني
الآخرون وجودا
السابقون في الخطاب
الأول في الفضل في محل
القدس وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
استجبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحكيكم
قال الجنيد تنسموا
روح مادعاهم إليه

وقال صلى الله عليه وسلم «من سبر على شدتها ولأولائها كنت له شفيعا يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه إن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة» (٢) وما بعد هذه البقاع الثلاث ما أوضح فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للرباطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والعلماء وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأثور بها قال صلى الله عليه وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا» (٤) والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لأن للمساجد بعد المساجد الثلاثة مثاقلة ولا يلد إلا وفيه مسجد فلامعنى للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الإحالة فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصالحين في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهماسم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من الموضع ما هو أقرب إلى التحول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل الموضع له قال صلى الله عليه وسلم «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأنت موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى» (٥) وفي الخبر «من بور كنه في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه» (٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جبل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لمحك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدنه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدري أي البلاد أسكن فقلت له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال بشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابة قيل مكة قال مكة تنذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزم على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك بثلاث لاتصلين في الصف الأول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وإعماكره الصف الأول لأنه يشهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله الزين والتصنع.

من حديث ميمونة بساند جيد في بيت للقدس اثنته فصلوا فيه فان صلاة فيه كآلف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأنت موضع رأيت فيه رفقا فأقم أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف (٦) حديث من رزق في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجمل الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا بدعه حتى يتغير أو ينكره.

(الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه إن كان عميرا ويحرم عنه وإليه إن كان صغيرا ويفعل به ما يشاء في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهو عتق عمره وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوبا على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال عقيقه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا إذا اشترطت هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف (*) ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لم يملك فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطبا بالزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فتعني : أحدها المباشرة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما في الطريق فبأن تكون خضبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كراها يحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة العضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزم صار به مستطاعا ولو عرض ماله لم يصربه مستطاعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس ولوعت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فإما نركت - قال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المحبورة بالدم ست الاحرام من الليقات فمن تركه وجاوز الليقات محلا فعليه شاة والرمي فيه الدم قول واحد وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت ببني وطواف الوداع فهذه الأربع بمنزلة تركها بالدم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فتلاثة

(*) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرق وهي أظهر فإن الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو
العلائق المشغلة وجمعوا
بالنفوس على معاقبة
الحذر وتجرعوا مرارة
الكابدة وصدقوا الله
في المعاملة وأحسنوا
الأدب فيما توجهوا
إليه وهانت عليهم
المصائب وعرفوا قدر
ما يطلبون وسجنوا
همهم عن التلفت إلى
مذكور سوى وليهم
فجوا حياة الأبد بالحلى
الذى لم يزل ولا يزال .
وقال الواسطي رحمه
الله تعالى حياتها
تصفيتها عن كل معلول
لفظا وفعلًا وقال
بعضهم استجيبوا لله
بسر أركم وللرسول
بظواهركم خفية
النفوس بمتابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم
وحياة القلوب بشهادة
التيوب وهو الحياء
من الله تعالى برؤية
التقصير وقال ابن
عطاء في هذه الآية
الاستجابة على أربعة
أوجه : أولها إجابة
التوحيد . والثاني
إجابة التحقيق .
والثالث إجابة التسليم

والرابع إجابة التقريب
فلاستجابة على قدر
السمع والسمع من
حيث الفهم والفهم على
قدر المعرفة بقدر
الكلام والمعرفة بالكلام
على قدر المعرفة والعلم
بالتكلم ووجوه الفهم
لا تنحصر لأن وجوه
الكلام لا تنحصر قال
الله تعالى - قل لو كان
البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل
أن تنفذ كلمات ربي -
فله تعالى في كل كلمة
من القرآن كلمات التي
ينفذ البحر دون نقادها
فكل الكلام كلمة
نظرا إلى ذات التوحيد
وكل كلمة كلمات نظر
لسعة العلم الأزلي -
حدثنا شيخنا أبو
النجيب السهروردي
قال : أنبأنا الرئيس
أبو علي بن نهان قال
أنا الحسن بن شاذان
قال أنا دعلج بن أحمد
قال أنا أبو الحسن
ابن عبد العزيز
البغوي قال أنا أبو
عبيد بن القاسم بن
سلام قال حدثنا
حجاج عن حماد بن

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتبر وأفضل
الحل لأحرام العمرة الجبرأنة ثم التمتع ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران
وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بها ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت
الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسمعه محسوب من النسكين
وأما طوافه فقير محسوب لأن شرط الطواف الفرض في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن
يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة
دم تحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط :
أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة .
الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى
ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد
فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر
متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة
تتابعاً أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات
الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسر اويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا
ورداً ونعلين فان لم يجد نعلين فكممين فان لم يجد إزارا فسر اويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال
في الحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس وللرأه أن تلبس كل محيط بعد
أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يمسده العقلاء
طيبا فان طيب أو ليس فعليه دم شاة . الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ولا بأس
بالكحل ودخول الحمام والقصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول
وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس
مقدمات الجماع كالتبلة والملازمة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء
ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد . السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو
متوله من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر
حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل)

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه
نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه
لدهابه وإيابه من غير تقدير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق
بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكثرها فان اكرت فليظهر
للسكاري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي
أن يلتزم رفيقا صالحا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه
وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفقاء المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس
أدعيتهم فان الله تعالى جاعل في أدعيتهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أستودع الله دينك

(الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة)

وأما تذكرك وخواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت (٢) ». الثالثة في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يسلي ركعتين أو لا يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها السكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صائفة صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الخليفة للأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعائقة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبافنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نتردد بك من وعاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت انتهاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقاءك فإذا مضى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فاكفني مأثمى ومالا أهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه . الخامسة فى الركوب : فإذا ركب الزاحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون اللهم إني وجهت وجهى إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فإذا استوى على الزاحلة واستوت تحته قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . السادسة فى النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحصى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار (٣) » وليقل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على للنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظلالن ورب الأرضين السبع وما أظلالن ورب الشياطين وما أضلالن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة فى الحراسة : ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا

ساعة عن على بن زيد عن الحسن رفته إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها طهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » قال قتلت يا أبا سعيد ما المطلاع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أو لها قوم يعملون بها فالمطلع المصعد يصعد إليه من معرفة علمه فيكون اللطع اللهم بفتح الله تعالى عن كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس فى معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك دت وصححه ون من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد سفرا فى حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكفنه (٣) حديث عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى اللوطا من حديث خالد بن معدان مرسل .

بما أخبر الله تعالى
عن غفسيه على قوم
وعقابه إياهم فظاهرو
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبيه
لمن يقرأ ويسمع من
الأمة وقيل ظاهره
تنزيله الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهره تلاوته كما أنزل
قال الله تعالى - ورتل
القرآن ترتيلا وبطنه
التدبير والتفكير
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا أولو الألباب
وقيل قوله لكل
حرف حصد أي في
التلاوة لا يجاوز
المصحف الذي هو
الإمام وفي التفسير
لا يجاوز السمع
المنقول وفرق بين
التفسير والتأويل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وقصتها
والأسباب التي نزلت
فيها وهذا محذور على
الناس كافة القول فيه
إلا بالسمع والأثر وأما
التأويل فصرف الآية

يشي منفردا خارج القافلة لأنه ربما يقتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في
ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استكمل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري
فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأحب في الليل أن يتناول الرقيقان في الحراسة
فإذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصده عدو أو سبغ في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي
وشهد الله والالاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا الله حسبي الله توكلت على الله ماشاء
الله لا يأتى بالخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله
منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي إن الله قوى عزيز - تحصنت بالله العظيم
واستعنت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا
بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة
إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشرا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا
ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبغ ومهما خاف الوحشة
في سفره قال : سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت .

(الجملة الثانية في آداب الاحرام من الليقات إلى دخول مكة وهى خمسة)

الأول : أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى الليقات المشهور الذى يحرم الناس
منه ويتم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة
التى ذكرناها في الطهارة . الثانى : أن يفارق الثياب الخيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر
بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب
يبقى جرمه بعد الإحرام ، فقد روى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام
مما كان استعماله قبل الاحرام (٣) . الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان
راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فعند ذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد
ويكفى مجرد النية لانقضاء الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك
ليبك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وإن زاد قال لبيك وسعديك
والخير كله بيدك والرباء إليك لبيك بحجة حقاً تعبدوا رقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .
الرابع : إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسرهلى وأعنى
على أداء فرضه وتقبله منى اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك
وآمنا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارضىيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل
ذراعه في كفه أحمد و ت في الشمايل من حديث أنى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي
والحميدى إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تناوب الرقيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر
حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه فقال الأنصارى للمهاجرى أى الليل أحب
إليك أن أ كفيكه أوله أو آخره فقال بل أ كفى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث والحديث عند
أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى (٣) حديث رؤية ويص المسك على مفرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى
ويص المسك الحديث .

فيسرى أداء مانويت من الحج اللهم قدأحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي وعظمي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يسبح حلقه ولا ينهر فانه لا ينادى أصم ولا غائبا^(١) كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة للناسك : أعنى المسجد الحرام ومسجد الحيف ومسجد اليقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة^(٢) » .

(الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة)

الأول أن يفصل بذي طوى لدخول مكة . والاعتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة . الأول : للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمنى ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها^(٣) فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة واتى إلى رأس الرمد فعنده يقع بصره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام اللهم إن هذا بيتك عظمت وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حبه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعزني من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبه وليقل : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليفعل يديه وليقل اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى أن تتقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيتة

(١) حديث إنكم لاتنادون أصم ولا غائبا متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة الشافعي في المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما الخير خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالأبطح الحديث .

إلى معنى نحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة والتساويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام معرض لكل طالب صاحب هممة أن يصفي موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسرار من قلبه فليصوفي بكامل الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد فقههم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابله ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصلى بهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما للغيره فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط الإمالة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والسكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجمل وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفاً وراء ظهره وطرفاً على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستغل بالأدعية التي سندها . الثاني : إذا فرغ من الاضطباع فليجمل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلاً ليكون الحجر قدومه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريماً من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فإنه من البيت وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يتبدى الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرملك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وآخني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظرة في الأهل والمال والولد فاذا بلغ اليزاب قال اللهم أظننا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم استق بكناس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبداً فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً وتجارة إن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فاذا بلغ الركن اليمني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركنين اليمنين والحجر الأسود اللهم ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ بك من هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمي في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخرى على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الإسراع في المشي مع تقارب الخطأ وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أو لا قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فتنفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا للشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع

الفهم علم ومن العلم عمل
والعلم والعمل يتناوبان
فيه وهذا العمل آتفا
إنما هو عمل القلوب
وعمل القلوب غير عمل
القلب وأعمال القلوب
للطفا وصداقها
مشاكلة للعلوم لأنها
نيات وطويات
وتعلقات روحية
وتأديت قليلة
ومسامرات سرية وكلها
أتوا بعمل من هذه
الأعمال رفع لهم علم
من العلم وطلعوا على
مطلع من فهم الآية
جديد ويخالف سرى
أن يكون المطلع ليس
بالوقوف بصفاء الفهم
على دقيق المعنى وغامض
السرى في الآية ولكن
المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود
التكلم بها لأنها
مستودع وصف من
أوصافه ونعت من
نעותه فتجدد له
التجليات بتلاوة الآيات
ومما عاها ويصير له
براءة منبهة عن عظيم
الجلال ولقد نقل عن
جعفر الصادق رضي
الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية الملاف ويرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في المزدحم ولجش أربعا وإن أسكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني ^(١) ويقبله ^(٢) ويضع خده عليه ^(٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلترق بالبيت وليتعلق بالأستار ويلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليسقط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعق رقبتي من النار وأعذني من الشيطان الرجيم وأعذني من كل سوء وقبضني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعاني من أكرم وقدك عابك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائج الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تتحجرا عني حتى أقر لربي بدنوني . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهري مضت السنة أن يصلي لكل أسبوع ركعتين ^(٤) وإن قرن بين أسايح وصلى ركعتين جاز ^(٥) . فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى واعصني بالطواف حتى لأعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعالي ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حبيبي إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكها هديتي إلى الاسلام فثبتني عليه بألطافك وولايتك واستعملني لطاعتك وطاعة رسولاك وأجرني من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليعتم به الطواف

فروى ده ك وصححه من حديث عمر قال قيم الرمالان الآن والكشف عن المالك وقد أظهر الله الاسلام ونفي الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليماني متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن ^(٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله ^(٣) حديث وضع الخد عليه قطك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور ^(٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصلي لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين ^(٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه ع في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة

تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولا يمكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالجهد في الكلام والطابع الترقى عن حد الكلام إلى شهود التكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من التكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضرًا شهيدًا يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمع الله منها خطابه إياه يأنى أنا الله فإذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

خاطب النبي ﷺ بقوله
- ألسنت بر بكم -
فسمعت النداء على غاية
الصفاء ثم لم تزل الذرات
تقلب في الأصلاب
وتنتقل إلى الأرحام قال
الله تعالى - الذي يراد
حين تقوم وتقلب في
الساجدين - يعني قلب
ذرتك في أصلاب أهل
السيجود من آباءك
الأنبياء فما زالت تنتقل
الذرات حتى برزت بين
أجسادها فاحتجبت
بالحكمة عن القدرة
وبعالم الشهادة عن عالم
الغيب وتراكم ظلماتها
بالتقلب في الأطوار فإذا
أراد الله تعالى بالعب
حسن الاستماع بأر
بصيره صوفيا صافيا
لا يزال يرقه في رتب
الزكية والتحلية حتى
يخلص من مضيق عالم
الحكمة إلى فضاء
القدرة ويزال عن
بصيرته النافذة سحجف
الحكمة فيصير مماعة
- ألسنت بر بكم - كشفا
وعيانا وتوجيه
وعرفانه تبياناً وبرهانا
وتندرج له ظلم الأطوار
في لوايح الأنوار . قال

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه
كيفية الطواف والواجب من حملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت
وأن يبتدئ بالحجر الأسود ويحيط البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لعل الشاذرون
ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن القنطرة وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .
(الجملة الخامسة في السعي)

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن الثاني والحجر
فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر
قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له السكبة (٢) وابتداء السعي من أصل
الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحثة فينبغي أن لا يخلفها وراء
ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين الروة سبع مرات وعند رقيه في
الصفا فينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها
على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو
على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده
لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين
- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن
آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اللهم إني أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا
وعلمنا نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ويصلي
على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل
ويبتدئ السعي وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأعلى كرم اللهم آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي إلى الليل الأخضر
وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فإذا بقي بينه وبين محاذة الليل
سته أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الليلين الأخضرين ثم يعود إلى الهينة
فإذا انتهى إلى الروة صعدا كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل
السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في
كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ
من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف
وإذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر
عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان

وزاد ثم صلى لاسبوع ركعتين وفي إسنادها عبد السلام بن أبي الجيوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة وحسنه ونه من
حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظه وقال الآخر من طاف بهذا
البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق
رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له السكبة م من حديث جابر قبدأ بالصفا فرقى عليه
حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت

(الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطواف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذوقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى ملياً ويستحب له المشي من مكة في الناسك إلى انقضاء حجه إن قدر عليه والمشي من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن عليّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقرها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعني ممن تباهى به اليوم من هو خير مني وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خبائه بنمرة قريباً من المسجد ثم ضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخور كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلاً للقبلة راكباً وليكثر من أنواع التمجيد والتسبيح والتلهيل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن ياتي تارة ويكسب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا يفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاتته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاتته الحج فعليه أن يتحال عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دماً لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعوه فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء المأثور في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبتي ولك رب تراثي اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستغفر في الدعوات من حديثه ياعلى إن أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري

بعضهم أنا أذكر خطاب ألفت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤبداً وسماعه متوالياً متجدداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم الذكر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع أهال المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجواب والاقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به - هذا تعلم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمهله على الصحابة حتى تتدبر

معانيه حتى تكون
أنت أول من يخلص
بغرائبه وعجائبه وقيل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ أنزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يفتر من
قراءة القرآن مخافة
الافتلات والنسيان
فنهأ الله تعالى عن
ذلك أي لا تعجل
بقراءته قبل أن يفرغ
جبرائيل من إلقائه
إليك وقد تكون
مطالعة العاوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى السماع
ويحتاج الطالع للعاوم
والأخبار وسير أه
الصلاح وحكاياتهم
 وأنواع الحكم والأمثال
 التي فيها نجاة من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
متأدبا بأداب حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكما أن القلب
استعد بحسن الاستماع
بالزهادة والتقوى حتى
أخذ من كل ما سمعه
أحسنه فيكون أخذنا
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيد الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليلق
الله رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي
وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم
إني أعوذ بك من تحول عافيتك وبقاة نعمتك وجميع سخطك اللهم اهْدني بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى يا خير مقصود وأسنى منزل به وأكرم مسئول ما ليدأعطني العشية أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم بارفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الأرضين
والسموات خبث إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلايتي ولا يخفي عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبي أسألك مسئلة المسكين
وأتهل إليك ابتهاج اللذنب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وقاضت
لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعا لك رب شقيا وكن بي رءوفا رحما يا خير
المستولين وأكرم المعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لايم نفسي إلهي أخرست للمعاصي لساني فإلى
وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجهها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك
وسعت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنك صغارا في جنب عفوك فاغفرها لي
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا ، أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفرة إلهي إن كنت لا ترحم
إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع الذنوبون إلهي تجنبني عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى معصيتك
قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجت
عنك وقهرى إليك وغناك عني إلا غفرت لي يا خير من دعاء داع وأفضل من رجاء راج بجرمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضى
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتني فلا تحرمني الرجاء
الذي عرفنيته إلهي ما أنت صانع العشية بعبد مقرر لك بذنبي خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك في العفو عنه طالب إليك
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنحنأ وإياك أملنا وما عندك
طلبنا ولا إحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا
وليبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويأمن
ليس فوقه خالق يخشى يا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على كثرة السؤال
اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وفنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر وإسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم إنك ترى
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلايتي ولا يخفي عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله يا خير المستولين ويا خير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلوا بحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ونحن
أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك
زلفي ولكل متوسل إليك عفوا وقدودنا إلى بيتك الحرام ووقتنا بهذه الشاعر العظيم وشهدنا هذه
المشهد الكرام رجاء لما عندك فلا تنحيب رجاءنا إلينا تابعت النعم حتى اطعنا أنت الأنفس بتأبوع نعمك
وأظهرت العبر حتى نطق الصوامت بخبرتك وظاهرت النعم حتى اعترف أولياؤك بالتفسير عن حقاك
وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أسأت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا فضلت وقبلت وإن عصوا
سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أطلبنا إليك قربت وإذا
وليناعنك دعوت إلينا إنك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإننا نشهد لك بالتوحيد محبتين ولمحمد
بالرسالة مخلصين فأغفر لنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل
في الإسلام إلينا إنك أحببت التقرب إليك بعق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل
فاعتقنا وإنك أمرتنا أن نتصدق على قرائنا ونحن قراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا
بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فأعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الخضر عليه
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبه عليه الأصوات يا من
لا تغلظه السائل ولا تخلف عليه اللغات يا من لا يرميه إلحاح اللحنين ولا تضجره مسئلة السائلين أذقنا
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليج
في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا تردنا جميع من
أجلى وقال بكر الزني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .
(الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والحلق والطواف)

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الخيل
وإيضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الخيل وإيضاع
الإبل وقال : اتقوا الله وسيروا سيراجملا لا تطؤوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما (١) » فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها
لأن المزدلفة من الحرام فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة
تسألك حوائج مؤتلفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيتهم جمع بين المغرب والعشاء
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران
ظاهر وتكليف إيقاعها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدي
النوافل مع الفرائض بجمع واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل نك وصحه من حديث أسامة بن زيد
عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس في إيضاع الإبل وقال لك ليس البر بإيجاف الخيل والإبل
ولبخارى من حديث ابن عباس فان البر ليس بالإيضاع .

في المطالعة أن العبد إذا
أراد أن يتالع شيئا
من الحديث والعلم يعلم
أنه قد تكون مطالعة
ذلك بداعية النفس
وقلة صبرها على الذكر
والتلاوة والعمل
فتستروح بالمطالعة
كما تستروح بمجالسة
الناس ومكالمهم
فليتنفد للتفطن نفسه
في ذلك ولا يستحلى
مطالعة الكتب إلى حد
يأخذ ذلك من وقته
ويراعى الإفراط فيه
فاذا أراد مطالعة
كتاب أو شيء من العلم
لا يسادر إليه إلا
بعد التثبت والانابة
والرجوع إلى الله تعالى
وطلب التأييد من
رحمة الله تعالى فيه
فانه قد يرزق بالمطالعة
ما يكون من مزيد
حاله ولو قدم الاستخارة
لذلك كان حسنا فان
الله تعالى يفتح عليه باب
الفهم والتفهيم موهبة
من الله زيادة على
ما يتبين من صورة
العلم فللعلم صورة ظاهرة
وسر باطن وهو الفهم
والله تعالى نبه على

شرف الفهم بقوله
- فقهمناها مسلمان
وكلا آتيناهما كواولهما
أشار إلى الفهم بمزيد
اختصاص وتميز عن
الحكم والعلم قال الله
تعالى - إن الله يسمع
من يشاء - فإذا كان
المسمع هو الله تعالى
يسمع تارة بواسطة
اللسان وتارة بما يرزق
بمطالعة الكتب من
التيان فصار ما يفتح
الله تعالى بمطالعة
الكتب على معنى
ما يرزق من السموع
يركز حسن الاستماع
ليفتقد العبد حاله
في ذلك ويتعلم عليه
وأدبه فانه باب كبير
من أبواب الخير وعمل
صالح من أعمال المشايخ
والصوفية والعلماء
الراشدين للتبتلين
لاستفتاح أبواب
الرحمة والمزيد من كل
شيء ينفع سلوك الآخرة
[الباب الثالث في بيان
فضيلة علوم الصوفية
والإشارة إلى نموذج
منها]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب

هذا مفارقة النفل للفرص في جواز أدائه على الرحلة لما أومأنا إليه من التبعة والحاجة ثم تكثرت تلك الليلة
بزدلفة وهو بيت نسك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هذه الليلة
الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انتصف الليل أخذ في التأهب للرحيل ويزود الحصى
منها ففيها أحجار رخوة قلياً أخذ سبعين حصاة فأنها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فرما يسقط منه
بعضها وتلك الحصى خفافاً بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم يغسل بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى
إذا انتهى إلى الشعر الحرام وهو آخر الزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق الشعر الحرام
والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام إذا الجلال
والأكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك
دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلاً أسرع في المشى ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير
فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا يشغل له
معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جملة العقبة وهي على عين مستقبل القبلة في الجادة والرمى مرتفع قليلاً في
سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف
مستقبلاً القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعاً يده ويبدل التلبية بالتكبير
ويقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقاً بكتابتك واتباعاً لسنة
نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى
عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن
يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده
لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليندج الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح نفسه وليقل بسم الله
والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم
بالبقرة ثم بالشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة والبقرة والضأن أفضل من العز قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء»^(١) وقال أبو هريرة
البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين وليأكل كل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالرجاء
والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الأنف والأذن
لاقطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء للشهوة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل
والمقابلة للخرقة الأذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقأ أى لا مضغ في أمان الهزال
ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين
المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بهاسية وارفع لي بها
عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلح يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومهمها حلق بعد رمى الجمرة فقد
حصل له التحلل الأول وحل له كل المحظورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كواصفناه
وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر
وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أى وقت شاء ولكن يبق مقيداً بعلقة الاحرام
فلا تحل له النساء فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى
أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

(١) حديث خير الأضحية الكبش د من حديث عبادة بن الصامت وت من حديث أبي أمامة قال ت

مع الركنين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركنين فليستح كما وصفتنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وثق ذلك ركنا فلا ينبغي أن يعيد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ في الحج أربع خطبة: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر^(١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي فبييت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من العيد زالت الشمس اغتسل الرمي وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات فإذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كل رمي الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يرجع على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كالיום الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٢) ولا يترك حضور الفرائض مع الامام في مسجد الحيف فان فضله عظيم فإذا أفاض من منى للأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة^(٣) فهو السنة رواء جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

(الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع)

من أراد أن يعتقر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفتنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد غريب وعقير يضعف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه بخ ووصله من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحرين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أى يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى د في الراشدين من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قاله د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمر بن زباج ضعيف والرسول صحيح الإسناد ولأبي داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة خ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث .

السهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقيقه عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال « لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير » يقولها ثلاثا ثم قال « إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » قال العلماء أدلاء الأمة وعمد الدين ومرج ظلمات الجهالات الجبلية وبقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملل الحنيفة وحمل عظيم الأمانة فهم أحق الخلق بمحقق التقوى وأحوج

العباد إلى الزهد
في الدنيا لأنهم
يحتاجون إليها أنفسهم
ولغيرهم ففسادهم فساد
متعدد وصلاحيهم صلاح
متعدد . قال سفیان
ابن عیینة : أجهل
الناس من ترك العمل
بما يعلم وأعلم الناس
من عمل بما يعلم
وأفضل الناس أخشعهم
لله تعالى وهذا قول
صحيح بحكم بأن
العالم إذا لم يعمل بعلمه
فليس بعالم فلا يترك
تشدقه واستطائه
وحذاقته وقوته في
الناظرة والمجادلة فانه
جاهل وليس بعالم إلا
أن يتوب الله عليه
ببركة العلم فان العلم
في الاسلام لا يضيع
أهله ويرجى عود
العالم ببركة العلم والعلم
فريضة وفضيلة
فالفریضة ما لا بد
للانسان من معرفته
ليقوم بواجب حق
الدين والفضيلة ما زاد
على قدر حاجته مما
يكسبه فضيلة في النفس
مواقفة للكتاب
والسنة وكل علم

تمت عمرته ولقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتناء والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل
ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم
قَالَ والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراها أهلا لأن أطأ بهما بيت
ربى وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استئابة
إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء ومقم وارزقني الاخلاص واليقين
والعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » (١) أى يشفى ما قصده .

(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليخرج أو لا أشغاله وليشدد رحاله وليجعل
آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كسابق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه
صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت
بيتك والبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك
وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن
قبل تباعدى عن بيتك هذا أو ان انصرافى إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك
ولا عن بيتك اللهم أصحبنى العافية في بدنى والعصمة في دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك أبدا ما بقيتني
واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام
وإن جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى في حياتى » (٢) وقال ﷺ « من وجد سعة
ولم يفد إلى فقد جفانى » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءنى زائرا لا يهيمه إلا زيارتى كان حقا على الله
سبحانه أن أكون له شفيعا » (٤) فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه
كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار
وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب ويلبس أنظف ثيابا فإذا
دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملأه رسول الله ﷺ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجانب المنبر ركعتين ويجعل
عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى في قبلة
المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغيب المسجد وليجهد أن يصلى في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له . من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک
من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودى قال ابن
القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد
ابن هشام للروى (٢) حديث من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى في حياتى الطبرانى والدارقطنى
من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد إلى فقد جفانى ابن عدى والدارقطنى في
ضرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم
يزرنى فقد جفانى وذكره ابن الجوزى في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث
أنس مامن أحدهم أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جاءنى زائرا لا يهيمه إلا
زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم وله آدم السلام عليك يا سيد الرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته صلى عليك كلما ذكرك الله اكررون وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العمية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى ببليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمر الدين تبعا في ذلك آثاره وتعملان بسنته خزا كما الله خير ما جزى وزير نبي عز دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل ولیمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إنك قد قلت وقولك الحق - ولوا أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحاما - اللهم إنا قد صمنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تأبين من زلنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا قب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم يديه الكرمتين إذا جلس شرب وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضل يزداد الانسان به هو انا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للشملي قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر العسكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كأن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مباني الاخلاص للمأمور به فصار علم ذلك فرضاً حيث كان الاخلاص فرضاً وما لا يصل العبد إلى الفرض إلا به صار فرضاً وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضاً حتى يصح الفعل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبد الله هو طلب

أن يأتي أحد يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلّي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضاً قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجهف بن محمد رضي الله عنهم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة (١) » ويأتي بئر أريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تغلّف فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها (٢) ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والشاهد ويقال إن جميع الشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعاً يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها (٣) وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عدل عمرة النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم تغلّف في بئر أريس لم أقف له على أصل وإيما ورد أنه تغلّف في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر حرا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ للحديث . وحديث بئر حرا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حرا وكانت مستقبله المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بهاء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويحمل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا باليمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال اتنوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعاً إذا أنا مت فاعسلوني بسبع قرب من بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن والطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروناه أيضاً في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتي القبر الشريف ويهيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة في المسجد فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبينا وخط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً بأرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلّى فيها وهي عشرون موضعا .

(فصل في سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفي بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبغي أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بفتة فذلك هو السنة (٤) ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقتصد المسجد أولاً وليصل ركعتين فهو السنة (٥) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توباً لربنا أو بآياتنا عبادنا حواً فإذا استقر في منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوماً فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرًا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصبّ غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زباله ضعيف وحديث بثر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من يوت السقيا زاد الزار في مسنده أو من بثر السقيا ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتنوني بوضوء فلما توضع قام الحديث . وأما بثر حمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بثر حمل الحديث وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقدروى الدارمى من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شقى الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شقى (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة تقدم في الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده في آخره في بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه الحاملى في الدعاء باسناد جيد (٤) حديث إرسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بفتة لم أجده في كرا الإرسال وفي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهوا حتى ندخل ليلاً أى عشاء كي تمتشط الشعة وتستجد الغيبة (٥) حديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر تقدم في الصلاة.

علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » فصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقوهم بطريقهم ويرشدهم بهم فهم وراث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فى شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملاً يجهل ما لله عليه فى ذلك فلا يجوز أن يعمل برأيه

ينبغي أن ينسى ما أنتم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة والاهو والخوض في المعاصي فما ذاك علامة الحج للبرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزعة وأغنياءهم للتجارة وقرأؤهم للمسئلة وقرأؤهم للسمعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيا إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لأتحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها (٣) » فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج لأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى لتيسر لها الارضاع بتلبس حالها عليهم . الثاني : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادقون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كإغانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الاقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين يبذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والاتفاق من غير تقير ولا إسراف

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزعة وأغنياءهم للتجارة وقرأؤهم للسؤال وقرأؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس بسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتي للنزعة وأوساطهم للتجارة وقرأؤهم للمسئلة وقرأؤهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والنفذ لها ومن حج بها عن أخيه هق من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذي يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن .

إذ هو جاهل بما له وعليه في ذلك فيراجع علما يسأله عنه ليحييه على بصيرة ولا يهمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والاعتقاد في الاسلام ولا يحك في صدره شيء فهو سالم فان حاله في صدره شيء أو توسو .

بشيء يقدح في العفة أو ابتلى بشبهة لا تؤمر فائتها أن تجرّه إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب . وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التي بنى عليها الاسلام لأنها اقترنت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعلى بالاسراف التمتع بأطياب الأطعمة والترفيه بشرب أنواعها على عادة الترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزادى طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبع مائة درهم قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم « الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة قليل له يارسول الله ما بر الحج ؟ فقال طيب الكلام وإطعام الطعام ^(١) » الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لنو وخنى وخفى من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى إلى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو الباطلة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال المهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رثت فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من برّ الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كلف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هله صحبته في السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس : أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحجاج المشاى بكل خطوة بخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستجاب فى المشى فى الناسك والتردد من مكة إلى الوقف وإلى منى آكد منه فى الطريق وإن أضاف إلى المشى الاحرام من ديرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل - وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فان كان يضعف ويؤذى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كأن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشى فيها أو يركبى حمارا بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أثقل عليه فالركب أفضل من المشى وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى السكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه . السادس : أن لا يركب إلا زاملة أما الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذيه والثانى اجتناب زى الترفين والتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم » ^(٢)

(١) حديث الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قليل ما برّ الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر بإسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رجل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل فى ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل فى ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل فى صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أكثرها ما يسع المسلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميلى فى هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبى طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

وطاف على الرحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائه^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم»^(٢) وقيل إن هذه الحامل أحدتها الحاج وكان العلماء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجواقمات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا تخمليين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحاج من الزى والحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاجج. السابح أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان التكبرين الترفييين ويخرج عن حزب الضعفاء والساكين وخصوص الصالحين فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالشمع والاختفاء^(٣) ونهى عن التمتع والرفاهية^(٤) في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث «إنما الحاج الشعث الثفت»^(٥) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق^(٦) وقال تعالى - ثم ليقتضوا نفثهم - والثفت الشعث والاغبر وقضاؤه بالخلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد خولوا واخشو شئنا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الجبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يحتجب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روى «أنه ﷺ كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر على الأتقاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم»^(٧) قالوا قمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل. الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويشغل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي»^(٨) ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة^(٩) وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكثرى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لافي ميزان المسكاري وكل من آذى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشعث والاختفاء البغوى والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حنبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشو شئنا واتصلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أنى هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التمتع والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاء ولأحمد من حديث معاذ إياك والتمتع الحديث (٥) «إنما الحاج الشعث الثفت» من حديث ابن عمر وقال غريب (٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث أنى هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله ابن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر على الأتقاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلا ونأقته تقاد.

مالا تطبيق طوالب به يوم النيامة . قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاف مني إلى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حري أجبر فليراع حق الدابة وحق السكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب السكاري . قال رجل لابن المبارك اجعل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الرجال فاني قد اكرت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا . التاسع أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجهده أن يكون من معين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى - ذلك ومن يعظم شعائر الله - إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهد ولا يكده ولا يترك المكاس في شرائه فقد كانوا يبالغون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاها ثمنا وأنفسه عند أهله وروى ابن عمر « أن عمر رضي الله عنهما أهدى بخيئة فطلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعهما ويشتري بثمانية دنانير فقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بحمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج (٢) » والعج هور رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتي يوم القيامة بهرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفي الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « استجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة » [١] . العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان للصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب

(١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى بخيئة فطلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهما ويشتري بثمانية دنانير فقال بل أهدها أخرجه د وقال أنجرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج واستغريه وه وك وصحجه والبرار واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقر أي الحج أفضل (٣) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا ك وصححه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفي رواية للبيهقي بكل قطرة حسنة قال خ لا يصح وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقولها لقاطمة .

[١] (قوله استجدوا الحج) هذا الحديث لم يخرج له العراقي وهو ليس في نسخة الشرح فلعله لم يكن في نسخته .

المشايع من الصوفية وغلباء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الامور والنهي وخرجوا من عبدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - فتح الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها . قال بعضهم من يطيق مثل هذه الخطابة بالاستقامة إلا من أيد من المشاهدات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالتبثيث يبرهان عظيم كما قال تعالى - ولولا أن ثبتناك - ثم حفظ في وقت المشاهدة ومشاهدة الخطاب وهو للزينة بمقام القرب والخطاب على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله فاستقم

فلا يضيغ منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل بإخوانه البطالين إخوانا صالحين ويعتزل الله والفقلة مجالس الله كروا اليقظة .

(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة

وكيفية الافسكار فيها والتذكير لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الرحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميتمات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استئتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للتذكير وعبرة للمعتبر وتنبية للسريد الصادق وتبريد وإشارة للفطن فلنرمز إلى مفاتيحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالنزهة عن الشهوات والكشف عن الذات والاقتضار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانعازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل للذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وقرءوا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة الراسخين في سالكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : «أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف» (١) «يعنى الحج» وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون (٢) «فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ماحواليه حراما لبيته فخما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعنا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزنيه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رفهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وإقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لاتأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمى الجمار بالأحجار والترديد بين الصفا والروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة إرفاق ووجه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكشف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود ومن حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواه الطبراني بلفظ إن لكل أمة سياحة ومسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو والبهيق في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البهيق في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت - ولولا هذه التمامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي حفص أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول «استقيموا ولن تحصوا» وقال جعفر الصادق في قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - أي اقتصر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيئا في سورة هود وأخواتها فقال نعم قال قلت ما الذي شيك من قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات الشهادات خوطب بهذا الخطاب وطوبى لمحقق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقرَّبون منجهم الله تعالى من

ذلك بفسط ونصيب ثم
ألهمهم طلب التروض
بواجب حق الاستقامة
ورأوا الاستقامة
أفضل مطلوب وأشرف
مأمور .
قال أبو علي الجورجاني
كن طالب الاستقامة
لا طالب الكرامة فإن
نفسك متحركة في طلب
الكرامة وورك يطلب
منك الاستقامة وهذا
الذي ذكره أصل كبير
في الباب وسر غفل
عن حقيقته كثير من
أهل السالك والطلب
وذلك أن المجتهدين
والتعبدية سمعوا بسير
الصالحين المتقدمين
وما منحوا به من
الكرامات وخوارق
العادات فأبدا نفوسهم
لاتزال تتطلع إلى شيء
من ذلك ويحبون أن
يرزقوا شيئا من ذلك
ولعل أحدهم يبقى
منكسر القلب متهم
لنفسه في صحة عمله حيث
لم يكشف بشيء من
ذلك ولو علموا سر
ذلك لمان عليهم
الأمر فيه فيعلم أن الله
سبحانه وتعالى قد

ورعى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اشتداء للعقل إلى معانيها
فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع
فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فان كل ما أدرك العقل معناه
مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الليل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال
الرق والالتزام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تعبدوا
ورقا (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نعمة الخلق
بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طبعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على
سنن الالتزام وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية
النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت لهذا فهتت
أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الدهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف
في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فاما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت
الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قفاصده قفاصده إلى الله عز وجل وزائر له وأن
من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في معاده المصروب له وهو
النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تنبأ
لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطبيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لتصورها وأنها إن
أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد
البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه
إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله
عز وجل فالحري أن يشاق إلى الحج لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب
الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات
متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل ولعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على
أمر رفيع شأنه خطير أمره وان من طلب عظيما خاطرا بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا
عن شوائب الرياء والسمعة ولتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وان من أخش الفواحيش
أن يقصد بيت الله وحرمة والقصود غيره فليصح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه وإخلاصه باجتنب
كل ما فيه رياء ومهمة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم
والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلاييه
ينادي عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين
به ومهمل له أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك
عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك
فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أو لا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع
العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان المسافر
وماله على خطر إلا من وثق الله سبحانه ولتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر
الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدوا ورقا تقدم في الزكاة .

يفتح على بعض
المجاهدين الصادقين من
ذلك بابا والحكمة
فيه أن يزداد بما يرى
من خوارق العادات
وآثار القدرة يقينا
فيقوى عزمه على
الزهد في الدنيا
والخروج من دواعي
الهوى وقد يكون
بعض عباده يكشف
بصرف اليقين ويرفع
عن قلبه الحجاب
ومن كشف بصرف
اليقين استغنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن المراد منها
كان حصول اليقين
وقد حصل اليقين فلو
كشف هذا للرزوق
صرف اليقين بشيء
من ذلك ما لزداد يقينا
فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق العادات
لهذا الموضع لاستغنائه
وتقتضى الحكمة
كشف ذلك للآخر
لموضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أتم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

والله المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من
موضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير
ولا يفسد قبل باوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعده
بما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متجيرا محتاجا لحيطة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى
الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير . وأما الرحلة : إذا
أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه
المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنابة التي يحمل عليها فان أمر الحج
من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيا صلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك
السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدرية لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنابة قبل
ركوبه للجمل وركوب الجنابة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يخطأ في
أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويحمل أمر السفر المستيقن . وأما شراء
ثوب الإحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدى ويتزبى ثوب الإحرام عند القرب
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن
لأعماله فكما لا يلقي بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والهبة فلا يلقي الله عز وجل بعد
الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه غيظ كما في الكفن .
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر
لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ما ذا يريد وأين توجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك
للملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستهضوا قهضوا وقطعوا العلائق
وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت
عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى منامهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا إدلالا بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل
وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج
من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع
الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعى والحيات
ومن انقراذه عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله
متزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل
فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا ليك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي
محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته
أصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فليله لم لا تلبى فقال أخشى أن يقال لي
لا ليك ولا سعديك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فأم يزل يعتربه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد
ابن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا

فأخذته النشبة ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام سرطامة بني إسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم بالجنة ويحك يا أحمد بانني أن من حج من غير حله ثم لي قال الله عز وجل لا ليك ولا معديك حتى ترد ما في يديك فإنا نؤمن أن يقال لنا ذلك ولتذكر الماي عند رفع الصوت بالتلبية في الليقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقربين ومتموتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الليقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا ويرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للعقوبة وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالبا فالكرم عظم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام المستجير اللانث غير مضيع . وأما وقوف البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدرك أنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبيغته إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آمليين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذنين في الدخول ومصرفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تحتم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتحتم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الحاقق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعته فمن غدر في المبايعه استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الحجر الأسود عيّن الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه^(٢) » . وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاق بالمتمزم : فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمعاسة ورجاءا للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لافي البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا

صرف اليقين بنسب واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شيء من ذلك فسيل الصادق مطالبه النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة ثم إذا وقع في طريقه شيء من ذلك جاز وحسن وإن لم يقع فلا يبال ولا ينقص بذلك وإنما ينقص بالاخلاق بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التي أشار إليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر ومنشرح علم الخواطر وتفصيلها في باب إن شاء الله تعالى وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفتها أخلاقها وعلم النفس

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر عيّن الله في الأرض يصافح بها خلقه الحديث تقدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

ومعرفتها من أعز
علوم القوم وأقوم
الناس بطريق
المقربين والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس
وعلم معرفة أقسام
الدنيا ووجود دقائق
الهوى وخفايا شهوات
النفس وشرها وشرها
وعلم الضرورة ومطالبة
النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعلًا
ولبسا وخلعا وأكلا
ونوما ومعرفة حقائق
التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفة قسبئات
هي حسنات الأبرار
ومطالبة النفس بترك
مالا يعني ومطالبة
الباطن بمحصر خواطر
العصية ثم بمحصر
خواطر الفضول ثم علم
المراقبة وعلم ما يندرج
في المراقبة وعلم المحاسبة
والرعاية وعلم حقائق
التوكل وذنوب التوكل
في توكله وما يندرج في
التوكل وما لا يندرج
والفرق بين التوكل
الواجب بحكم الإيمان
وبين التوكل الخاص
المختص بأهل العرفان
وعلم الرضا وذنوب

إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعمى وبذل الأمن في المستقبل . وأما السعي
بين الصفا والروية في فناء البيت : فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذهابا مرة بعد أخرى
إظهارا للخلاص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
مالذي يقضى به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولتذكر عند ترده بين الصفا والروية ترده بين كنفك الميزان
في عرصات القيامة ولتأمل الصفا بكفة الحسنات والروية بكفة السيئات ولتذكر ترده بين الكفتين
ناظرا إلى الرجحان والتقصان مترددا بين العذاب والغفران . وأما الوقوف بعرفة : فذكر بما ترى
من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على الشاعر
اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطعمهم
في شفاعتهم وتخبرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة
والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفائزين للرحومين وحق رجائك بالاجابة فالموقف شريف
والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العريضة من أوتاد الأرض ولا
يفتك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت همهم
وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت
نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم
ويدخر عنهم رحمة تغمهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى
لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر
الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرا رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صعيد واحد . وأما رمى الجمار : فاقصد به الاقياد للأثر لإظهار اللزق والعبودية وانهاضا
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حججه شبهة أو يقتله بمعصية فأمره الله عز وجل
أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فإن خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فلذلك رماه وأما
أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترع زمك
في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لافائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد
والتشهير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة
ترمي به وجه الشيطان وتقسم به طهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما
له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدي : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم
الامتثال فأكل الهدي وأرج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار (١) فهكذا ورد الوعد
فكلما كان الهدي أكبر وأجزؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك
على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله
عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع

(١) حديث أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءا من المضحى من النار لم أقف له على أصل وفي كتاب
الضحيا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ماتقدم
من ذنوبك يقولها لقاطمة وإسناده ضعيف .

أندام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أندامه العزبة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصوّر خشوعه وسكينته في الشئ وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمة ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر مامن الله تعالى به على الدين أدر كوا صحبتهم وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبتهم وصحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتت رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمدا يا محمدا فيقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا^(١) » فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته وليعظم مع ذلك رجائك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتت رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذا ذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملكك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلدني بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما تلاين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقييل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في الوجدان بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته^(٢) » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقاءه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا^(٣) » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته بيده ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعت البهية كأنها على المنبر وقد أحرق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحتمهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

(١) حديث يرفع إلى أقوام فيقولون يا محمدا يا محمدا فيقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمدا يا محمدا (٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته من حبك من حديث ابن مسعود بالفتح إن الله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام (٣) حديث من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته ومالا يقدح في حقيقته ومعرفة الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة للفرقة بامثال الأمر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر وانقسام المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والقبض والبسط والفرق بين القبض والمهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم ردَّ حجه وألحق بالمطرودين وليتسرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرافاً إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب فعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

ثم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتنَّ على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من ظلمة من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله هو جل الله اللتين ونوره البين والعروة الوثقى والعصم الأوفى وهو المحيط بالليل والليل والكثير والصغير والكبير لا تنقض عجايبه ولا تنهاى غرائب لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلق عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم منذرين - فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا القرآن وإننا لخالقون - ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والحفاظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشاف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول : في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال عليه السلام « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شفيح أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره ^(٢) »

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طبع من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث ما من شفيح أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلًا والطبراني من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يجي يوم القيامة شفيحا لصاحبه .

الفناء والاستتار والتجلى والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبرادى والصحو والسكر إلى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحنها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولاسهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر المؤلف يحتوى من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحرّم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه وبينك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار »^(١) « وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن »^(٢) « وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا »^(٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »^(٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »^(٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون »^(٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته »^(٧) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت »^(٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته »^(٩) « الآثار : قال أبو أمامة الباهلي اقرءوا القرآن ولا تفرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويمجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و ه لك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه حب ك ومجبه من حديث فضالة بن عبيد .

بجفائق التقوى وربما كان حجة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجلبت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل عبده بالأعقل الناس يصرف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فسكانهم لم يسمعه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلفو مع من يلفو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح ققرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن ققرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر^(١) » وقال الحسن والله مادون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من ققرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهمنا أحد نستأنس به فديده إلى المصحف ووضع على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة الغافلين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلغنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حلة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد ققرأ قيل له مالك ولكلاي وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يستلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ينامون وبهاره إذا الناس يفرطون وحزنه إذا الناس يفرحون ويكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون ونخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لنا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا بمحاربا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحلب محارمه^(٤) » وقال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتح سورة فتلعه حتى يفرغ منها فليل له وكيف ذلك فقال إذا أحل حلالها وحرّم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلغن نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صل الله عليه وسلم وقال اقرأ على ققرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغروق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافق أمتى قراؤها أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من استحلب محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى .

الزهاد لأنهم أعقل الخلق . قال سهل بن عبد الله التستري للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا . حدثنا : الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس ابن أحمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الحواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزماقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الرى على رجل من التجار متمسك بحب التقيفين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم قول إلا إني الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا إني الله على السكاذيين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحل وإن من كان قلبكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرًا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه يشتره بثراة دقل^(١) وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يا تيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي ففعلت عن الطريق وتقعده لأجله وتقرؤه وتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصفي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلمت متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو ماتت إليه أن كفوهاً أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على وضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده بجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد قبل ذلك من أفضل الأعمال فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في التراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتذكرون في خلق السموات والأرض - فأنشئ على الكل ولكن قدم القيام في الله كرم القعود ثم الذكركم مضطجعا قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء خمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فمشر حسنة وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبوذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهِه »^(٢) وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ماقراً القرآن ولا سمكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع^(٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرًا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدمنا في العلم (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهِه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ب (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

أعود فقيهاً التاهو عليل
فقال حاتم إن كان لكم
فقيه عليل فعيادة
الفقيه لها فضل والنظر
إلى الفقيه عبادة فأنا
أيضاً جئ معك وكان
العليل محمد بن مقاتل
قاضي الري فقال
سربنا يا أبا عبد الرحمن
فجاءوا إلى الباب فإذا
باب مشرف حسن
فبقي حاتم متفكراً
يقول باب عالم على هذا
الحال ثم أذن لهم
فدخلوا فإذا دارقوراء
وإذا بزة ومنعة وستور
وجمع فبق حاتم متفكراً
ثم دخلوا إلى المجلس
الذي هو فيه فإذا بفرش
وطيئة وإذا هو راقد
عليها وعند رأسه
غلام ويده مذبذبة
فبعد الرازي يسأله
وحاتم قائم فأوماً إليه
ابن مقاتل أن أقصد
فقال لا أقصد فقال له
ابن مقاتل لعل لك حاجة
قال نعم قال وما هي قال
مسئلة سألك عنها قال
سأني قال قم فاستو
جالسا حتى أسألكها
فأمر غلامه فأسندوه
فقال له حاتم عليك

كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يخطمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم ففي الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة في الاختصار كأن الأول مبالغة في الاستكثار ويذهب جتان معتدلتان إحداها في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يخطم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدها ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمة فان الملائكة عليهم السلام تصلي عليه إن كانت ختمة ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسى فتشغل بركتها جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفسك أو من المشغولين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكفي في الشهر جمرة لكثرة حاجته إلى كثرة التريد والتأمل . الثالث في وجه التسعة : أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضي الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطة إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالفسكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتزليل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع الفصل من ق إلى آخره فهكذا حزب به الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فلما سوى هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالجمرة وغيره ما فاتها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللعن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالجمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحمل الباب وتشويقا إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كاقيل في إقامة الجماعات في التراويح إنهم من محدثات عمر رضي الله عنه وإنما بدعة حسنة إنما البدعة الذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ في المصحف المنقوطة ولا نقطه بنفسى وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجرّدا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده قطا كبارا عند منتهى الآية فقالوا لا بأس به عرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الحواتم والفواتح قال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال وما تنقطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خاله الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيت

(١) حديث تحزيب القرآن على سبعة أجزاء ده من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمسة وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب للفصل وفي رواية للطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزى القرآن فقالوا كان يحزّه ثلاثا فذكره مرفوعا وإسناده حسن .

هكذا من أين جئت به
قال الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم فمما
أدّاه جبرائيل عن
الله وأدّاه رسول الله
إلى أصحابه وأدّاه
أصحابه إلى الثقات
وأدّاه الثقات إليك
هل سمعت في العلم من
في داره أمير أو منعه
أكثر كانت له المنزلة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحبّ الساكين وقدم
لآخرته كان له عند الله
المنزلة أكثر قال حاتم
فأنت عن اقتديت بالنبي
وأصحابه والصالحين أم
بمرعون ونمرود أول
من بنى بالحصن والآجر
يا علماء السوء مثلكم
يراه الجاهل الطالب

يقراً في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عسّدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزائه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام آخر . الخامس الترتيل : هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل . هين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلنهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هزيمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيراً في القلب من المزمرة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبناكوا » (٢) وقال ﷺ « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » (٣) وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لامحالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك الساجدين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - ونحزّون للأذقان ليكون وزيدهم خشوعاً - فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أن يكبر رافعاً يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمر وتكبير الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
 (٢) حديث وقال حسن صحيح (٣) حديث ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن خ من حديث أبي هريرة
 (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

للدنيا الراغب فيها
 فيقول العالم على هذه
 الحالة لا أكون أنا
 شراً منه وخرج من
 عنده فازداد ابن
 مقاتل مرضاً فبلغ أهل
 الري ما جرى بينه
 وبين ابن مقاتل
 فقالوا له يا أبا عبد الرحمن
 بقروين عالم أكبر شأننا
 من هذا وأشاروا به إلى
 الطنافس قال فسار
 إليه متعمداً فدخل
 عليه فقال رحمك الله
 أنا رجل أعجمي أحب
 أن تعلمني أول مبتدئ
 ديني ومفتاح صلاتي
 كيف أتوضأ للصلاة
 قال نعم وكرامة يا غلام
 هات إناء فيه ماء فأتى
 بإناء فيه ماء فقعد
 الطنافس فتوضأ ثلاثاً
 ثلاثاً ثم قال هكذا
 فتوضأ فقعد فتوضأ
 حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا
 بلغ غسل الدراعين
 غسل أربعاً فقال له
 الطنافس يا هذا
 أسرفت فقال له حاتم
 فيما قال غسلت
 ذراعيك أربعاً قال
 حاتم يا سبحان الله أنا في
 كف ماء أسرفت وأنت

ثم للمأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً . الثامن أن يقول في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوء سأل وإن مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح^(١) ، فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن واجعله لى إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين^(٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر به كالسر بالصدقة^(٣) » وفى الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً^(٤) » وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى^(٥) » وفى الخبر « لا يجهر بعضهم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء^(٦) » وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لعلامة اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته فقال العلامة إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فانهم لن ينفوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية تنزيه إلا سبح م مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن واجعله لى إماماً وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود المظفر بن الحسين الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أنى ذكر الهروى من رواية داود بن قيس معضلاً (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضهم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحرث الأعور وهو صعب

فى هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطائفى أنه أراد بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وكتب تجارى الرى وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطائفى فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى ليس يكلمك أحد إلا وقطعته قال معى ثلاث خصال بهن أظهر على خصمى قالوا أى شىء هى قال أفرح إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لأجهل عليه فيها ذلك أحمد بن حنبل فجاء إليه وقال سبحان الله ما أعقله فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا عبد الرحمن ما السلامى من الدنيا قال حاتم يا أبا عبد الله لا قسم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال قال أى شىء هى يا أبا عبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتنتج جهلك عنهم

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فيجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته » (٢) ومروى صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم يختلف في الأحوال فمنهم من يكره رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيته هو يسمعنى ومن على غير رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الإنسان وأزجر الشيطان ومن على بلال وهو يقرأ من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتضع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره فالخير للمعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم فيرفع الصوت ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فمضى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل أذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختم في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منها فكان كثير من الصحابة يقرءون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضى الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلي العتمة وأضخ المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » (٤) وقال عليه السلام « ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يثخن بالقرآن » قيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به التزعم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك ففي الصحيحين من حديث عائشة أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضاً إنما أعرف أصوات رقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل يصلى فيجهر بقراءته فإن الملائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته رواه بنحوه زيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروى صلى الله عليه وسلم بأن يكره وهو يخافت ويعمر وهو يجهر وبلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم في الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم ذكره حب لك وصححه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله لشيء ما أذن لشيء يتغنى بالقرآن زاد من لني حسن الصوت وفي رواية له كاذنه لني يتغنى بالقرآن .

وتبذل لهم شيتك وتكون من شيتهم آيسا فإذا كان هذا صليت ثم سار إلى المدينة . قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ذكر بكلمة إنما فيتق العلم عمن لا يخشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار بغدادى يتق دخول غير البغدادى الدار فلاح للعلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبه المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها في صباى فجاءتني وحشة تلك الكلمة فمنعتني عن ذلك وأعجب بمن يذكر الله تعالى وهو متصف بشيء من صفاته بصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم . قال الواسطي : الراسخون في العلم هم

الذين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السر فعرفهم ما عرفهم
وخاضوا في بحر العلم
بالنهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
دخول الخزان ما تمت
كل حرف من الكلام
من الفهم وعجائب
الخطاب فقطقوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
اطلع على محل المراد من
الخطاب وقال الخراز :
هم الذين كملوا في جميع
العلوم وعرفوها واطلوا
على هم الخلائق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا يعني
به أن الراسخ في العلم
ينبغي أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
العلم ووقف في معنى قوله
تعالى - وفاكهة وأبا -
وقال ما للأدب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
وتقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإنما عني بذلك
أبو سعيد ما يفسر أول

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود روى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال عليه السلام «من أراد أن يقرأ القرآن غضاظرا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٣)» واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقام له هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لجبرته لك تحمير (٤) ورأى هيثم القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن . وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولذكر الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة (٥)» وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتضع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم الفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلاؤه وفضل الله سبحانه وتعالى وإلغائه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلق في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنهه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا ترى ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسامع كلامه كما لم يطق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشه فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضاظرا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد من حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة)

مبادئ تجليته حيث صار ذكاً ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حذفهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوة وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتبينته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمل فهمه فقال الملك أريت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنة وتزيينه وبديع نظمه فزولوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لاثقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكالصفات فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المحبوبة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم تعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فكما أن أجساد البشر تكرم وتعزى لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر الساطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما يحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها كالنجوم الظاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزان النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقى منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكلم فالقاريء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة التكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستتيراً بنور التعظيم والتقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولاليل معانيه كل قلب ولئله هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة التكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر يباه العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نعمته وسطوته إن أنعم بفضلته وإن عاقب ببعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله اطلعوا على هم الخلائق كلهم لأن التقي حق التقوى والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلى مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشئ من اللوح المحفوظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء في علومهم وفائدة كل عالم والعلوم الجزئية متجزة في النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلي أن راجع في الجزئي أهله الذين هم أوعيته فنفس هؤلاء امتلأت من الجزئي واشتغلت به واقتطعت بالجزئي عن الكلي ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ مما لا بد لهم منه في أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله واقطعوا إليه وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب منه فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنواراً تهبأت بها قلوبهم لإدراك

العلوم فأرواحهم ارتقت
عن حد إدراك العلوم
بعكوفها على العالم الأزلى
وتجردت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقلوبهم بنسبة
وجهها الذى يسلى
النفوس صارت أوعية
وجودية تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بمناسبة انفصال
العلوم باتصالها بالروح
الحفوظ والمعنى
بالانفصال انتقاشها
في اللوح لا غير
وانفصال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النفوس
فصار بين الانفصال
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الربانى راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب للنزلة
يا بني إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
ينزل به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار
من يعبر فيأتى به
العلم مجعول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فبالفكر في أمثاله هذا يحضر تعظيم التكلم ثم تعظيم الكلام
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - أى بجهد واجتهاد
وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت
القرآن تحدث نفسك بشئ فقال أو شئ أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسى وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان للعظم
للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالى أهلا له فكيف يطالب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزله ومتفرج والذى يتفرج في
المنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيح
ورياض وخانات فالميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحلوات مقاصيره والمسبجات
عرائس القرآن والحاميات ديايح القرآن والفصل رياضه والحانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارىء
الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيح وتنزه في الرياض وسكن
غرف الحلوات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على صماع القرآن من نفسه
وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك من فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن
من التدبر بالباطن قال على رضى الله عنه : لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بتريده فليردد إلا أن يكون خلف إمام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل
الإمام بآية أخرى كان مهسيا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس قد دروى
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتربنى في الصلاة فقلت في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأنى كيف أنصرف
فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم ديني ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع
الله ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما
رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال « قام رسول الله ﷺ بناليلة فقام بآية
يردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم (٢) - الآية » وقام تميم الدار ليلة هذه الآية - أم حسب
الذين اجترأوا السيئات - الآية وقام سعد بن جبير ليلة يردها هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنى لأفتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم
يقول آية لا أنفهمها ولا يكون قلبي فيها لأعد لها ثوبا . وحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنى لأتلو
الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف
أنه بقى في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى في كل جمعة ختمت وفي
كل شهر ختمت وفي كل سنة ختمت ولى ختمت منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وفتيشه وكان هذا أيضا يقول أقمت نفسى مقام الأجراء فأنأعمل مياومة ومجاعة ومشاهدة ومسانهة
(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الهروى في معجمه
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية
يردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ن ه بسند صحيح .

الخامس التفهيم : وهو أن يسرد نسخ من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر الله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كتب أسلوكوا وذكر أوصافهم وأجرهم وذكر الجنة والنار . أماد صفات الله عز وجل فكقوله تعالى .. ليس كشيء شيء وهو السميع البصير .. وكقوله تعالى .. الملك القدوس السلام المزمزم العزيز الجبار التكبر .. فليتمل مناني هذه الأسماء والصفات ليكشف له أسرارها فتنة بامداد من ذكره لا تنكشف إلا للفقيرين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ شيئا كتبه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فمافي كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم عناوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لا ثقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها . وأما أفاله تعالى فكذكره خالق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الناعل فتدل عظمتة على عظمتة فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيظل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل - أفرايتم ما تحرثون ، أفرايتم ما تمنون ، أفرايتم الماء الذي تشربون أفرايتم النار التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحراث والى بل يتأمل في النى وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية تقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والمصوب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغير هاشم إلى مظاهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى مظاهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - ألو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فاذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فاذا مع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا وإذا مع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين : كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استعزاز الخوف من سطوته وقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتربا أمهل فرعا تدركه النعمة وتنفيذ القضية وكذلك إذا مع وصف الجنة والنار وسأمرافي القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لانهائية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتبه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فمافي كتابه في كتابه ن من رواية أبي جحيفة قال سألتنا عليا قتلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فمافي كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس في القرآن وفي رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولا في داود والنسائي قتلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعده إلى الناس قال لا إلا ما في كتابي هذا الحديث ولم يذكر الفهم في القرآن .

تأدبوا بين يدي
بآداب الروحانيين
وتخلقوا إلى بأخلاق
الصدقين ظهر العلم
من قلوبكم حتى يفتضحكم
أو يضركم فالتأديب
بآداب الروحانيين
حصر النفوس عن
تقاضى جيلاتها وقمعها
بصرح السلم في كل
قول وفعل ولا يصح
ذلك إلا لمن علم وقرب
وتطرق إلى الحضور
بين يدي الله تعالى
فيتحفظ بالحق للحق
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب عبد القاهر
لسهروردي إجازة قال
أخبرنا أبو منصور بن
خيرون إجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن طي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس قال حدثنا
أبو محمد يحيى بن صاعد
قال حدثنا الحسين بن
الحسن المروزي قال أنا
عبد الله بن المبارك قال
أنا الأوزاعي عن
خسان بن عطية بلغني
أن شداد بن أوس
رضي الله عنه نزل
منزلا فقال اتونا

مبين - قل لو كان البحر مدادا لسكرات ربي لفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمنه مددا - ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض بمذاكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هي الموانع التي سبقت كرها في موانع الفهم وقديلا : لا يكون المراد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد . السادس : التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت ^(١) » ومعاني القرآن من جملة اللسكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من اللسكوت . وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراءة يصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبس . ثانيا : أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمعه عليه وثبت في نفسه التمسك به بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيري أن ذلك غرور من الشيطان فيتقاعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها التعصبون للمذاهب وألقوها إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والشهادة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قديكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لا نجح إلى كشف ثاب وثالث وتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبادئ ظاهر وعور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى العور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد . ثالثا : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداء وهو كالحبث على الرأفة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب أكثر من وكما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معاني الكلام أشد احتجابا وكما خف عن القلب أفعال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل الرأفة والشهوة مثل الصدا ومعاني القرآن مثل الصور تراءى في المرآة والرياسة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمق الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي ^(٢) » قال الفضيل يعي حرموا فهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت تقدم في الصلاة .

(٢) حديث إذا عظمت أمق الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف وحرموا

بالسفرة نبث بها
فأنكر منه ذلك فقال
ما تكلمت بكلمة منذ
أسلمت إلا وأنا أخطئها
ثم أزمها غير هذه
فلا تحفظوها على فثل
هذا يكون التأديب
بآداب الروحانيين
مكتوب في الإنجيل
لا تطلبوا علم ما لم تعلموا
حتى تعملوا بما قد علمتم
وقد ورد في خبر عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الشيطان ربما يسوفكم
بالعلم قلنا يا رسول الله
كيف يسوفنا بالعلم قال
يقول اطلب العلم ولا
تعمل حتى تعلم فلا يزال
العبد في العلم قائما
وللعمل مسوفا خز
يموت وما عمل . وقال
ابن مسعود رضي الله
عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم بالحشية
وقال الحسن إن الله
تعالى لا يعبأ بذي علم
ورواية إنما يعبأ بذي
فهم ودراية فعلم الوراثة
مستخرجة من علم
الدراسة ومثال علوم
الدراسة كاللبن الخالص
السائح للشاربين

وقد شرط الله عز وجل الإجابة في الفهم والتذكير فقال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وناتذكر إلامن نيب - وقال تعالى - إنا نتذكر أولو الألباب - فالتدبر أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تسكشف له أسرار الكتاب . رابعاً : أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقداً أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فمهما في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر للنقل لما اختلفت الناس فيه . السابع التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهى والمأمور وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمع غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعفه ما يحتاج إليه فأم من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمثه ولذلك قال تعالى - ما ثبت به فؤادك - فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا تتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدي ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى السكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدي ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القاري الواحد مصود فله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأذكركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتقنا من قبل ربنا عز وجل بهوده تدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات ونفذه في الطاعات والسنن الثابتة وكان بالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحدهم هذا القرآن إلا قام زيادة أو نقصان قال تعالى - هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . الثامن : التأثير وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل - وإني لغفار - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع السك والحنن وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدد بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه وأكثر بكاءه وقل ضحكته وأكثر نضبه وشغله

بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطبوخة من اللبن والمائية في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - وقال تعالى - أو من كان ميتاً فأحييناه - أي كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مباني الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تقال للتوحيد والعرفه والمشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروع علوم فعلم الإسلام علوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

عام فالوصف العام علم
اليقين وقد يتوصل إليه
بالنظر والاستدلال
ويشترك فيه علماء
الدينامع علماء الآخرة
وله وصف خاص
يختص به علماء
الآخرة وهي السكينة
التي أزلت في قلوب
المؤمنين ايزدادوا إيماناً
مع إيمانهم فعلى هذا
جميع الرتب يشعلها
اسم الإيمان بوصفه
الخاص ولا يشعلها
بوصفه العام فبالنظر
إلى الوصف الخاص
اليقين ومراتبه من
الإيمان وإلى وصفه
العام اليقين زيادة على
الإيمان والمشاهدة
وصف خاص في اليقين
وهو عين اليقين وفي
عين اليقين وصف
خاص وهو حق اليقين
حق اليقين إذن فوق
المشاهدة وحق اليقين
موطنه ومستقره في
الآخرة وفي الدنيا منه
لمح يسير لأهله وهو
من أعز ما يوجد من
أقسام العلم بالله لأنه
وجدان فصار علم
الصوفية وزهاد العلماء

وقلت راحته وبطائه . وقال وصيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق
للقلوب ولا أشد استجلاً للحنن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة
الآية للتلاوة فعند الوعيد وتقيد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع
ووعده المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله
واستشعاراً لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذا كرههم لله عز وجل ولدا
وصاحبة يغضّ صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه
شوقاً إليها وعند وصف النار ترتعد فرائضه خوفاً منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود
اقرأ ألى (١) قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على
هؤلاء شييداً - رأيت عيذه نذر فأن بالدمع فقال لي حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت
قلبه بالسكينة ولقد كان في الحائفين من خر مغشياً عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
فمثل هذه الأحوال يخرج عنه أن يكون حاكياً في كلامه فإذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم - ولم يكن خائفاً كان حاكياً وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - ولم
يكن حاله التوكل والإناابة كان حاكياً وإذا قال - ولنصبرن على ما آذيتموننا - فليكن حاله الصبر
أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى - ألا لعنة الله على الظالمين - وفي
قوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون -
وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل - ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب إلا أماني - يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات
والأرض يمدرون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض
ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلاي وأنت معرض عنك كلامي إن لم تتب إلى ومثال العاصي إذا
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو
مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فله لوترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستبزاء
واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهمل بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت
فأعدل إلى التيسيح والاستغفار والعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل - فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اتلفت
عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه (٢) » قال
الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون -
وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرءوا القرآن
ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فاذا اختلفتم
فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله
ولانت جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى
الله تعالى . بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشبهى بمن يذمى الله عز وجل (١) » فالقرآن يراد الاستجلاب عنده الأحوال إلى القلب والعمل به والإقامة في تحريك اللسان بهر وفه خفيفة ولذا قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ فأنايا فاذبرني وقال جئلت القرآن على عملا اذهب فأقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهيك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فأنهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - (٣) قال يكفي هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو قفيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان قليل الجدوى بل النال باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تتبأ بها فان المقصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فخط اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشبهى بمن يذمى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم العافقي في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعلة أراد بالمدينة وإلا فقد روينا عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسل وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله ابن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأنباري بسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف وللتزمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوعدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فأتي على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يا فلان ؟ قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فأنهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو قفيه د في الكبرى وحبك وصححه من حديث عبد الله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويحل أفلح الرويحل ولأحمد ون في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لا بألي أن لا أسمع غيرها

سبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنضبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بفضيلة العلم وورزانه الأعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد في فخر « فضل العالم على ما بد كفضلي على أمي » والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعناق وإنما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذائقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء

بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والاثمار فاللسان يرتل والعقل
يترجم والقلب يتعظ . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لامن
نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر
إليه ومستمع منه فيكون حاله عندهذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهال . الثانية أن يشهد
بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه فقامه الحياء والتنظيم
والاضغاء والفهم . الثالثة أن يرى في الكلام للتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق
الانعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا لهم على التكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق
بمشاهدة التكلم عن غيره وهذه درجة المقرين وما قبله درجة أصحاب اليقين وما خرج عن هذا فهو
درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز
وجل لحلقه في كلامه ولكنهم لا يصرون وقال أيضا وقد سألوهم عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا
عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من التكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة الناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت
أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم
رفعت إلى مقام فوكه كنت أتأله كأنني أسمع من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من التكلم به فعندها وجدت له لذة ونعما لأصبر عنه
وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها
بالطهارة تترقى إلى مشاهدة التكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة
وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة التكلم دون ماسواه يكون العبد ممتلا لقوله عز وجل - فقرأوا إلى
الله - ولقوله تعالى - ولا تجعلوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما انتفت
إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل
شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبرى : وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين
الرضا والتركيز فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد للموقنين
والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين
شهد على نفسه هناك وقد رآه الخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم
إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فقال قوله عز وجل - إن الإنسان لظالم
كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل
من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد
البعد في القرب لطيف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها ومن شهد
القرب في العبد مكر بالأمن الذي يفضيه إلى درجه أخرى في العبد أسفل مما هو فيه ومهما كان
مشاهدا لنفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في
قراءته كشف له سر الملكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر
عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقبه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت فقال
لولا ميعادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيشك لأنني
لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر
من الجنة فما رلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكشحات لا تسكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم

التابعين فيهم من هو
أقوم بعلم الفتوى
والأحكام من بعضهم .
روى أن عبد الله بن
عمر كان إذا سئل عن
شيء يقول سلوا سعيد
ابن المسيب وكان
عبد الله بن عباس يقول
سلوا جابر بن عبد الله
لو نزل أهل البصرة
على فتياه لوسعهم
وكان أنس بن مالك
يقول سلوا مولانا
الحسن فإنه قد حفظ
ونسي ما كانوا يردون
الناس إليهم في علم
الفتوى والأحكام
ويعلمونهم حقائق
اليقين ودقائق العرف
وذلك لأنهم كانوا
أقوم بذلك من التابعين
صاحبهم طراوة الوحي
النزل وغمرهم غزير
العلم الجميل والفصل
فلقى منهم طائفة مجملة
ومفصلة وطائفة مفصلة
دون مجملة والجميل أصل
العلم ومفصلة المكتسب
بطهارة القلوب وقوة
الغريزة وكال الاستعداد
وهو خاص بالخواص
قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم

الالتفات إليها وإلى دواها ثم تخصص هذه الكاشفات بحسب أحوال المكاشف حيث يتوارى آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللفظ والانتقام والبطل فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام مستقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١) وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من القصرين للنسوبين إلى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فمأعنى قوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم (٢) قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة للنقولة فياذلك الفهم وقال ﷺ « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » (٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فمأعنى الظاهر والباطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمأعناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحدا ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالحلمة فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره وللهالك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم تقدم قول على في الباب قبله إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه (٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم بالبسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

- ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - وقال تعالى - قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة - فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فليتها بنار الإنذار والموعظة والحدار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريية منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها اللقرون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم

فصارت متتابعة الأقوال
إجابتهم نفسا ومتابعة
الأعمال إجابتهم قلبا
والتحقق بالأحوال
إجابتهم روحا فإجابة
الصوفية بالكل وإجابة
غيرهم البعض . قال
عمر رضى الله عنه :
رحم الله تعالى صبيبا
لو لم يخف الله لم يعصه
يعنى لو كتب له كتاب
الأمان من النار حمله
صرف المعرفة بعظيم
أمر الله على القيام
بواجب حق العبودية
أداء لما عرف من حق
العظمة فاجابة الصوفية
إلى الدعوة إجابة
الحب للمحبوب على
اللذات وذهاب العسر
وإجابة غيرهم على
المكابدة والمجاهدة
وهذه الإجابة يظهر
مع الساعات أثرها
في القيام بحقائق
الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى - فأما من
أعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسيسره
لليسرى - قال بعضهم
أعطى الدارين ولم ير
شيئا واتقى اللغو
والسيئات وصدق

« اقرءوا القرآن واتمسوا غرائبه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم في حديث على كرم الله وجهه « والذي
بمثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون
إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم
وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل
وهو جيل الله للدين ونوره للبين وشفاءؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلقه كثرة التردد ^(٢) » الحديث وفي حديث حذيفة
« لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يارسول الله فإذا
تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه
ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة ^(٣) »
وقال على كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به حمل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع
العلوم كلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا - يعنى الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - سمى
ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم
والعلم فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن للنقول من ظاهر
التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه
عنه ^(٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلىنى إذا
قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهى عن تفسير القرآن بالرأى
فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاختصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالههم والمراد
به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :
أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك
مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل
ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة
رضى الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل
مختلفة لا يمكن الجمع بينها ومما جمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
لرد الباقي فثبت على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف
التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فليل إن الرهى حروف من الرحمن وقيل إن
الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرءوا القرآن واتمسوا غرائبه ، ابن أبي شيبة في الصنف وأبو يعلى اللوصلى والبيهقى
في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث على والذي بعثنى بالحق
لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا
كان ذلك فعليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر
اقتراق الأمة بلفظ ألا إنها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه
نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة في الاختلاف
والفرقة بعده فقلت ما تأمرني إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن في الكبرى
وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث النهى عن تفسير القرآن بالرأى غريب .

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل (١) » فان كان التأويل مسموعا كالتزويل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما التمسك فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهو فيتأول القرآن على وفق رأيه وهو اهوى ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهو فيكون قد فسر برأيه أى برأيه هو الذى حملة على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة (٢) » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكذلك يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنه طغى - ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الفاسدة لتغيير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزولون القرآن وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغيير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزولون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى النفع من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ للبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالتقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتق به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأثر الكامن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يحجر بحجر تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا نوحا والناقة مبصرة فظلموا بها - معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فانظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تسكن عمية ولم يدبر أنهم عاذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم أو أنهم ظلموا قومه أو أنهم ظلموا قومه تعالى - وأشر بو فى قلوبهم العجل بكفرهم - أى حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا لأذقنا ذلك ضعف الحياة وضعف المات - أى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح

بالحسن أقام على طاب
الزلقى والآية قيل
نزلت فى أبى بكر
الصدىق رضى الله عنه
ويلوح فى الآية وجه
آخر أعطى بالمواظبة
على الأعمال واتقى
الوساوس والهواجس
وصدق بالحسن لازم
الباطن بتصفية موارد
الشهود عن مزاحمة
لوث الوجود فسنيسره
لليسرى نفتح عليه
باب السهولة فى العمل
والعيش والأنس
وأما من يخل بالأعمال
واستغنى امتلا بالأحوال
وكذب بالحسن لم يكن
فى المكوت بنفوذ
يصيرته بالجوال فسنيسره
لليسرى نسد عليه
باب اليسر فى الأعمال
قال بعضهم إذا أراد
الله بعبده سوءا سد
عليه باب العمل وفتح
عليه باب الكسل فلما
أجاب نفوس الصوفية
وقلوبهم وأرواحهم
الدعوة ظاهرا وباطنا
كان حظهم من العلم
أوفر ونصيبهم من المعرفة
أكل فكانت أعمالهم
أزكى وأفضل جاء رجل

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهم فى الدين وعلمه التأويل تقدم فى الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان فى السحور بركة تقدم فى الباب الثالث من العلم .

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما يجهد
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضعيف اليقين يعتوره
الشك قال معاذ
ليحبطن شكك عنه قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أحبط شك
الأول أعمل برّه
ليحبطن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ بيده وقال ما رأيت
الذي هو أفضله من هذا .
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا يستطاع العما
إلا باليقين ولا يعمل الر
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
العلم لأنه أدعى إلى
العمل وما كان أدعى
إلى العمل كان أدعى
إلى العبودية وما كان
أدعى إلى العبودية
كان أدعى إلى القيام
بحق الربوبية وكما
الحظ من اليقين والعلم
بالله للصوفية والعلماء

الافعة وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير والأهل
فيهما محذوف مضمرة وقوله عز وجل - ثقلت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات
والأرض والثقل إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى
- وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون - أي شكر رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -
أي على السنة رسلك لحذف الألسنة وقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارت بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره وقوله تعالى - والذين
اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - أي يقولون مانعبدهم وقوله عز وجل - قال
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يردهذا كان مناقضاً لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدريّة ومنها النقول المنقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء - سلام على آل ياسين - أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
للمكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال لا اله
إلا الله استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها التقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزماً وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزماً ولولا لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائذ إلى قوله السابق - قل
الأنفال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض
بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
- حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه - الآية . ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فككشياً والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة محارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فان اتبعني فلا تسألني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدىء بها العارف في أوان الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فرعبا يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء . وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا مالذي عتيد . ألقيا في جهنم
كل كفار - أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به
الشیطان . وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقوله تعالى نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الدين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بعد أمة -
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ^(١) » والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد .

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن في السكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء

والروح أيضا ورد في القرآن على مبان كثيرة فلا تطول بارادها وكذلك قد يقع الإيهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأثرن به ثم افوسطن به جمعا - فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي اللوريات أي أثرن بالحوافر فمعا . والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فأغاروا بحجمهم وقوله تعالى - فأنزله الماء - يعني السحاب - فأخرجنا به من كل الثمرات - يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر . ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبأن بقوله عز وجل - إنا أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا ينفي فيه إلا النقل والسمع فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلفظة الدرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحا لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العرية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسمع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه في موضع آخر مال برأيه إلى ماسمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منها عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماء الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم - فإذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال لحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا ينفي عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدّماته ولو لاحظته لانتفى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ومامن كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراستخين في العلم من أسرار به قدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطالب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لانهاية لما تقتنفد الأبهر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا ينفي عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) » أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استجابه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثني بقوله لأحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا بنت أبي بكر باسنادين جيدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إنني أصور مسألة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصنات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فأنعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفتن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى المداواة ولا يفكر في منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى الفعل تكبر فثبت القصر صار فضلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه بشيء دون

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى إياه عن ظاهره فهذا ما نوردته لفهم للعاني الباطنة لآمالنا قاص الظاهر والله أعلم . تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لأرب سواه .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رآفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني اذ كركم - ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطمع الطمع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله - فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفياؤه وسلم تسليما كثيرا . [أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر للتصود من ذلك بذكر أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة محدوفة الاسناد من الأدعية المأثورة . الباب الخامس : في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني اذ كركم - قال ثابت البناني رحمه الله إني أعلم مقيد بذكرني ربي عز وجل فزعوامنه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرت هذا ذكرني وقال تعالى - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وقال تعالى - فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام واذكروه كلها ذكرا - وقال عز وجل - فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - واذكروا ربك في نفسك تضرع وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تنك من الغافلين - وقال تعالى - ولذكر الله أكبر - قال ابن عباس رضي الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالقاتل بين الفارين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم أبو بصير في الحلية والبيهقي في الشعب من

المسلمين ولا يرى نفسه في مقام تمييز بينهما بمجلس فالصوفي العالم بخصوص تمييز ولو قدر له أن يتلى بمثل هذه الواقعة وينصرف من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويروى أن هذا داء وأنه إن استرسل فيه بالإصغاء إلى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال ذمها إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغ اشغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قد فقه فقه وربما أقبل على من قد فقه فقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنوب الوجودية وتداويا لدائه الحاصل . فبين بهذا الفرق بين الرجلين فإذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنامع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل (٣) » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أن تصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالعداء والعشى أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكركته في نفسي وإذا ذكرني في ماله ذكركته في ماله خير من ملئه وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلى هرولت إليه (٧) » يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله (٨) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (١٠) » .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي هـ حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي الدرداء وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند حسن (٣) حديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند بلنظ إذا مررتهم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء واليهي في الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث لذكر الله بالعداء والعشى أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً ورواه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر في التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكركته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من حديث أبي هريرة أيضاً (٩) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح إسناده من حديث أبي الدرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين خ في التاريخ والبرار في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي للناسب الدنيوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لاعلم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين لأورث اللال وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب .

[الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا مسلمة بن حاتم

الأنصاري قال حدثنا
شمس بن عبد الله
الأنصاري عن أبيه
عن علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب قال :
قال أنس بن مالك
رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « يا بني إن
قدرت أن تصبح وتسي
وليس في قلبك غش
لأحد فافعل ثم قال يا بني
وذلك من سنتي ومن
أحيا سنتي فقد أحياني
ومن أحياني كان معي
في الجنة » وهذا أثر
شرف وأكمل فضل
أخبر به الرسول صلى
الله عليه وسلم في حق
من أحيا سنته فالصوفيا
هم الذين أحياوا هذه
السنة وطهارة الصدور
من الغل والغش عماد
أمرهم وبذلك ظهر
جوهرهم وبان فضلهم
وإنما قدرنا على إحياء
هذه السنة ونهضوا
بواجب حقها زهدهم
في الدنيا وتركها للأربابها
وطلابها لأن مثار الغل
والغش محبة الدنيا
ومحبة الرفعة والمنزلة
عند الناس والصوفية

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة
وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيما عبد طلعت
على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكر الله عز وجل بين نفسه وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره
وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى « إن كل نفس تخرج من الدنيا
عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء
إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم
الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن
قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً
لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضاً ﷺ « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله
سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) »
وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهي إذا رأيته أجوز مجلساً إلى مجالس العاقين فأكسر
رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي
ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليتراءون يوت
أهل الأرض التي يذكروا فيها اسم الله تعالى كما تراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا
اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون
فقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل
السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى
المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم
قالوا رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقراءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله
عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال « إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا
وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضاً (١) حديث ما جلس قوم
مجلساً يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم رحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث
أبي هريرة (٢) حديث مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم
مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف
من حديث أنس (٣) حديث ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ فيه إلا كان عليهم
حسرة يوم القيامة وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي
ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج
ولده وكذلك لم أجده إلا إسناداً (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا
وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق
الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع .

فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوتى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوتى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيذا فيقول لهم من أى شئ يتعبدون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إني أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم (١) .

(فضيلة التهلل)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال ﷺ « مامن عبد توفى فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبي هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة بالإشهادة أن لا إله إلا الله فأنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أنى سعيد الحدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث مامن عبد توفى فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فأنها لا توضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعاً لو أن السموات السبع وعما رهن غيرى والأرضين السبع فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن فى البرم والآلة وحب وك وصحة .

زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأفوام كنست بأرواحهم للزابل فلما سقط عن قلوبهم عبدة الدنيا ربح الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب نفس والعل وجرت هذه الحكاية وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع على أن معنى كنست بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالزبلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم فى محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم

من القل والغش والحق
والحسد فكأنها
تكس بنور الروح
وهذا المعنى صحيح
وإن لم ير القائل بقوله
ذلك . قال الله تعالى
في وصف أهل الجنة
- وزعنا ما في صدورهم
من غلّ إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو حفص كيف يبقى
القل في قلوب اتلفت
بالله وانفقت على محبته
 واجتمعت على مودته
 وأنست بذكره إن
تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
وظلمات الطباع بل
كحات بنور التوفيق
فصارت إخوانا فالحق
حجابهم عن القبح
ياحياء سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قولوا فعلا وحال صفات
نفوسهم فاذا تبدلت
نعوت النفس ارتفع
الحجاب وصحت للتابعة
ووقعت الموافقة في كل
شيء مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجبت
الحبة من الله تعالى
عند ذلك قال الله تعالى
- قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحبكم

وقال صلى الله عليه وسلم « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك (١) » وقال
صلى الله عليه وسلم « يا أيها هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهديم الذنوب هدمًا قلت
يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم (٢) » وقال صلى
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة
كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذي أبى ويشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله (٤) » ، فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فانها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي عن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة (٥) » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله (٦) »

(١) حديث لو جاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .
وللترمذي في حديث أنس يقول الله يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك
بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلال
مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢) حديث يا أيها هريرة
لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهديم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المختصرين من حديث الحسن مرسل (٣) حديث
من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف (٤) حديث
لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى . زادك وصحبها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولا بن عدى
وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسل إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في السمائل من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولا بن عدى من
حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولا بن عدى والمستغري من حديث أنس
ثمن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبني له بيتا في الجنة » ويروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة ». مثلها فتجلس إلى جنبها (١) « وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فإن تضرعا وصلى قبات صلاته (٢) » .

(فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (٣) » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر (٤) » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال ققلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تضيئ الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى (٦) » قال رافعة الزرقى « كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمح الله لمن حمده

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه في المستدرک وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله الحديث رواه (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث للسجدة في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - ثم اتبعوه في أعمالهم من الجد والاجتهاد في العبادة والتجديد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأقوال والأفعال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرافة والشفقة واللدارة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسما من أحواله من الخشية والسكينة والهيبه والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من التمسك أمنا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا^(١) وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات هن لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»^(٣) رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الدين يذكرون من جلال الله وتسييحه وتكبيره وتحميده ينعتفون حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبين أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به»^(٤) وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس»^(٥) وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت»^(٦) رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شرط الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها أو مشتر نفسه فمعتقها»^(٧) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٨) وقال أبو ذر رضى الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٩) وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ .
(٢) حديث الباقيات الصالحات هن لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم واليلة وحبك وصححه من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسنه ون في اليوم واليلة مختصرا دون قوله وسبحان الله والحمد لله (٤) حديث النعمان بن بشير الدين يذكرون من جلال الله وتسييحه وتعجيدته وتهليله وتحميده ينعتف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرو بصاحبه الحديث ه وك وصححه على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول وللتسغرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنى القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شرط الإيمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان الحديث رواه م (٩) حديث أبي ذر أى الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون

والزهد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
التباعات وأحيوا سنته
بأقصى الغايات . قيل
لعبد الواحد بن زيد
من الصوفية عندك ؟
قال القائمون بعقولهم
على فهم السنة
والعاكفون عليها
بقلوبهم وللتعصمون
بسيدهم من شرفوسهم
هم الصوفية وهذا
وصف تام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى مولاه حتى
يقول لا تكفى إل
نفسى طرفة عيز
اكلاثنى كلاءة الوليد
ومن أشرف ما ظفربه
الصوفي من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الافتقار
ودوام الالتجاء ولا
يتحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار
إلا عبد كوشف باطنه
بصفاء العرفه وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القرب وخلصه بلذاته
السامرة فبقيت نفسه

أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (١) » فإذا قال العبد سبحانه الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانه الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (٢) » وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويعصمون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف ونهي عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة في فاهه فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر (٣) » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق فقال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك ووقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين (٤) » وروى بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فأنها مستنطقات (٥) » يعنى بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح (٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي (٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقبل كيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ومحط عنه ألف سيئة (٨) »

قوله سبحانه الله العظيم (١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله الحديث ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وت وقال حسن ون في اليوم والليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه (٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي الحديث رواه م (٤) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق الحديث رواه إلا أنه قال قال سفيان لأدري أيهن أربيع ولأحمد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف (٥) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فأنها مستنطقات د ت ك باسناد جيد (٦) حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح قلت إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن ت وحسنه وك (٧) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وه ك وصححه (٨) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله براها مأوى كل شروهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالمي وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب والاقلاب فالله تعالى بكلال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وواكها مات سوطا للعبد سؤقه لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم باحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من

التقوى بأوثق العرى
ومن الذي بهتدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوفي فدواه
افتقار إلى ربه تمسك
بجناب الحق وليأذبه
وفي هذا اليلاد استغراق
الروح واستتباع القلب
إلى محل الدعاء وفي
انجذاب القلب إلى محل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبوة
النفس عن مستقرها
من الأقسام العاجلة
وزولها إليها في مدارج
العلم محفوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس المدبرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
الغائلة من الغل والغش
والخفة والحسد وسائر
الذمومات فهذا حال
الصوفي. ويجمع جملة
حال الصوفية شيكان :
هما وصف الصوفية
وإلهما الإشارة بقوله
تعالى - الله يجتبي إليه
من يشاء ويهتدى
إليه من يثيب - فقوم
من الصوفية خصوا
بالاجتناب الصرف
وقوم منهم خصوا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أيا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفي رواية أخرى « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين يصبح رضى الله به وبالإسلام ديننا وبالقُرآن إمامنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) » وفي رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه . فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم الكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الأخبار ما يدل عليه أيضا (٤) وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو التقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ولذا ذكر أول وآخر فأوله يوجب الأُنس والحب وآخره يوجب الأُنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأُنس والحب فان المراد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فان من للشاهد في العبادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيجبه وقد يشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر التكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئا أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأُنس بالمذكور والحب له ثم يتمتع الصبر عنه آخر فيصير الموجب موجبا والثمر ثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأُنس والحب ولا يصدر الأُنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعيا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد كله ويوافظ عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تعود * أي ما كلفها أولا يصير لها طبعيا آخر ثم إذا حصل الأُنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أيا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم ن في اليوم والليلة وك من قال سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضى الله به وبالإسلام ديننا وبالقُرآن إمامنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن الحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان يعموه عافيه عما به أنسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فأحببته فأنك مفارقة (١) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك ينفى في حقه بالموت فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما تنفى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تنفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويرقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عندما يمنع الذكر بل عندما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم المكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢) » وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣) » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين « يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً (٤) » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأني يحيون وقد جفوا؟ فقال ﷺ : والذي نفسى بيده ما أتم أسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدر أن يحبوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « أراحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥) » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظم رتبة الشهادة لأن المطلوب الحاتمة ونعني بالحاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريد لها حياته وقدهون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فأحببته فأنك مفارقة تقسم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة المؤمنين طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالهداية بشرط مقدمة الإجابة فالاجتناب المحض غير معلى بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد بيبادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتاده وفي هذا أخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال للذاتة والعيش فيها مرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذاتة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرباب العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن

أبي الفضل إجازة
قال أنا أبو بكر أحمد
ابن علي بن خانب
إجازة قال أنا
عبد الرحمن السلمي
قال سمعت منصورا
يقول سمعت أبا موسى
الزقاق يقول سمعت
أبا سعيد الخزاز يقول
أهل الخالصه الذين هم
الرادون اجتنابهم مولا هم
وأكل لهم النعمة وهيا
لهم الكرامة فأسقط
عنهم حركات الطلب
فصارت حركاتهم في
العمل والخدمة على
الألفة والذكر والتنعم
بمناجاته والاتقراء
بقربه وبهذا الاسناد
إلى أبي عبد الرحمن
السلمي قال سمعت علي
ابن سعيد يقول سمعت
أحمد بن الحسن الحمصي
يقول سمعت فاطمة
المسروقة بحورية
تلميذة أبي سعيد تقول
سمعت الخزاز يقول
الراد محمول في حاله
معان على حركاته وسعيه
في الخدمة مكفي مصون
عن الشواهد والنواظر
وهذا الذي قاله الشيخ
أبو سعيد هو الذي

أمر الشهادة وورد فيه من النضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمر والأنصاري
يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالحسير
قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعدته بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدی
ما شئت أعطيك فقال يا رب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل
سبق القضاء متى بأنهم إليها لا يرجعون (١) » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يمتل
وبقي مدة رباعيات شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا
عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن أُرْمِ ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن
الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تمرته فإذا تمثّل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا
واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحنّ بعد الموت إليه
ويعنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلّة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على
مامات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن
يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي
عبر عنها بـ « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ومثل هذا الشخص هو
البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل
وكل مقصود معبود وكل معبود إلا فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواه
ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك
فضل رسول الله صلى عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا
في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله
مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل
لا إله إلا الله حالا ومقالاتا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين
للقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاءه فهذه مرامز
إلى معاني الله التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية الماثورة

وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي -
وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني
أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالحسير قال إن الله أحيا أباك وأقعدته بين يديه وليس
بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي الحديث وقال حسن وهك وصحح إسناده من حديث جابر
(٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبو موسى
قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل
ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث
تفضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار . وقال حسن ونز في اليوم واليلة وه من حديث جابر
(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله)

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضى الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

(آداب الدعاء وهى عشرة)

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء الحسنى يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثانى : أن يغتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضى الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا ترد دعوته (٨) » وبالْحَقِيقَةُ يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الإسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مخ العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن طهية (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه ح ك وقال صحيح الإسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ فى الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد د ن فى اليوم والليلة وت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه فى اليوم والليلة باسناد آخر جيد وح ك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

اشتبه حقيقة على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قات نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يعلموا أن الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم . بدايات الريدن فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا الحال فطرحوا نوافل لأعمال فاما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذى أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق الريدن وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدى إليه من ينيب - فطوبى لبوا بالاجتهاد أو لا قبل للكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا

فينا لهم دينهم سبانا -
يدرجهم الله تعالى في
مدارج الكسب بأنواع
الرياضات والمجاهدات
وسهر الدايجر وظما
المواجر وتأجيج فيهم
نيران الطلب وتحجب
دونهم لوامع الأرب
يتقبلون في رمضاء
الإرادة وينخلعون
عن كل مأوف وعادة
وهي الإنابة التي شرطها
الحق سبحانه وتعالى
لهم وجعل الهداية
مقرونة بها وهذه
الهداية آتقاها
خاصة لأنها هداية
غير المادية العامة
هي الهدى إلى أمره
ونهيته بتقضى المعرفة
الأولى وهذا حال
السالك المحب للرب
فكانت الإنابة غير
الهداية العامة فأثمرت
هداية خاصة وامتدوا
إليه بعد أن اهتدوا له
بالمكابيات فخلصوا
من مضيق اليسر إلى
فضاء اليسر وبرزوا
من وهج الاجتهاد إلى
روح الأحوال فسبق
اجتهادهم كشوفهم
والرادون سبق

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء (١) » وروى ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنني نهيته أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما
الركوع فمظموه وفيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه فمن أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث :
أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى يياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس (٣) » وقال
سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها
صفرا (٤) » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى يياض إبطيه في الدعاء ولا يشير
بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعه
السبائتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
أرفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن
عباس كان رسول الله ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما محابلي وجهه (٨) فهذه هيئتا اليد ولا يرفع بصره
إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن
أبصارهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قد منّا
مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبروا كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس
إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم (١٠) » وقالت
عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أثنى
الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال - إذ نادى ربه نداء خفيا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم
تضرعا وخفية - . الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء رواه م (٢) حديث
ابن عباس إنني نهيته أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م أيضا (٣) حديث جابر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون
قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو
ورجاله ثقات (٤) حديث سلمان إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها
صفرا د ت وحسنه و هك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى
يرى يياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن
مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعه السبائتين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن و هك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب
و ك في الاستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا
ضم كفيه وجعل بطونهما محابلي وجهه الطبراني في الكبير - بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام
عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن أبصارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء
في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب
متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره الصنف لأبي داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

والتكليف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « من نزل قوم يعتدون في الدعاء (١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين - » قيل معناه التكليف للاستعجال والأولى أن يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدى في دعائه فيسأل ما لا يتخذه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن السالم يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمزوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلمون من السالم وقد قال ﷺ « إياكم والسجعة في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل (٢) » وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والظهور ومروءة بعض السلف بقاص يدعو بسجعة فقال له أطل الله تبارك أشهد لقد رأيت حبياً السجعي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لاتفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية ورأه وكان يسرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن الراد بالسجعة هو التكليف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد (٣) » وأسأل ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليتعمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف والتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعاً وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه (٤) » . السابع : أن يحزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم

كشوفهم اجتهدهم
أخبرنا الشيخ النقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
ثنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجريري يقول سمعت
الجنيد رحمه الله عليه
يقول مأخذنا التصوف
عن القيل والقيل
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
للألوف والمستحسانات
قال محمد بن خفيف
الإرادة سمو القلب
لطب الراد وحقيقة
الإرادة استدامة الجد
ومترك الراحة وقال
أبو عثمان المريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فيريد
الله وحده ويريد
قربه ويشتاق إليه
حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

- (١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والظهور د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل
- (٢) حديث إياكم والسجعة في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجعة من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون إلا ذلك وه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكواهل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
- (٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القربين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثاً طويلاً من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ساء الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندها ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة
- (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء حب ك من حديث أبي هريرة .

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل ^(١) » وقال سفيان بن عيينة لا يضمن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شراطيقي إياي من الله إذ قال رب فأظنني إلى يوم يمشون قال فإنك من اللطيفين . الثامن : أن يأتى في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا ثلاثا وإذا سأله ثلاثا ^(٢) ويأبى أن لا يستجيب لي » الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما ^(٣) » وقال بعضهم إني أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يفييني وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الله الذي ينفعه تتم الصالحات ومن أبطلنا عن شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال ^(٤) » . التاسع : أن يفتح الدعاء إلا استفتحه بقول سبحان ربى الذى الأسمى قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول سبحان ربى الذى الأسمى الوهاب ^(٥) » وقال أبو سمان الدارنى رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألت الله عز وجل حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيفضى إحداها ويرد الأخرى ^(٦) » رواه أبو طالب المكي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه المهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الأحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى بنى إسرائيل يستسقى بهم فلم يستقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يستقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إني لا أستجيب لك ولأمتك وفيكم نعماء فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرج من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنهاكم عن النيمة وأكون نعماء فقال موسى لبنى إسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النيمة فتأبوا فأرسل تعالى عليهم الغيث . وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك من ملوك بنى إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبنى إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولئذ يهبط له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أقتل أوليائه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من

(١) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى ينفعه تتم الصالحات ومن أبطلنا عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف (٥) حديث سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد اليماني ضعفه الجمهور (٦) حديث إذا سألت الله حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فخطي إحداها ورد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنيها هو موقوف على أبي النرداء .

للمزابل وأكلوا الأطنال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومشيتهم إلى بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل ألسنتكم عن الدعاء فاني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا ففطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا صرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترفعون إلى أكفنا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم وإن تزدادوا مني إلا بعدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سايان عليه السلام يستسقي فربمثلة ملتاة على ظهرها رافمة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلقك من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يامعشر من حضر أستم مقررين بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول - ما على المحسنين من سبيل - وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لئلا نلنا اللهم فاعفولنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال إنكم تستبطشون للطر وأنا أستبطئ الحجارة وروى أن عيسى صوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فارجعوا كلهم ولم يبق معه في الفازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فأنزعتهما وأتبع المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فتجلت السماء سحابة ثم صبت فسقوا . وقال يحيى القماني أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاخاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نفقو عمن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نفقو عمن ظلمنا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في القفار فنظر إلى فقال يا عطاء أهدنا يوم النشور أو بعثر ما في القبور فقلت لا ولكننا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سجاوية فقلت بل بقلوب سجاوية فقال هيات يا عطاء قل للمتبرجين لا يتبرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهي وسيدى ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلاماسقينا ماء غدقا فرائنا نحي به العباد وتروى به السلاذ يامن هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة جبا فاقضى ليلهم وهم ساهرون

شغلهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعنا خيش قد أتر باحداها وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جانبي فسمعتة يقول إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليما إذا أناة يامن لا يعرف عباده منه إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر
يقول سمعت قسبا غلام
الزقاق يقول سمعت
أبا سعيد السكري يقول
سمعت أبا سعيد الخراز
يقول كل باطن يخالفه
ظاهر فهو باطل وكان
يقول الجنيد رحمه الله
علمنا هذا مشتبك
بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من أمر
السنة على نفسه قولا
وفعلا نطق بالحكمة
من أمر الهوى على
نفسه قولا وفعلا نطق
بالبدعة . حكى أن
أبا يزيد البسطامي
رحمه الله قال ذات يوم
لبعض أصحابه قم بنا
حتى ننظر إلى هذا
الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان
الرجل في ناحيته مقصودا
ومشهورا بالزهد
والعبادة فمضينا إليه
فلما خرج من بيته يقصد
للسجدرى بزاقة نحو
القبلة فقال أبو يزيد
أنصرفوا فأنصرف

الساعة حتى اكتمت السماء بالنعيم وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فجلت إلى الفضيل فقال مالي أراك كئيباً فقلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخرّ دغشياً عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه في القوم إليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تضع الكسير بدار مضيقه فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغيثك قبل أن يفتعلوا فيها كوا فانه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قالوا فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال صلى الله عليه وسلم إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ صلت عليه الملائكة ماضياً فليقل عند ذلك أولئك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكرهم عليّ صلاة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليّ (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي (٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة ن وحب من حديث أبي طلحة بأسناد جيد (٢) حديث من صلى عليّ صلت عليه الملائكة ماضياً فليقل عبد من ذلك أولئك ه من حديث عامر بن ربيعة بأسناد ضعيف والطبراني في الأوسط بأسناد حسن (٣) حديث إن أولى الناس بي أكرهم عليّ صلاة ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٤) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليّ قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ن وحب من حديث أخيه الحسن: البخل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ ورواه ت من رواية الحسين بن عليّ عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة دن ه حب ك وقال صحيح علي شرط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في الملل وحكي عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى عليّ من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصاً من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله في السير ولا بن جبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصاً من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضاً رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال النداء

ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بأمر من علي أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموماً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين وسئل خادم الشبلي رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إليّ أن وضئني للصلاة فوضأته فنفست تخيل لحيته فقبض عليّ يدي وأدخل أصابعي في لحيته ليحلاها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالاً على غير هذا الوجه قد مدع مفتون كذاب .

[الباب الخامس في

ماهية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » (٢) وقال ﷺ « ليس أحد يسلم على إلا رد الله عليّ روحه حتى أرد عليه السلام » (٣) و « قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس أخذت منبرا لتسمعهم فحنّ الجذع اقراك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمّتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بشك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة السمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع لانا كلفني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعانا نوح على قومه فقال رب لا تذرني على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا ولولم تنكح

وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي العمري في اليوم والليلة من حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ثم سلوا الله لي الوسيلة وفيه فمن سأل الوسيلة حلت عليه الشفاعة (١) حديث ذن صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام تقدم في آخر الحج (٣) حديث ليس أحد يسلم على إلا رد الله عليّ روحه حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال ثنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال ثنا عثمان ابن سعد قال ثنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » فالفقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال روم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقيق بالبذل والإيتار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

إلا كفوا لك ما تكلمت إلينا ولم تؤاكل إلا كفوا لك ماؤا كالتا فلا بد والله بالسقا ونسكت إلينا
رواكتنا وليست الصوف، وركبت الحمار وأردفت خاتك ووضعت طابك على الأرض ولعقت أصابعك
تواضعا منك صلى الله عليك وسلم (١). وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأدلى على النبي صلى الله عليه
وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أسأتم الصلاة على في كتابك، فما
كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه بروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقلت يا رسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة ودلى الله على محمد
كلما ذكره الناس كرون وغفل عن ذكره العاقلون فقال صلى الله عليه وسلم جوزي عنى أنه لا يوقف للحصاب .
(فضيلة الاستغفار)

قال الله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - وقال
عقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنبت عبد ذنبا
فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - الآية
وقوله عز وجل - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - وقال عز وجل
- فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - وقال تعالى - والمستغفرين بالأسحار - وكان صلى الله
عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » (٢) وقال
صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حنين الجنح ونسج الماء من بين أصابعه
والاسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة السمومة
وأنه دعى وجهه وكسرت ربايته فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب
الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولتقى أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف
من أوجه أخرى حديث حنين الجنح متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبيع الماء من بين
أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة
الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة السمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دعى
وجهه وكسرت ربايته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه
وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد
وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض
رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا والبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على خوان قط وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك
(٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك
أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه
والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله
إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن
كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب دن في اليوم واليلة وهك وقال صحيح الإسناد من حديث
ابن عباس وضعفه ابن حبان .

معروف الكرجي
التصوف الأخمد
بالحقائق واليأس
في أيدي الخلائق فمن
لم يتحقق بالفقر لم
يتحقق بالتصوف .

وسئل الشلي : عن
حقيقة الفقر فقال
أن لا يستغنى بشئ
دون الحق . وقال
أبو الحسين النوى
نعت الفقير السكون
عند العدم والبذل
والإثارة عند الوجود .

وقال بعضهم إن الفقير
الصادق ليحترز من
الغنى حذر أن يدخل
عليه الغنى فيفسد
فقره كأن الغنى يحترز
من الفقير حذر أن
يدخل عليه الفقر
فيفسد عليه غناه .
وبالاسناد الذي سبق
إلى أبي عبد الرحمن
قال سمعت أبا
عبد الرحمن الرازي
يقول سمعت مظهرا
القميبيني يقول
الفقير الذي لا يكون
له إلى الله حاجة قال

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه إيمان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأرى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى فقلت « يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لسانى النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فاني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطيئتي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت القدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير (٧) » وقال علي رضي الله عنه كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفى الله عز وجل بما شاء أن ينفعني منه وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة فإذا حلف صدقته قال وحديثي أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) الآية . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة خ من حديث أبي هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو في الدعاء للطبراني كما ذكره المصنف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبي سعيد وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافي . قلت الوصافي وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ في التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود وك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن في اليوم والليله وه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أو توبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وللطبراني في الدعاء فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبي بكر ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

ومعته يقول سألت أبا بكر الصري عن الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك (قوله لا يكون له إلى الله حاجة) معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلاءته به لا يحوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة ، و: نوال المشايخ تنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات وتحتاج في تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر وتذكر أشياء في معنى الفقر ذكر مثلها في معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل فقد تشبهه الاشارات في الفقر بمعاني الزهد تارة وبمعاني التصوف

ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تغلف قلبه (١) فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - « وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب أنى لى عنه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢) » وروى عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعاني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنباً فقال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالنسب ويغفر الذنب، عبدى عمل ماشئت فقد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وقال ﷺ « إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لى رباً يارب فاغفر لى فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفرله وإن لم يستغفر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى (٨) » وقال ﷺ « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت ككذب النمل (٩) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسى بذنبي فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبي فاغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعاً إلا أنت (١٠) » الآثار : قال خالدين معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبادى إلى المتحابون بحبى والتعلقة قلوبهم بالمساجيد والمستغفرون بالأسحار وأولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نسكته سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث وصححه ون في اليوم والليلة وه حب ك (٢) حديث أبي هريرة إن الله ليرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يا رب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد بإسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعاني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا ه وفيه على ابن زيد بن جعدان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد فقال اللهم اغفر لى يقول الله أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالنسب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة د ت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى (٦) حديث إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لى رباً يارب اغفر لى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل (٧) حديث من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى ت ه من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت ككذب النمل البيهقى في الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الدر ذنوباً غفرها الله لك فذكره بزيادة لإله إلا أنت في أوله وفيه ابن لميعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبى ما قدمت منها وأخرت ودون قوله جميعاً .

تارة ولا يتبين المسترشد بعضها من البعض .
فقول التصوف غير الفقر والزهد غير الزهد والتصوف غير جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيداً وصف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً وإن كان زاهداً وفقيراً . قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول . وقال أيضاً حسن آداب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو خشع قلبه لحشمت جوارحه » . أخبرنا الشيخ يرضى الدين أحمد بن إسماعيل بإجازة

أهل الأرض بسقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دوائكم ودوائكم أما دأؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار . وقال علي كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما عني قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقاني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الريس بن خيثم رحمه الله لا يقول أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقول اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمه الله استغفارتنا محتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للأثم وإن تركي استغفارك مع على بسعة عفوك لعجز فكم تتعجب إلي بالنعم مع غناك عني وكم أتبغض إليك بالمصاحبي مع فقرى إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخاطبه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستغفرت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حلیم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الحضر عليه الصلاة والسلام .

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب

أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبقلب كل صلاة)

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته مسيا وهو في بيت خالتي ميمونة ققام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجتمع بها شملي وتلم بها شعبي وترد بها الفتن عني وتصلح بهاديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبين بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا وقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهادة وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حياقي وقصر عملي وافقرت إلى رحمتك فأسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تحير بين البحور أن تحيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيقي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرفع إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلا لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإن الله وإنا إليهما راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرنين الشهود والركع السجود الوفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه الذي

(الباب الثالث في أدعية مأثورة)

قال أنا الشيخ أبو المظفر عبد النعم قال أخبرني والدي أبو القاسم القشيري قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سئل أبو محمد الجبري عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني فاذا عرف هذا المعنى في التصوف من حصول الأخلاق تبديلها واعتبر بقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله وهذا وصف الصوفية والله تعالى معهم فقراء وسواضع معنى يفتقر الحال به بين التصوف والفقر قول الفقير في فقره

لبس العز وقال به سبحانه الذي تسلف بالمجد وتكرم به سبحانه الذي لا ينبغي التسبيح إنك سبحانه ذي الفضل والنعم سبحانه ذي العزة والكرام سبحانه الذي أحصى كل شيء بعينه اللهم اجعل لي نورا في قلمي ونورا في قلمي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في شمري ونورا في لحي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقني ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما أسألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقول : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكنني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وبثورة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحي أوحيت له أو قضيت له أو أسأله أو غنى أقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطاهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور للبين وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعمرك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملتي وتلم بها شعبي الحديث وقال غريب ولم يذكر في أوله بعث العباس لابنه عبدالله ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . وك وصححه من حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكنني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله في اليوم واليلة وك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

متمسك به متحقق
بفضله يؤثره على
الغنى متطلع إلى
ما تحق من العوض
عند الله حيث يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل قراء
أمتي الجنة قبل الأغنياء
ب نصف يوم وهو خمسمائة
عام » فكلما لاحظ
العوض الباقي أمسك
عن الحاصل الفاني
وعانق الفقر والقلة
وخشى زوال الفقر
انفوات الفضيلة والعوض
وهذا عين الاعتلال في
طريق الصوفية لأنه
تطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها والصوفي
يترك الأشياء
للاأعواض الموعودة
بل للأحوال الموجودة
فانه ابن وقته وأيضاً
ترك الفقير الحظ
العاجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والإرادة علة في حال
الصوفي لأن الصوفي
صار قائماً في الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه)

روى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهنَّ إياه ثم لم ينسهنَّ إياه أبداً قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي وخذني إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاى اللهم إني ضعيف فقوِّنى وإني ذليل فأعزِّنى وإني فقير فأغننى يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارث)

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبرسنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لديناك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانك إذا قلتين أمنت من الهم والجذام والبرص والفالج وأما آخرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشأ على من رحمتك وأنزل على من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضى الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضى الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثاً وهو يقول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما ندرى أى قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتين وهى اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً اللهم إني أعوذ بك من شرفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خالق جديد فاقتحه على بطاعتك واختمه لى بمفرك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها الى وما علمت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملاك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيرى وأصبحت مرتبها بعلى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديق ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا برحمى يا حى يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثرة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر .

(١) حديث بريدة الأسلمى أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهنَّ إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سننى وعجزت الحديث ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى المسند مختصراً من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء ضعيف

بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة فقر ولا فى صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى فى الدخول فى الشيء وقد يدخل فى صورة سعة مبانة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح السعة والدخول فيها صادق إلا بعد إحكامهم علم الاذن وفى هذا منزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكم الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتسوف وعلم أن الفقر أساس التسوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

(دعاء الحذر عليه السلام)

يقال إن الحذر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات : باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى .

(دعاء معروف السرخي رضي الله عنه)

قال محمد بن حسان قال لي معروف السرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعاء الله عز وجل بهنّ وجد الله تعالى عندهنّ قلت أكتبها لي قال لا ولكن أرددها عليك كما رددتها عليّ بكر بن خنيس رحمه الله : حسبي الله لديني حسبي الله لدياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغي عليّ حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات - فان تولوا قتل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - كفاه الله عز وجل مأهمه من أمر آخرته صادقاً كان أو كاذباً .

(دعاء عتبة الغلام)

وقدر رؤى في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات : اللهم ياهادي الضالين وياراحم المذنبين ويامقيل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار للرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعاً وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فضلى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلا نيتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم إني أسألك إيماناً يابسر قلبى ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه ان يصيبني إلا ما كتبتة على والرضا بما قسمته لى إذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذى دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وأجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راعمة وإن كان لا يريد ها .

(دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم ويقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم إني أنا الله لا إله إلا أنا العلى العظيم إني أنا الله لا إله إلا أنا المألم ولم أولد إني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شىء وإلى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة للملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعالى المتقدرا التهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخلق (١)» وذكر قبل كل كلمة إني أنا الله لا إله إلا أنا كما وردناه

(١) حديث على إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم فيقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم الحديث بطوله لم أجده أصلاً .

إلى رتب التصوف طريقه الفقير لا على معنى أنه يازم من وجود التصوف وجود الفقر . قال الجنيد رحمه الله عليه : التصوف هو أن يمتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذى ذكرناه من كونه قائماً فى الأشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مکنونان فى الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ عليهما والصوفى متمم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن إلى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه . قال ذو النون المصري رحمه الله عليه الصوفى من لا يتعبه طلب ولا يزغجه سلب وقال أيضاً الصوفية آثروا الله تعالى على كل شىء فآثروا الله على كل شىء فكان من إشارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم

في الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المحبتين الذين يجاوزون حمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبیین صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .
(دعاء المعتزم وهو وسليمان التيمي وتسيحاته رضى الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسيحات ابن المعتزم من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل صمواته ومل أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما هم ذا كروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبدا الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره .

(دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه)

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرحبا بيوم الزيد والصبح الجديد والكتاب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد الحميد الرفيع الودود القعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبمحجته معترفا ومن ذنب مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله فقيرا وعلى الله متكللا وإلى الله منيا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحمله عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفرلى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيدك وأنا لك وإليك أستغفر لك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا روبا سائغا هنيا لانظما بعده أبدا واحشينا في زمرة غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنا من فتن الدنيا ووقفنا لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تظلمنى وإن كنت ظالما سبحانك يا على يا عظيم يا بارى يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحته له السموات بأكنافها وسبحان من سبحته له البحار بأمواجها وسبحان من سبحته له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحته له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحته له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحته له الأشجار بأصولها وتثمارها وسبحان من سبحته له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شئ من مخلوقاته تباركت وتعالى سبحانك ،

وإرادة الله على إرادة نفوسهم . قيل لبعضهم من أحب من الطوائف قال الصوفية فان للقيس عندهم وجهان المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعاءهم ووقوفهم على حد علمهم . وقال بعضهم الصوفى من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لا يعيزان كل التميز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الأخلاق أيضا ما هو أدعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا كما كان في ذلك بهما والصوفى هو المستبين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحي وتحيي وتنتحي وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة

الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوزاده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المرادين لحث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحانه ربّي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي (٥) اللهم لا تؤمني مكره ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدي علي أو أكتب خطيئة أو ذنبا لا تغفره (٩)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا والحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه دت وصححه وحب وك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي دنه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمني مكره ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات دن في اليوم والليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوى (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث

عند الله بصدق التجائه وحسن إنابته وحظ قربه ولطف ولوجه وخروجه إلى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد وقال عمرو بن عثمان للكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفات الكبر وامتلاء من الفكر واقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والدرر وسئل بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأبستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب السالكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون (٤) اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضره وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهمون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تدلل به جوارحنا لحمدتك . واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه قلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة (٨)

إلى قوله أودنبا لا يغفر أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (١) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٢) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث ن في اليوم والليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الإسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع (٤) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فعل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحة (٥) حديث اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (٦) حديث اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتم مجلسه بذلك (٧) حديث اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك ممن سواك لم أقف له على أصل (٨) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه قلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وإسناده ضعيف .

فقال تصفية القلب
عن موافقة البرية
ومفارقة الأخلاق
الطبيعية وإخماد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة واتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذوالنون المصري
رأيت بعض سواحل
الشام امرأة قتلت من
أبن أبلت قالت من
عند أقوام تتجافى
جنوبهم عن المضاجع
قتلت وأبن تريد
قالت إلى رجال لا تلهمهم
تجارة ولا يسع عن
ذكر الله قتل صفهم
لي فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فما لهم هم تسمو إلى
أحد
فطلب القوم مولاهم
وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد
الحمد

ما إن تنازعهم دنيا
ولا شرف
من المطاعم واللذات
والولد
ولا لبس ثياب فائق
أنقى
ولا لروح سرور حل
في بلد
إلا مسارعة في إثر
منزلة
قد قارب الخطو فيها
باغد الأبد
فهم رهائن غدران
وأودية
وفي الشوامخ تلقاهم
مع العدد .
وقال الجنيد : الصوفي
كالأرض يطرح عليها
كل قبيح ولا يخرج
منها إلا كل مبيع
وقال أيضا هو كالأرض
يطؤها البر والفاجر
وكالسحاب يظل كل
شيء وكالقطر يسقي كل
شيء وأقوال للشايع
في ماهية التصوف
تزيد على ألف قول
ويطول ثقلها وتذكر
ضابطا يجمع جمل
معانيها فان الألفاظ

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لهزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وغدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لحاجاتك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفاتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحملك على إعف عنك إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بى أرفق بى إنك أنت أرحم الراحمين وبعلمك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانهك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمنى رشدى وقتى شر نفسى (٨) اللهم ارزقنى حاللا لاتعاقبنى عليه وقتعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى (٩) أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة (١٠) يا من لاتضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لهزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذى سكن كل شيء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم فى الباب الثانى (٣) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا وخ من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وحب قطك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذى وعدته وهو عندى بلفظ وابنه مقاما محمودا قال قط إسناد حسن وقال ك صحيح وقال هق فى المعرفة اسناده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك الفلاحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقفله على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لأعلم روى عنه إلاموسى بن عتبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحملك على إعف عنك الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانهك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت هق فى الدعوات من حديث على دون قوله ذنبى إنك أنت ربى وقد تقدم فى الباب الثانى (٨) حديث اللهم ألهمنى رشدى وقتى شر نفسى ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لخصين وقال حسن غريب ورواه فى اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقنى حاللا لاتعاقبنى فيه وأقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وأخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إنى أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة ن

الغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إنا نسمعنا مناديا ينادي للإيمان إلى قوله عز وجل إنك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إنا نرجو رحمتك ربنا اغفر لنا ولوالدينا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (١) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٢) . أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٣) اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطعم ومن طمع حيث لا مطعم (٤)

من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله العافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من العافاة وفي رواية للبيهقي سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه مأتو العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي علي من برّ أبي شيء قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ردّ الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليت في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه ولاطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى في بطن السبيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر من حديث سعد بن أبي وقاص (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع وطمع في غير مطعم ومن طمع حيث لا مطعم أحمدك من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد .

وان اختلفت مقاربة للعاني . فتقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكداد بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على كل هذه التصفية دوام اقتفاره إلى مولاه فبدوام الافتقار ينشئ من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها يصيرته المناقذة وفرونها إلى ربه فبدوام تصفيته جمعته وبمحركة نفسه تفرقة وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى - كونوا قوامين لله شهداء بالقسط - وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى

الحضرة الإلهية يعني
أن روح الصوفي
متطلعة منجذبة إلى
مواطن القرب والانس
بوضعها رسوب إلى
عالمها واقلاب على
عقبها ولا بد للصوفي
من دوام الحركة بدوام
الافتقار ودوام الفرار
وحسن التفقد لمواقع
إصابات النفس ومن
وقف على هذا المعنى
يحد في معنى الصوفي
جميع التفرق في
الإشارات [الباب
السادس في ذكر
تسميته بهذا الاسم]
أخبرنا الشيخ
أبو ذرعة طاهر بن
محمد بن طاهر قال
أخبرني والدي قال أنا
أبو علي الشافعي بمكة
حرسها الله تعالى قال
أنا أحمد بن إبراهيم
قال أنا أبو جعفر محمد
ابن إبراهيم قال أنا
أبو عبد الله الخزوعي
قال ثنا سفيان عن
مسلم عن أنس بن
مالك قال كان رسول

الله إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من
الجوع فانه يشس الضجيع ومن الحيانة فانه يثبست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن
أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات اللهم إنا نسألك
قلوبا وأهمة محبته منية في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل
إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك
من الغم والفرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطلب
الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ماعلت ومن شر ما لم أعلم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق
والأعمال والأدواء والآهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة
الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من
فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر معي وبصري وشر لسانى وقبلى وشر مني (٧). اللهم إني أعوذ
بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة
والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق
والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسمي الأسقام (٩)

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة
من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفرقا في أحاديث
جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم الحديث إلى قوله
وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا دن ك وصحح إسناده من حديث أنى اليسر واسمه كعب
ابن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة
من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ماعلت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في
غير نسخة علمت وإنما هو عملت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك في
الشمال في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني
منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة
ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء
متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر
وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث
أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية
للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ
من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة في حديث قاله فيه ومن
شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر معي وشر بصرى وشر لسانى
وقبلى وشر مني دن ت وحسنه ك وصحح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم
إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول ن ك من حديث أبى هريرة
وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة
وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم
والبكم والجنون والجذام والبرص وسمي الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وك بتمامه من
حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن خفاة نعمتك ومن جميع سخطك (١).
اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشرقة الغنى وشرقة الفقر
وشرقة المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم (٢). اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب
لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر (٣). اللهم إني أعوذ بك
من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء (٤) وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مطيع من كل العالمين آمين .
(الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)

إذا أصبحت وصمت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الحلاء
والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة فإذا خرجت إلى المسجد قل : اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل خلفي نورا وأمامي نورا واجعل من فوق نورا
اللهم أعطني (٥) نورا وقل أيضا اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك (٦)
فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن
تتقذن من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة قل
باسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي (٧) بسم الله الرحمن الرحيم لاحول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم باسم الله التكلان على الله (٨) فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله
قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي واقف لي أبواب رحمتك (٩)

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وخفاة نعمتك ومن جميع سخطك
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة
القبر وشرقة الغنى وشرقة الفقر وشرقة المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم وللغرم متفق عليه
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم
إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك
أبو العتمر في سماعه من أنس والنسائي بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك ومن
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .
(الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث)

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق
عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا
إليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من
المنزل لحاجة باسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي أصحاب السنن من حديث
أم سلمة قالت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة إلا بالله التكلان
على الله ه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال باسم الله
فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي واقف لي أبواب رحمتك ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت حسن وليس إسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل
أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم صلى الله عليه وسلم
بحسب دعوة العبد
يركب الجمار ويلبس
ثيوب فمن هذا
الوجه ذهب قوم إلى
أنهم معاصوفية نسبة
لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم
اختاروا لبس الصوف
لكونه أرقف ولكونه
كان لباس الأنبياء
عليهم السلام . روى
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« مر بالصخرة من
الروحاء سبعون نبيا
حفاة عليهم العباء
يؤمنون البيت الحرام »
وقيل إن عيسى عليه
السلام كان يلبس
الصوف والبشر
ويأكل من الشجر
ويبيت حيث أمسى .
وقال الحسن البصري
رضي الله عنه لقد
أدركت سبعين بدريا
كان لباسهم الصوف
ووصفهم أبو هريرة
وفضالة بن عبيد قالوا
كانوا يخرون من
الجوع حتى تحسبهم

الأعراب مجانين وكان
لباسهم الصوف حتى
إن بعضهم كان يعرق
في ثوبه فيوجد منه
رائحة الضأن إذا
أصابه القيح وقال
بعضهم إنه ليؤذي
ريح هؤلاء أما يؤذي
ريحهم يخاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فكان اختيارهم
لللبس الصوف لتركهم
زينة الدنيا وقناعهم
بسد الجوعة وسر
العورة واستغراقهم في
أمر الآخرة فلم يفرغوا
لماذا النفوس وراحتها
لشدة شغلهم بخدمة
مولاهم وانصراف
همهم إلى أمر الآخرة
وهذا الاختيار بلائهم
ويناسب من حيث
الاشتقاق لأنه يقال
تصوف إذا لبس
الصوف كما يقال تغمص
إذا لبس القميص
ولما كان حالهم بين
سر وطير لتقلبهم في
الأحوال وارتقائهم من
حال إلى أعلى منه

وقدم رجل إلى النبي في الدخول فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لأربع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل لاردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فإذا صليت ركعتي الصبح فقل باسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فإذا ركعت فقل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسألت وعليك توكلت أنت ربني خضع معي وبصري وعظمي وعصبي وما استعظمت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت فقل سبحان ربّي العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب الملائكة والروح (٦) فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسألت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق معي وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربّي الأعلى ثلاث مرات (٩) فإذا فرغت من الصلاة فقل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (١١) فإذا دخلت السوق فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع في المسجد لأربع الله تجارتك وقال حسن غريب ون في اليوم والليلة من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لاردها الله عليكم من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسألت الحديث م من حديث علي (٥) حديث القول فيه سبحان ربّي العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول فيه سبح قدوس رب الملائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده ففي في اليوم والليلة للحسن بن علي العمري وهي عند م من حديث ابن أبي أوفى وعند خ من حديث أبي هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث علي اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربّي الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

فاجرة أو صفة خاسرة (١) فإن كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسو تني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماضعه وأعوذ بك من شره وشر ماضعه (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال فقل اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر (٧) وتكبر قبله أولا ثلاثا وإذا هبت الريح فقل اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨) وإذا بلغت وفاة أحد فقل إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفة خاسرة لك من حديث بريدة وقال أقرها لسرايط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله خصص بن سليمان الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ت وقال حسن غريب و ك وقال صحيح الإسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا لبست ثوبا جديدا اللهم كسو تني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماضعه وأعوذ بك من شره وشر ماضعه له د ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم والليلة وهق في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم والليلة لابن السني عن عقبة بن عامر فجعله مسندا (٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير والبيهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد أمنت بخالقك د مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد أمنت بالذي خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لأهم

(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح و ن في اليوم والليلة من حديث أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إن الله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

تقديم وصف ولا يحبسهم نعت وأبواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق وجمع العلوم فلما تعذر تقديم بحال تقديم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبلغ في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم أيضا لأن حالهم حال لقرين كما سبق ذكره ولما كان الاعتناء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والإشارة إليه وقعت الإشارة إلى زهم سترها لحالهم وغيره على عزيز مقامهم أن تكسر الإشارة إليه وتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل

الأدعية للأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

٣٢٩

عماد أمر الصوفية وفيه
معنى آخر وهو أن
نسبهم إلى اللبسة تنبي
عن تقلبهم من الدنيا
وزهدهم فيما تدعو
النفس إليه بالهوى من
الملبوس الناعم حتى إن
اللبتدي* للمريد الذي
يؤثر طريقهم ويجب
الدخول في أمرهم بوطن
نفسه على التقشف
والتقليل ويعلم أن
المأكول أيضا من
جنس الملبوس فيدخل
في طريقهم على بصيرة
وهذا أمر مفهوم
معلوم عند المبتدئ*
والإشارة إلى شيء من
حالمهم في تسميتهم بذلك
أبعد من فهم أرباب
البدائيات فكان
تسميتهم بهذا أنفع
وأولى وأيضا غير هذا
المعنى مما يقال إنهم
سموا صوفيه لذلك
يتضمن دعوى وإذا
قل سموا صوفية
للبسهم الصوف كان
أبعد من الدعوى وكل
ما كان أبعد من

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الحشران - عسى
ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك
رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى
السما - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء بروجا
وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد فقل سبحانه من يسهح الرعد بحمده
والملائكة من خفيته (١) فان رأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا (٣) اللهم اجعله صيب
رحمة ولا تجعله صيب عذاب (٤) فإذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من
الشیطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما فقل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦)
فإذا غزت فقل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى
الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي
بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان المغرب
فقل اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠)
وإذا أصابك هم فقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في
قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت
به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهي (١١)

وأخلفه في عقبه في الغابرين وأغفر لنا وله يارب العالمين وانسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث
القول إذا سمع صوت الرعد سبحانه من يسهح الرعد بحمده والملائكة من خفيته مالك في الموطأ عن
عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك
وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال غريب ون في اليوم واللييلة من حديث ابن عمر وابن
السني بإسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا خ من حديث عائشة
كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وه سيبا بالسین أوله ون في اليوم واللييلة اللهم اجعله
صيبا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب ن في اليوم
واللييلة من حديث سعيد بن المسيب مرسل (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ
قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واللييلة من حديث عائشة بسند ضعيف
(٦) حديث القول إذا خاف قوما اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم دن في
اليوم واللييلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري
بك أقاتل دن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم
صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واللييلة من حديث
أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات
تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات
دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي دن وقال غريب وك من حديث أم سلمة دون قوله
وحضور صلواتك فإنها عند الحرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي المعمرى في اليوم واللييلة
(١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث
أحمد وحب لك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م إن سلم من إرسال عبد الرحمن

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابة على الأرض ثم رفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يديك على الذي يتألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٢) » فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله العليّ الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فإن أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على عينيكَ مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضائك من سخطك وبمغفرتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيأ وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكها فائق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربّي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي (٩) اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك

عن أبيه فإنه يختلف في سماعه من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي يألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العليّ الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعاً وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضائك من سخطك وبمغفرتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم والليلة من حديث عليّ وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيأ وأموت خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكها فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغننا من الفقر من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفأها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربّي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربّي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفرها وقال خ فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك ت في الشمايل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق
بجأله وأيضاً لأن لبس
الصوف حكم ظاهر على
الظاهر من أمرهم
ونسبتهم إلى أمر آخر
من حال أو مقام أمر
باطن والحكم بالظاهر
أوفق وأولى فالقول
بأنهم سموا صوفية
للبسهم الصوف أليق
وأقرب إلى التواضع
ويقرب أن يقال لما
آثروا البول والخمول
والتواضع والانكسار
والتخفي والتوازي كانوا
كالخرقة الملقاة والصوفة
الرمية التي لا يرغب
فيها ولا يلتفت إليها
فيقال صوفي نسبة إلى
الصوفة كما يقال كوفي
نسبة إلى الكوفة وهذا
ما ذكره بعض أهل
العلم والمعنى المقصود به
قريب يلائم الاشتقاق
ولم يزل لبس الصوف
اختيار الصالحين
والزهاد والمتقشفين
والعباد : أخبرنا
أبو زرعة طاهر عن

وأجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا مالجأ ولا منجأ منك إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليتل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك تقربني إليك زاني وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نتجرع فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم فإنك قلت - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى - (٧) اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكونا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني في أحب الأعمال إليك تقربني إليك زاني وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فنذكرنا ونسألك فتعطينا ندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كإرواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (٤) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحوال والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيها الله وإسناده ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبيزى عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحب وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور ولابن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نتجرع فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم الحديث لم أجده وله ت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو نجبره إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكونا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكونا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وقوني على الجهاد في سبيلك ، وللهارقطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أبيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال ثنا أبو علي
إسماعيل بن محمد قال ثنا
الحسن بن عرفة قال ثنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحرث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكهمل من
صوف ونعلاء من جلد
حمار غير مذكي . وقيل
سموا صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارشاع
همهم وإقبالهم على
الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل صفوى
فاستعمل ذلك وجعل
صوفيا وقيل سموا
صوفية نسبة إلى الصفا

باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيته إن ربى على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة قال الحمد لله الذى منى خلقى فعده وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين (٤) وإذا اشتريت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بباصيته وقل اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح قل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قل للمقضى له بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما جزاء السلف الحمد والأداء (٧) »

هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبى مالك الأشعرى اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدهد وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن على المعمر فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم إنى أسألك خيراً فى هذا اليوم وخيراً ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م فى النساء خير ما فى هذه الليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً (١) حديث باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبى ﷺ قال يلتقى الحضر واللباس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم يعنى فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي آمنه الله من العرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أوردته فى ترجمة الحسين بن رزين قال ليس بالمعروف وهو بهذا الإسناد منكراً (٢) حديث رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً تقدم فى الباب الأول (٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيته إن ربى على صراط مستقيم أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذراً أعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لميعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أنى هريرة فى الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبرانى فى الدعاء من حديث أنى الدرداء اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم فى الباب الثانى (٤) حديث القول إذا نظر فى المرأة الحمد لله الذى منى خلقى فعده وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين الطبرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشتري خادماً أو دابة اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير د ت ه من حديث أنى هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك فى أهلك ومالك

التي كانت لقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم - للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض - الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاء كل حالهم حال ولكل لكونهم مجتمعين متأملين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً فى الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى صرع ولا إلى تجارة كانوا يحتطبون ورضخون النوى بالتهار وبالليل يشتغلون

فهذه أدعية لا يستغنى الريد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قات فمافائدة الدعاء والقضاء لامرء له . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالمجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلج البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل السببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدره لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة ^(١) » والغالب على الخلق أنه لا تصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملة فان الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تنحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويعنح من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور فان الانسان ليطنى أن رآه استغنى فهذا مأردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتى في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكمالها ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا تقورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وغشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لالاستقروا في مناكبها ليتخذوها منزلا فيترودوا منها زاداً يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدھا ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم الھد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسئوه مراحمه وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض منى النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قال فذكره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل)

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى - ولا تظروا الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجههم وقوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - و نزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى - عبس وتولى أن جاءه الأعمى - وكان من أهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صاحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضى الله

وأياه آمياله وأنفاسه خطراته وطائفة بضاعته وأوقاته : دوس أمواله وشهواته وأغراضه قطائع طريقته ورجحه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنسكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفسه من أنفاسه حتى ينفضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلبي متعرض في يوم التمانين لقبينة وحسرة مالمسا منتهى ولهذا الخطر العظيم والطلب الهائل شعر الموقنون عن ساق الجسد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتمعوا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل النهج في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا الفهم بذكر بابين : الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وإن العرق به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والللال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نعط واحد أظهرت الللال والاستئصال وأن الله تعالى لا يعمل حتى تعملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزير بالانتقال لذاتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبيعتها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات يرجع جانب الميل إلى الدنيا لمواظبتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأن يتقوا مان والطبع لأحدها مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجدد . وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فحسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه - إن لك في النهار سبعا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا - وقال تعالى - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا - وقال تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسجد له وأدبار السجود - وقال سبحانه - وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - وقال تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا - وقال تعالى - ومن آتاه الليل فسبحه وأطراف النهار لعنك ترضى - وقال عز وجل - وأقم الصلاة طر في النهار وركن ليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم بما واسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء والتمر . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وعباده وصنهم فقال تعالى - آمن هو فانت
آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطعما - وقال عز وجل
- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا اقايلا من الليل مما يهجعون وبالأسجار
هم يستغفرون - وقال عز وجل - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمازتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباده إلى الله
الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم
النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل
المتبغى هو الثواب والغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال ووردان وما بين الزوال إلى وقت العصر ووردان وما بين العصر إلى المغرب ووردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد ووردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وتمدحه به إذ قال - فائق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة بقبض
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يبسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التسييح فيه بقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وبقوله
تعالى - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناء الليل
فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى - وقوله تعالى - واذكرا اسم ربك بكرة وأصيلا - فأما ترتيبه
فلما أخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النسور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
الدعوات ولبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل
أولا رجلاه اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباده إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله الطبراني وك
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباده الله .

ابن زكريا الطريشي
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلمي قاله
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأنماطي قال
حدثنا الحسن بن يحيى
ابن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خالد بن محمد عن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال :
« وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على
أهل الصفة فرأى قمرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال أشيروا بأصحاب
الصفة فمن بقى منكم
على النعت الذي أنتم
عليه اليوم راضيا بما
هو فيه فإنه من رفقائي
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
بخراسان يأوون إلى
الكهوف والغارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضاً مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة معيا بل يسعى وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاها في البيت ويشغل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمره مبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة العتمة فقال أبا هريرة فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرده فاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعتة وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شئ أجدا (٨) » ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث النسي إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجده لأصلا بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره مقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده فاطمة وهما نائمان فقال ألا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله الحديث متفق عليه .

والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصالح فسمى قوما أبا رار وآخرين مقرين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع التفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . ونقل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال معي أربع دوايق يكفيني مامعي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأنوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعيًا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فإذا فرغ منها قعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال عليه السلام «لأن أتعبد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب» (١) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفي بعضها ويصلى ركعتين» (٢) أى بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» (٣) وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكير أما الأدعية فكلما فرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينار بنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت إذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله عليه السلام وهو قوله سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا تعبد إلاياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (٤) ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما رآه أو فقه بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار المسكورة فهى كلمات وردت تكرارها فضائل لم تطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررهما بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررهما عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أდومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن للواظبة على كثيرها قليلها مع الدوامه أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير (٥) . الثانية : قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) حديث لأن أتعبد في مجلسي أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن صمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشرًا دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابياً لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلمسمى تابعياً ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوى وتوارى النور المصطفوى واختلفت الآراء وتوعدت الأنحاء وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية التقنين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) . الثالثة : قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٢) .
الرابعة : قوله سبحانه الله العظيم ومحمد (٣) . الخامسة : قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله
إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤) . السادسة : قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند (٥) . السابعة : قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦)
الثامنة : قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧)
التاسعة : اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨) .

قوله يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير فإنها في اليوم واللييلة للنسائي من حديث أبي ذر دون
قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند
الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين والطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر
وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
ن في اليوم واللييلة وحسبك من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات
فذكرها (٢) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن
عند من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم
ولأبي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة
والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبمحمد متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك
في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي
لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمستغفر في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد
الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه
وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا وللبخاري من حديث أبي هريرة
إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث
الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار
(٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك لم أجد تكرارها
في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله
الملك الحق المبين المستغفر في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم
مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه
الفضل بن غانم ضعيف ولأبي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها
حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان وك وصححه
من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح
ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال ت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد
عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد العافقي في فضائل
القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره
وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي
الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدر كته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وكثف
حجابها وكثرت العادات
وتملك أربابها
وتزخرت الدنيا وكثر
خطابها تفرد طائفة
بأعمال صالحة وأحوال
سنية وصدق في العزيمة
وقوة في الدين وزهدوا
في الدنيا ومحبتها
واغتموا العزلة
والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا
يجمعون فيها تارة
وينفردون أخرى
أسوة بأهل الصفة
اركنين للأسباب
متبئين إلى رب
الأرباب فأثمر لهم صالح
الأعمال سني الأحوال
وتهمي لهم صفاء الفهوم
لقبول العالوم وصار لهم
بعد اللسان لسان وبعد
العرفان عرفان وبعد
الإيمان إيمان كما قال
حارثة أصبحت مؤمنا
حقا حيث كوشفت
برتبة في الإيمان غير
ما يتعاهدها فصار لهم
بمقتضى ذلك عالوم
يعرفونها وإشارات

العاشر : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرها واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله ولقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ والنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمين الرسول وشهد الله^(٥) وقل اللهم مالك الملك الآيتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرر أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان بتلك منزلة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مشل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو^(٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال للنبي ﷺ أبشر بنورين أو تبتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته^(٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي كعب يا أبا المنذر أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ عمر الصدقة ومجيء الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب^(٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث^(٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده ودية جىء به يوم القيامة فقيل له عبدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن المختار روى الأباطيل قاله ابن عدى وسأنى حديث على بعده^(٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين للمستغفرى في الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقة ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الآيات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا

(٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يتماهدونها فحجروا
لفوسهم اصطلاحات
تشير إلى معان يعرفونها
وتعرب عن أحوال
يجدونها فأخذ ذلك
الخالف عن السلف حتى
صار ذلك رسما مستمرا
وخبرا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسموا به وتسموا به
فلاسم ممتهم والعلم بالله
صفتهم والعبادة حليتهم
والتقوى شعارهم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم، نزاع القبائل
وأحباب الفضائل سكان
قباب الشيرة وقطان
ديار الحيرة طم مع
الساعات من إمداد
فضل الله مزيد ولبيب
شوقهم يتأجج ويقول
هل من مزيد اللهم
احشرنا في زمرةهم
وارزقنا حالاتهم والله
أعلم .

[الباب السابع في ذكر
التصوف والمقشبه به]
أخبرنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب

وقوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - إلى آخرها (١) وقوله سبحانه - الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً - (٢) الآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاثاً من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ للسجدة الشريفة التي أهداها الحضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأعندني لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية فإنها هبت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت فلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التلبيس والتسبيح والتحميد والتجويد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أرفق زماناً أحسن منه وجهاً ولا أحسن منه ثياباً ولا أشد يافاً ولا أطيب ريحاً منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الحضر فقلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وجبا لك في الله وعندي هدية أريد أن أهديك لك فقلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا ما نولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة فمارآه في الجنة قال فسألت الملائكة حديثاً وفي آخره فقل حسبني الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يقرأ سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقراء خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله - علم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة وللبهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الحضر علمه السبعات العشرة وقال في آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الحضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السهم وردى إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا للنعمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال « جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا أني

قللت لمن هذا فقالوا لا الذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها اتان
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من اللاتسكة كل صنف مثل ما بين الشرق والغرب
فسلم على وأخذ بيدي قللت يا رسول الله الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر
صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنس الله تعالى
في الأرض قللت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منام بل يعطى شيئا
أعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم ير في الأمر الجنة إنه لا يغفر له جميع
الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من
السيئات إلى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يشركه إلا من خلقه الله
شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعنه كان بعده هذه الرؤيا فهذه وظيفة
القراءة فان أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع
لفضل الذكرو والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن
ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربيع النجيات ولكن
مجمعه ترجع إلى فنين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فياسبق من تقصيره
ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والموانئ الشاغلة له عن الخير ويتذكر
تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي
معاملته للمسلمين . الفن الثاني فيما ينفعه في علم الكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر
آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته وذنوبه لتزيد معرفته
بقدره الآله واستغناؤه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها
على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف
المبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
والكشف . والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه
وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم
ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى
وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الناس نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى
جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر
على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن
فيهما فليس محبته له كمحبة للمشاهد وليس الخبر كالمعينة فالعباد للواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان
الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالآيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور
جمالية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة
الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من
الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لمحجبا وانما عدد
حجبها التي استحققت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال
صلى الله عليه وسلم « إن الله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل مأدر كبحره (١) »
وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

(١) حديث إن الله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد .

أحب الله ورسوله
فقال النبي عليه السلام : « للربيع من
أحب أو أنت مع
من أحببت » قال
أنس لما رأيت
المسلمين فرحوا بشيء
بعد الإسلام فرحهم
بهذا فالتشبه بالصوفية
ما اختار التشبه بهم
دون غيرهم من
الطوائف إلا لمحبة
إياهم وهو مع تقصيره
عن القيام بمسائمه فيه
يكون معهم لموضع
إرادته ومحبة وقد
ورد بلفظ آخر أوضح
من الخبر الذي
رويناه في المعنى
روى عبادة بن
الصامت عن أبي ذر
الغفاري قال : قلت
يا رسول الله الرجل
يحب القوم ولا
يستطيع أن يعمل
كمهمهم قال « أنت
يا أبا ذر مع من أحببت »
قال قلت فاني أحب
الله ورسوله قال « فأنك
مع من أحببت » قال

في الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جن عليه الليل - أى أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أى وصل إلى حجاب من حجب النور فعب عنه بالسكوكب وما أريد به هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فلا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها استباح - الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانه خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يشتغل به بابيه والتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضا مما تنجز فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربع أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة الريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بعض ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصل وضحيته الأقدام بحرّ الشمس فوق الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالعشى والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبار التي على وجه الأرض فانها تمنع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل (٢) » فلذلك يقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقه (٣) » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقه تقدم في الصلاة .

فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم « فحبة للتشبه إياهم لا تكون إلا لثبته روحه لما تنبئت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير أن للتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك ببقاء شيء من صفات نفسه عليه للتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميز بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

واشاراتهم إلى عظيم
أمر الله والقرب منه
والإيمان بذلك إيمان
بالقدرة وقد أنكر
قوم من أهل اللثة
كرامات الأولياء
والإيمان بذلك إيمان
بالقدرة ولهم علوم
من هذا القليل
فلا يؤمن بطريقهم
إلا من خصه الله تعالى
بزيد عنايته فالتشبه
صاحب إيمان والتصوف
صاحب علم لأنه بعد
الإيمان اكتسب مزيد
علم بطريقهم وصار له
من ذلك مواجيد
يستدل بها على سائرها
والصوفي صاحب ذوق
فالتصوف الصادق
نصيب من حال الصوفي
وللمتشبه نصيب من
حال المتصوف وهكذا
سنة الله تعالى جارية أن
كل صاحب حال له ذوق
فيه لا بد أن يكشفه
علم بحال أعلى مما هو
فيه فيكون في الحال
الأول صاحب ذوق وفي
الحال الثاني كوشف به

وتشيع جنازة ومعاونة على بر وتوى وحضور مجلس علم وما يجري عبرة من قضاء حاجة لمسلم
وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة
والسكّر والصلوات المتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتعير
الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة
لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وخية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل
بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر . الورد الثالث : من ضجوة النهار إلى الزوال ونفى بالضجوة المنتصف
وما قبله بقليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها
وقبل مضياً صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظلمة فادامضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر
فادامضت ثلاث ساعات أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كنزلة العصر بين الزوال والمغرب
إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فتنف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا
الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير المعيشة وحضور السوق
فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فينصح وشفقة ولا ينسى ذكر
الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب
في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوّد آخرته فإن الحاجة إلى زاد
الآخرة أشد والتمتع به أديم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل لا يوجد
المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستتره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر
فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدم الفقر
ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا ياكلون خيفة الفقر والله يعدم مغفرة منه وفضلاً
فيرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن
التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما
خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالتوهم أحب له إذا كان لا يبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف
للمذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه
أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرأى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف
بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلباً للسلامة فإذا
كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل
الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل
الأعمال وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت
غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ للخدمة ربه عند إعراض العبيد
عن بابه جدير بأن يزيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن
الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معاني قوله
تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل
والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من
صلاة الظهر ورايته وهذا أقصر أوقات النهار وأفضلها فإذا كان قد توفراً قبل الزوال وحضر المسجد
فهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقيم إلى إحياء
ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراد الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

ويعمل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بين بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار تقل بعض العلماء أنه يصلها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصل مثنى مثنى كما نثر النوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذي صححت به الأخبار ويلطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المثاني أو أربعاً من المثاني فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصل الظهر بمجموعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا يتنبى أن يدعها ثم يصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً فقد كره ابن مسعود أن يتبع الفريضة بمثليها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه الكوف في المسجد مشتتاً بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوياء كدوى النحل من التلاوة فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهما فالبيت أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها : الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدّر الاعتدال هذا والقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتجود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يفشل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم يصل الفرض ويشغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رؤوس الحيطان وتصفى والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والتسكّر فيندرج في هذا القسم أكثر مما صا الأقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرّت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها الغبارات والبحارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح د ه من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د و حب من حديث ابن عمر .

صاحب علم وبجال فوق
ذلك صاحب إيمان حق
لا يزال طريق الطلب
مسلكاً كافياً في حال
النور صاحب قدم وفي
حال الدام صاحب نظر
وفي حال فوق ذلك
صاحب إيمان قال الله
تعالى - إن الأبرار لفي
نعيم على الأرائك
ينظرون - وصف
الأبرار ووصف شراهم
ثم قال سبحانه وتعالى
- ومزاجه من تسنيم
عيا يشرب بها
لقربون - فكان
شراب الأبرار مزج
من شراب القربين
وللمقربين ذلك صرفاً
فلهو في شراب صرف
وللمتصوف من ذلك
مزج في شرا به وللمتشبه
مزج من شراب
للتصوف فالصوفي سبق
إلى مقام الروح من
بساط القرب والتصوف
بالنسبة إلى الصوفي
كالتردد بالنسبة إلى
الزاهد لأنه تفعل وتعمل
وتسبب إشارة إلى ما بقي

وهو المراد بقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وهذا هو الطرف الثاني للراد بقوله تعالى - فسبح وأطراف النهار - قال الحسن كانوا أشد تعظيماً للعشي منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجمعون أول النهار والدينا وآخره للأخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو إلى اليوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذه من قوله تعالى - واستغفر لذنبك ومسيح محمد ربك بالمشي والابكار - والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله أستغفر الله إنه كان غافراً أستغفر الله إنه كان تواباً رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاعف لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاعف لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها ، والليل إذا يعشى . ولغروب الشمس عليه وهو في الاستغفار فإذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويستغل بصلاة المغرب والترويع قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمسه فيكون مغفوناً وإن كان شراً منه فيكون ملعوناً فقد قال عليه السلام « لا يورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً (١) » فإن رأى نفسه متوفراً على الخير جميع نهاره مترفعاً عن التجشم كانت بشاره فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خليفة النهار فليعزم على ثلاثي ماسبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياماً معدودة تنقضي لمحالته جملتها بانقضاء آحادها .

(بيان أوراد الليل وهي خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل بأحياء ما بين العشاءين فأخّر هذا الورد عند غيوبة الشفق أعنى الحمرة التي بغيوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال - فلا أقسم بالشفق - والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى - ومن آتاء الليل فسبح - وهي صلاة الأوابين . وهي المراد بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين العشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره (٢) » والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا يورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً تقدم في العلم في الباب الأول إلا أنه قال علماً بدل خيراً
(٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء المشاة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة .

[١] قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له وإلا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليأمل .

عليه من وصفه فهو
مجتهد في طريقه سائر
إلى ربه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«سبوا سبق الفردون»
قبل من الفردون
يا رسول الله ؟ قال
المستهترون بذكر الله
وضع الذكر عنهم
أوزارهم فوردوا القيامة
خفافاً فالصوفي في مقام
الفردين والتصوف في
مقام السائرين واصل
في سيره إلى مقر القلب
من ذكر الله عز وجل
وحراقة قلبه وتلذذه
بنظره إلى نظر الله
إليه فالصوفي في مقام
الروح صاحب مشاهدة
والتصوف في مقام القلب
صاحب مراقبة والمثبته
في مقاومة النفس
صاحب مجاهدة
وصاحب محاسبة فتاوين
الصوفي بوجود قلبه
وتساوين للتصوف
بوجود نفسه والمثبته
لاتاوين له لأن التاوين
لأرباب الأحوال
والمثبته مجتهد سالكه

ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسأني فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني . وترتيب هذا الورد أن يصلي بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيها قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي أربعاً يطاها ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له وإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه السكوف في المسجد وإن عزم على السكوف في انتظار العتمة فهو الأنسب إذا كان أماناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أي وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستاً بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخِر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل (١) والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والآقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يشغل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فأخّر الليل أفضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة (٢) فإن لم يصل فلا بدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك (٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني إسرائيل (٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ للمسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية (٥) وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وانه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأقصر من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضاً ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكشاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثر فيه وح من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين الغزنوي في فضائل القرآن من حديث علي ياعلى أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيبته هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وت تقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل وت تقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن و ن في الكبرى من حديث عرابض بن سارية .

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل تجمهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهية والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب

يجعلونها مستأفزين بدون سبج اسم ربك الأعلى إذ في الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبج اسم ربك الأعلى ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبج اسم ربك الأعلى ^(١) » وقل يا أيها الكافرون والإخلاص ^(٢) فإذا قرع قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر ولو تر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ^(٣) وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السجدة ^(٥) وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة أشياء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترًا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما تقصير الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقص ^(٦) وروى أنه مطلقاً أنه ﷺ قال « لا وتران في ليلة ^(٧) » ولمن تردد في استيقاظه تملطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا نزلت وألهاكم ^(٨) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وأفراد العبادة لله تعالى قيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وأنه صار ماضياً شفعاً بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كاذب لكونه ربما يخطر أتمهما لو شفعنا ماضياً لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعاً إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ﷺ إيتاره قبلهما وإعادة الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهم ما وتر بهما في حسب وتره إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى « أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ^(٩) » وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد ^(١٠) » وذلك يدل على صحة النافلة نائماً . الورد الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبج اسم ربك الأعلى أحمد والبخاري بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبج اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السجدة متفق عليه (٦) حديث النهى عن تقصير الوتر قال المصنف صح فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالساً تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وتقل كان أكثر صلاته جالساً (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

من حال الصوفي والمتصوف والتشبه وكلمهم من أهل الملاح والنجاح تجدهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنع والعتاء . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أبو الخير أحمد ابن اسماعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازي قال حدثنا أبو أيوب سليمان ابن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبي ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى - فمنهم ظالم لنفسه ومنهم

في الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في العوام فكيف بالحواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكشفون بالأسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم وأحتسب في نومي ما أحتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك (٤) . وآداب النوم عشرة : الأول الطهارة والسوء الك . قال ﷺ «إذا نام العبد على طهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق (٥)» وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب النيب . الثاني أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند الاستيقاظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها (٦)» وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأضغاث بالماء فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض في النوم فإن مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

مقتصد ومنهم سابق بالحيرات كما هم في الجنة قال ابن عدلاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله من أجل العقي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي بالمتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له لذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن بأصبهان يريد منه الخرقه فقال له

الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الخرقه ثم احضر حتى ألبسك الخرقه قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الخرقه وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقه وجبن

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكرا لله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث سب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا (٢) حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي الدرداء وهق في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكني أنا أنام ثم أقوم وأحتسب في قومي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أفقه منك وإنما زاد فيه طبري فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة من الله عليه

« من أوى إلى فراشه لا ينرى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفله لما اجترم (١) » . الحائس أن لا ينام بجهل
الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يتصدق فيه كان بعض السافك يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل
الصفة لا يجهلون بينهم وبين الزاب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإلينا نرد وكانوا يرون ذلك أرق لتأويلهم
وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف
استجلابه إلا إذا قسده الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم نامة وكلامهم ضرورة
ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وإن غلبه النوم عن الصلاة والتذكرو صار لا يدري
ما يقول فليتم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر « لا تكابدوا الليل (٢) »
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلى بالليل فإذا غلبها النوم تملقت بحبل فتنبى عن ذلك وقال
ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد (٣) » وقال ﷺ « تكافوا من العمل ما تطيقون
فإن الله لن يعل حتى تعلموا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره (٥) » وقيل له صلى الله عليه
وسلم « إن فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها
فليس مني (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تنفض إلى
نفسك عبادة الله (٧) » السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر
وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على
جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك
ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات (٨) ويستحب
أن يقرأ الآيات الخمسة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيره أو قوله تعالى - وإلهم إله واحد لا إله إلا
هو - إلى قوله - لقوم يعقلون - يقال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة
الأعراف هذه الآية - إن ربك الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - إلى قوله - قريب من المحسنين -

ن هـ من حديث أبي الدرداء بسند صحيح (١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينرى ظلم أحد ولا يحقد
على أحد غفله ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يمهمل بظلم أحد غفله
ما اجترم وسنده ضعيف (٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفيان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تعالوا هذا الليل .
(٣) حديث قيل له إن فلانة تصلى فإذا غلبها النوم تملقت بحبل فتنبى عن ذلك الحديث متفق عليه
من حديث أنس (٤) حديث تكافوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يعل حتى تعلموا متفق عليه
من حديث عائشة بلفظ اكفوا (٥) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث مجنون
ابن الأدرع وتقدم في العلم (٦) حديث قيل له إن فلانا يصلى ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكني
أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو
دون قوله هذه سنتي الح وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتي فليس مني وهي متفق عليها
من حديث أنس (٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ولا تنفض إلى نفسك
عبادة الله خ من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقي من
حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تنفض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناده .
(٨) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة
التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ
بما تجدد عند الطالب
من قولي له فاستحضرني
وعانني على قولي له ذلك
وقال بعثته إليك حتى
تكلمه بما يزيد رغبته
في الحرقة فكلمته بما
فرت عزيمته ثم الذي
ذكرته كله صحيح
وهو الذي يجب من
حقوق الحرقة ولكن
إذا أزمنا للبتي
بذلك نهر وعجز عن
القيام به فنحن نلبيه
الحرقة حتى يتشبه
بالقوم ويتزني بزيمهم
فيقر به ذلك من
مجالسهم ومحافلهم
وبركة مخالطته معهم
ونظرة إلى أحوال القوم
وسيرهم يحب أن يسلك
مسلكهم ويوصل
بذلك إلى شيء من
أحوالهم ويوافق هذا
القول من الشيخ أحمد
الغزالي ما أخبرنا شيخنا
رحمته الله قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصغار قال أنا
أبو بكر أحمد بن طي بن

وآخر بنى إسرائيل - قل ادعوا الله - الآيتين فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عشرا من أول السكف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة واليقظ نوع بعث قال الله تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي يتوفاكم بالليل - فسماء توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا يشاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنبّه فكما أنك تنبّه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكك (٢) » الدعاء إلى آخره كاذكرناه في كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفكش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حبّ الله تعالى وحبّ لقائه أو حبّ الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ماهو الغالب عليه ويحشر على مايتوفى عليه فان المرء مع من أحبّ ومع ما أحبّ . العاشر الدعاء عند التنبيه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (٣) » وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحبّ ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحبّ فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجير القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الوجود والمجموع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال - والليل إذا سجى - أي إذا سكن وسكونه هدهو في هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجد إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الليل أسمع فقال جوف الليل (٤) » وقال داود صلى الله عليه وسلم إلهي

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأ بالعلم وأبدأ بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع بالمبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدى إليه والتأدب بأدبه والافتداء به في عمله وهذا هو الرفق الذي مداخل في شيء إلا زانه فالمتشبهه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسواك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

(١) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحذ على اليد وتقدم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أي الليل أسمع قال جوف الليل دت وصححه من حديث عمرو بن عبسة .

إني أحب أن أتسجد لك فأني وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخالو بيني وأخاؤك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر» (١) حتى الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار بهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبارتعالى إلى سماء الدنيا (٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا وبهليل عشرا وليقل الله أكبر ذوالملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت (٣) اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (٤) اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الدليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحما يا خير المسئولين وأكرم المعطين (٦)

(١) حديث سئل أي الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحسب من حديث أبي ذر دون قوله الغابر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة .

(٢) (الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجري قال : قال داود يا جبريل أي الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبي الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات يقين من الليل يفتتح الذكر في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها قعدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الدليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم في الحج .

ومحاسبة . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال التصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بتشبه بالصوفية لأنه غير محال لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يعزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي عاصم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور مخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالأصباح يستغفرون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له ثم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن قما فصليا فقال إن لنفسك عليك حقا وإن لنفيسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن أبا الدرداء أخبرت سلمان أنه لانيام الليل قال فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السجود وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أورد الليل ودخلت أورد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - ثم - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احفظ عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوها مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعبادة مريض وشهود جنازة ففي الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر د ن ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم فنام الحديث وفي آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبي جحيفة .

الشافعي قال ثنا علي بن أحمد قال ثنا علي بن المقدسي قال ثنا محمد بن عبد الله بن عامر قال ثنا إبراهيم بن الأشعث قال ثنا فضيل بن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبصرون مجالس الذكر فإذا رأوا قوما يذكرن الله تتادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفظونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتعجيبا فيقول

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له (١) » وفي رواية دخل الجنة ذن أتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم تصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (٢) » وقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة (٣) » ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عتبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما كان فيها لمناقب ذكر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ماسأله أحد شيئا فقال لا ولكنك إن لم تقدر عليه سكنت (٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى المفضل وفي جسده ثمانية وستون مفعلا فأمره بالمرءى بصدقة ونهيك عن النكر صدقة وحملك عن الضيف صدقة وهذا يك إلى الطريق صدقة وإمطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسييح والتهيل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله وتجمع من لك ذلك كله (٥) » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن الريد لحرف الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه إما عابد وإما عالم وإمام متعلم وإمام عال وإمام محترف وإمام واحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا يشغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ماذ كراهه ، نعم لا يبعد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسيجات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسيجة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة في التنكير في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقبلا بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبير يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تركية القلب وقطع به وتخليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فينظر الريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كاسبق والآتية فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبص المعنى فان سمع تسيجة مثلا وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسييح وإبراهيم بن آدم فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسييح منذ خلقت

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة من من حديث أبي هريرة ما اجتمع من في امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم في الزكاة (٤) حديث ماسأله أحد شيئا فقال لا إن لم يقدر عليه سكنت من من حديث جابر والبرار من حديث أنس أو يسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألونني ؟ قالوا
يسألونك الجنة فيقول
وهل رأوها قالوا
لا فيقول كيف لو رأوها
قالوا لو رأوها كانوا
أشد لها طلبا وعليها
أكثر حرصا قالوا
ويتعوذون من النار
فيقول وهل رأوها
قالوا لا فيقول كيف
لو رأوها قالوا كانوا
أشد منها تعوذا وأشد
فرارا فيقول أشهدكم
أنى قد غفرت لهم
فيقول الملك فثم فلان
ليس منهم إنما جهنم
لحاجة فيقول تبارك
وتعالى هم الجلساء
لا يشقى جلسهم « فلا
يشقى جلسي الصوفية
ولتشبه بهم والمحب
لهم .

[الباب الثامن في ذكر
اللامتى وشرح حاله]
قال بعضهم اللامتى
هو الذى لا يظهر خيرا
ولا يضر شررا وشرح
هذا هو أن اللامتى
تشرب عروقه طعم
الإخلاص وتحقق

قلت فما اسمك قال سهل بن أبي سهل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الخنات للنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المرید ووجد له في قلبه وقعا فيلازمه وأيا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لاحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد للكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها للتعليم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نغني بالعلم القسمة على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويهديهم في الدنيا أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستجبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة والتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يعلو ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها

(١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل المقدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسأله عن الإخلاص ما هو قال سمعت علي بن إبراهيم وسأله عن الإخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الحنصاف وسأله عن الإخلاص ما هو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ما هو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ما هو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ماهو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ماهو قال
« سألت جبرائيل عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ماهو قال
هو سر من سرى
استودعته قلب من
أحببت من عبادى »
فالملازمة لهم مزيد
اختصاص بالتمسك
بالاخلاص يرون كتم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكنهمها حتى
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصي
من ظهور معصيته
فالملازمة عظم وقع
الاخلاص وموضعه
وتمسك به معتدا به
والصوفي غاب في

فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال خلق الذكرك (١) وقال كعب الأحبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عزوجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكرك ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفافية فى المنام وكانت من اللواظبات على خلق الذكرك فقال مرحبا بامسكينة فقالت هيات هيات ذهبت المسكينة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ماتسأل عن أسبغ لها الجنة بخذافيرها قال يوم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكرك ، وعلى الجملة فما ينجل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن السلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسيجات والأذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فانه لا يمجزعن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات للتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس الوالى مثل الامام والقاضى والتولى لينظر فى أمور المسلمين ققيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه فعليه إذ قال مالى والنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهومهم ثم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شئ إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يقتصر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يفرع معهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لأخ إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهو لاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عزوجل كما قال تعالى - لعلمكم تذكرون - فقروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى ربى سيدين - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرًا طويلا فلا ينبغى أن يغتر المرید بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم .

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجم في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزحجده
هواجم الأهوال ولا تستغزه عظام الأشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على السكافة
ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته
فربكم أعلم بن هوأهدى سبيلا - فكلهم مهتدون وبعضهم أهدي من بعض وفي الخبر « الإيمان
ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال
بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك
الطريق إلى الله فإذا الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب - أولئك الذين
يدعون ينتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم
إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره . والأصل في
الأوراد في حق كل صنف من الناس الدوامه فان للراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال
يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فإذا لم يقب العمل الواحد أثرا محسوسا
ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحي الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فانه
لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة
لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصله لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (٢) » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته (٣) . ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله (٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد
العصر تدارك لما فاتته من ركعتين شغله عنهما الوفاء ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن
في منزله لافي المسجد كيلا يقتدى به (٥) روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فان قلت فهل لغيره
أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ . فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية
من الاحتراز عن التشبه بعبد الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن
العبادة حذرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل
حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة
ابن شاهين واللال كائى في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد
عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهم دخل الجنة وقال
الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن
قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته رواه م (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها
ملالا مقتته الله تقدم في الصلاة وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوفاء عن ركعتين فصلهما
بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد
العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة
ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يشغل
على أمته ، والله الموافق للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه .
قال أبو يعقوب
السوسي متى شهدوا
في إخلاصهم الإخلاص
احتاج إخلاصهم إلى
إخلاص وقال ذوالنون
ثلاث من علامات
الإخلاص استواء الدم
والسبح من العامة
ونسيان رؤية الأعمال
في الأعمال وترك
اقتضاء ثواب العمل في
الآخرة أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
إجازة قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت
أبا عثمان المغربي يقول :
الإخلاص مالا يكون
للنفس فيه حظ بحال
وهذا إخلاص العوام
وإخلاص الخواص
ما يجري عليهم لا يتم
فتبدو منهم الطاعات
وهم عنها بمعزل ولا يقع
لهم عليها رؤية ولا بها
اعتداد فذلك إخلاص

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الآيات التي يستحب إحياءها

وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكنية قسمة الليل)

(فضيلة إحياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة ^(١) » . قال الراوي لأدري من ذهب أو فضة « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر ^(٢) » وعن سعيد بن جبيرة عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويفرس له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لوسعهم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرًا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكثرت قصورنا يارسل الله فقال الله أكثر وأفضل أو قال أطيب ^(٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ^(٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للخصر عليه السلام علمني شيئاً أعمله في كل ليلة

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة رواه الطبراني في الأوسط مختصراً وإسناده ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ أثنتي عشرة سنة وضعفت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً وضعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبيرة عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة لم أجده أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرًا في الجنة فقال عمر إذ تكثرت قصورنا يارسل الله الحديث ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسلاً (٥) حديث أنس من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد الحديث أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الجواص وهذا الذي فصله الشيخ أبو عثمان الغزالي يفرق بين الصوفي والملاحق لأن الملاحق أخرج الحقائق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو غشص والصوفي أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص الخالص والمخلص قال أبو بكر الزقاق نقصان كل غلص في إخلاصه رؤية إخلاصه فإذا أراد الله أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصاً لا مخلصاً قال أبو سعيد الخزاز رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين ومعنى قوله إن إخلاص المريدين معلول برؤية الإخلاص والعارف منزّه عن الرياء الذي يطل

فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تسلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقراً في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثاً فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تسلم أحداً وصل ركعتين واقراً فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستوجالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم قم حيث شئت مستقبلاً القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا فقال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بحضور مني فتعلمته ممن علمه إياه^(١) ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين^(٣) » وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت ي صلى فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة . وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتسنى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما .

(فضيلة قيام الليل)

أما من الآيات فقوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية وقوله تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قِيلاً - وقوله سبحانه وتعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقوله تعالى - أمن هو قانت آناء الليل - الآية وقوله عز وجل - والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً - وقوله تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان^(٤) » .

(١) حديث كرز بن وبرة أن الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأل الخضر ممن سمعت هذا قال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لأصله (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم في الصلاة (٤) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

العمل ولكن لعله يظهر شيئاً من حاله وعمله يعلم كامل عنده فيه لجذب مريد أو معاناة خلق من أخلاق النفس في إظهار الحال والعمل وللمعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس رياء إنما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه . قال روي :

الإخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من الملكين . وقال بعضهم صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق والملازمة يرى الخلق فيخفي عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف إخلاص الصوفي ولهذا قال الزقاق لا بد لكل مخلص من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه (١) » وفي الخبر « إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألغقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم (٣) » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال الغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفتطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا (٤) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب للزيد قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أباهريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرده للداء عن الجسد ومنهارة عن الإثم (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يذر لو أردت سغرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سافر طريق القيامة ألا أنبتك بالأذرع بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظام الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلة حق تقوها أو كلة شر تسكت عنها (٨) »

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكلا فإذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسل واصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث الغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفتطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أباهريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أباهريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصل له (٦) حديث عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال ت إنه أصح (٧) حديث مامن امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماءه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال لا يذر لو أردت سغرا أعددت له عدة فكيف سافر طريق القيامة ألا أنبتك بالأذرع بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مخلد مرسل والسري ضعفه الأزدى.

إخلاصه وهو نقصان
عن كمال الإخلاص
والإخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الخلدی سألت
أبا القاسم الجنيد رحمه
الله قلت أئين الإخلاص
والصدق فرق؟ قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والإخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الإخلاص لا يكون
إلا بعد الدخول في
العمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
والإخلاص ومخالصة
كائنة في المخالصة فعلی
هذا الإخلاص حال
اللامتی ومخالصة
الإخلاص حال الصوفي
والمخالصة الكائنة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الإخلاص وهو فناء
العبد عن رسومه
برؤية قيامه بقيومه
بل غيبته عن رؤية

وروى « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني فأناؤه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني است هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة (١) » وروى « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فسكان يداوم بعده على قيام الليل (٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا يقوم أصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزني وجلالي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلاعة لنداب شحمك ولزهقت نفesk اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لنداب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح . » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصارت ثم أيقظت زوجها فبلى فان أبت نضحت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الناكرين الله كثيرا والذاكرات (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل (٦) » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حبه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل (٧) » . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه تتلى عليه كما تتلى الحبة على القلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل وتفقة هذا المال قليل له ما بال المتجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهد له فراش فنام عليه

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو قد حال الصوفي واللامتي مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين اللامتي والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامتي استدعى إلى مسمع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لأنى إن حضرت يظهر على وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالي . وقيل إن أحمد بن أبي الخوارى

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يقول ، ابن حبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث د حب من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الناكرين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حبه أو عن شيء منه قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل رواه م .

حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جنّ عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك ابن ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إني لأستقبل الليل من أوله فيهلوني طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهيق وقال الحسن إن الرجل ليزن الذنب فيحرم به قيام الليل وقد الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لاتعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردها وقال الربيع بن حبيب في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجوزية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحكي نصف الليل فرّ يقوم فقالوا إن هذا يحكي الليل كله فقال إني أستحي أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحكي الليل كله ويروي أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال المغيرة بن حبيب رقت مالك بن دينار فتوصاً بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شية مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك وأى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فاذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أحسن تقرأ فقلت نعم فدفعته إلى الرقعة فاذا فيها :

أألهتك اللذائد والأمانى عن البيض الأوانس في الجنان
تعيشي خلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنسب من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا ويروي عن أزهر بن مفيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت ومأمرك قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائته من لؤلؤ وهضئه من زبرجد أخضر فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المجتهدون فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إليّ من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفرغ إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي العداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه

قال لأبي سليمان
الداراني إني إذا كنت
في الخلوة أجد لمعالمتي
لذة لا أجدها بين
الناس فقال له إنك
إذا لضعيف فاللماضي
وإن كان متمسكا
بعروة الإخلاص
مستقرا بساط الصدق
ولكن بقي عليه بقية
رؤية الخلق وما أحسنها
من بقية تحقق
الإخلاص والصدق
والصوفي صفا من هذه
البقية في طرفي العمل
والترك للخلق وعزلهم
بالكلية ورأهم بعين
الفناء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله - كل
شيء هالك إلا وجهه -
كأقال بعضهم في بعض
غلباته ليس في الدارين
غير الله وقد يكون
إخفاء اللاماتى الحال على
وجهين أحد الوجهين
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صباح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخائف إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهر أو باطنا . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر الريدين لائتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتجسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعابها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانهاسنة للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يحتجب الأوزار بالنهار فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعظمهم روى فما بالى لأقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقولون وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوبه أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يركب في نفسى هذا وراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يركب قتلته أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد قتلته وجع يؤلمك قال أشد قلت فإذاك قال باني مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنوب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تنفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنوب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء إذا صمت يامسكين فانظر عند من تفطر وعلى أى شيء تفطر فان العبد لى كل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر اللقمة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد لى كل أكلة أو فعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانيين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر .

(وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسامين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق المهتم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال :

يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذرهم كما قال طاووس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعمالك بالنهار فقال إن صهيبي إذا ذكر النار لا يأتية النوم وقيل لعلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفا وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقا فلا أقدر أن أنام ، وقال ذوالنون للصري رحمه الله :

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

والصدق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وإن علا في طريق الصوفي علة ونقص فعلى هذا بتقديم اللامتنع على المتصوف ويتأخر عن الصوفي وقيل إن من أصول الملامية أن

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا :

يا طول الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كبوده فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه
فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته
فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا
ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أفتكر في حوراء من حور الجنة طول
الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله
وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يحظر قلبه
وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لآحالة الخلو به وتلذذ بالمناجاة
فتحملة لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللفة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلو ومناجاته
حتى لا يأتيه النوم طول ليله . فان قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان
الجميل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المحررة دون النظر ودون الطمع
في أمر آخر سواء وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده .
فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس بسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه
ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه كيف والموقف يسمع من
الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في
جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وماعند الله خير وأبقى وأنفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في
تتلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان
مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين
حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال علي بن بكار منذ أربعين
سنة ما أحننني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتي بربي وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو
في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فاذا صح
ذكر الروح سكنت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
المشاهدة وإذا صح
ذكر السر سكنت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهية وإذا
صح ذكر القلب قتر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يحسده أهل التماس في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأولياته لا يجدها سواهم . وقال ابن النكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتقين فيماؤها أنوارا فتد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنشر من قلوبهم النواف إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبادة من عبادي أحبهم ويحبوني ويشتاقون إليّ وأشتاق إليّ ، وبذلك كروني وأذكرهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وماعلمتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويخنون إلى غروب الشمس كما تخن الطير إلى أوكارها فإذا جههم الليل واختلط الظلام وخال كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقتربوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليّ بإنعامي فين صارخوا بكى ، وبين متأوه وشاكي ، بمعنى ما يحملون من أجلى وبسمعى ما يشكون من حبي أول ما أعطيهم أفد من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في موازينهم لاستقلت ليلهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال ياسيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشوائب ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه ^(١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » ومطلوب القائلين تلك الساعة وهي مهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا للنوم إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه الجباليان والرياح بن خثيم والحكم الكوفيان وأبوسليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الحواص وأبو عاصم العبادي وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الذكاء قبل
اللسان على الله كرو ذلك
ذكر العادة ولكل
واحد من هذه الأذكار
عندهم آفة فآفة ذكر
الروح اطلاع السر عليه
وآفة ذكر السر اطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتعظيمه
أو طلب ثوابه أو ظن أنه
يصل إلى شيء من
المقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وصليمان التيمي وزيد الرقشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السالف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فيبقي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب الناس الغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت صفة وجهه وقل نعاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة (١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألفتني بعد السحر إلا نائماً (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أول ما يعرف منازل القمر ويوكل به من راقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فاذا انتهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث للمقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر (٢) حديث عائشة ما ألفتني السحر الأعلى إلا نائماً متفق عليه بلفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندى إلا نائماً لم يقلخ الأعلى وقال ه ما كنت ألقى أو ألقى النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندي (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان دت ومححه وه من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، والبخاري من حديث ابن عباس صلى الله عليه وسلم ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل في خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيته الحديث .

إظهاره وإقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الأصل الذي بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات وذكر النفس متعرض للعلاّات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون إلى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة

يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه ^(١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيفرب من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ ^(٢) يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سوا كافاستك به وتوضاً وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة ^(٣) . المرتبة السادسة : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشغلاً بالله ذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة ^(٤) فهذه طرق القسمة فليختر المرید لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى القدر ترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في المرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجري أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالي والأيام الفاضلة)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء الحديث ولأبي داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل . (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سوا كافاستك وتوضاً وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرغبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبي الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلًا لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقة أو حلبه شاة .

في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعي وجوده وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجوده هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذي هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر بعدمه لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فأنها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان: خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صديحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للعامل من هذه الليلة حسنة مائة سنة» (١) فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتنا العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا (٣) » وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والأيام المعدادات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة (٤) » وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواصل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الاعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

برؤية العطاء عن
رؤية المعطي ضرب
من بعد النزلة
واطلاع النفس نظرا
إلى الأعواض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أعلى
من بعض ، والله أعلم .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكرو (٢) حديث من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملة ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، ويتلوه : الجزء الثاني)

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٢ (الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها)	مقدمة
٤٣ بيان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى	ترجمة الامام الغزالي
٤٥ بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق	٢ خطبة الكتاب
٤٩ (الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم أما للتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل)	٥ (كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)
٥٥ بيان وظائف المرشد للمعلم	(الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم)
٥٨ (الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)	وشواهد من النقل والعقل
٨٢ (الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه)	٥ فضيلة العلم
٨٢ بيان شرف العقل	٩ فضيلة التعلم
٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه	١٠ فضيلة التعليم
٨٧ بيان تفاوت النفوس في العقل	١٣ في الشواهد العقلية
٨٩ (كتاب قواعد العقائد)	١٤ (الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة)
وفي أربعة فصول	١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين
٨٩ الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة الخ	١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٩٣ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٢٩ (الباب الثالث فيما يعمده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها)
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجعها بالقدس وفيها أركان أربعة	٢٩ بيان علة ذم العلم المذموم
	٣٢ بيان ما بدل من ألفاظ العلوم
	٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

صفحة	صفحة
١٣٤ فضيلة الوضوء	١٠٤ فأما الركن الأول من أركان الإيمان في
١٣٥ كيفية الغسل	معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله
١٣٥ كيفية التيمم	تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٣٦ القسم الثالث في النظافة والتنظيف عن	١٠٨ الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى
الفضلات الظاهرة وهي نوعان : أوساخ	ومداره على عشرة أصول
وأجزاء	١١٠ الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى
١٣٦ النعوع الأول الأوساخ والرطوبات	ومداره على عشرة أصول
للترشحة وهي ثمانية	١١٣ الركن الرابع في السمعيات وتصديقه
١٣٩ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من	صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره
الأجزاء وهي ثمانية	على عشرة أصول
١٤٥ ﴿كتاب أسرار الصلاة ومهمات﴾	١١٥ الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما
وفي سبعة أبواب	بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق
١٤٥ (الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود	إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء
والجماعة والأذان وغيرها)	السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
فضيلة الأذان	١١٥ مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان
١٤٦ فضيلة المكتوبة	أو غيره الخ
١٤٧ فضيلة إتمام الأركان	١١٩ مسألة فإن قلت فقد اتفق السلف على
١٤٨ فضيلة الجماعة	أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٤٩ فضيلة السجود	١٢١ مسألة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا
فضيلة الخشوع	مؤمن إن شاء الخ
١٥١ فضيلة المسجد وموضع الصلاة	١٢٤ ﴿كتاب أسرار الطهارة﴾
١٥٢ (الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة	وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
من الصلاة والبداة بالتكبير وما قبله)	١٢٧ القسم الأول في طهارة الحبث والنظر
١٥٤ القراءة	فيتربه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة
الركوع ولواحقه	١٢٧ الطرف الأول في المزال
السجود	١٢٨ الطرف الثاني في المزال به
١٥٥ التشهد	١٢٩ الطرف الثالث في كيفية الازالة
١٥٦ التهيأت	١٣٠ القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها
١٥٨ تمييز الفرائض والسنن	الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها
١٥٩ (الباب الثالث في الشروط الباطنة من	الاستنجاء
أعمال القلب الخ.	١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة)
١٥٩ بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب	١٣١ كيفية الاستنجاء
	١٣١ كيفية الوضوء

صفحة	صفحة
٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦١ بيان الممانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة
٢١٠ النوع الأول زكاة النعم	١٦٣ بيان الدواء النافع فى حضور القلب
٢١١ النوع الثانى زكاة العشرات	١٦٥ بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
النوع الثالث زكاة النقدين	١٧١ حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٣ (الباب الرابع فى الإمامة والقدوة الخ)
٢١٢ النوع الخامس الركاز والعدن.	١٧٨ (الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)
النوع السادس فى صدقة الفطر	١٧٨ فضيلة الجمعة
الفصل الثانى فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة	١٧٩ بيان شروط الجمعة
٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة	١٨٠ وأما السنن الخ
الوظيفة الأولى أى من الوظائف التى على مر يد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٠ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل
٢١٥ الوظيفة الثانية فى وقت الأداء	١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور
٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار	١٨٩ (الباب السادس فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج الريد إلى معرفتها)
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس الخ	١٩٣ (الباب السابع فى النوافل من الصلوات وفيه أربعة أقسام)
٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى	١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية	١٩٨ القسم الثانى ما يتكرر بتكرر الأسابيع
٢١٩ الوظيفة السابعة أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه	٢٠١ القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة الخ	٢٠٤ القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة
٢٢١ الفصل الثالث فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٢٠٩ (كتاب أسرار الزكاة)
بيان أسباب الاستحقاق	وفيه أربعة فصول
٢٢٣ بيان وظائف القابض	
٢٢٦ الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها	
بيان فضيلة الصدقة	
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة	

صفحة

- ٢٥٦ المجلة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمى والنحر والحلق والطواف
- ٢٥٨ المجلة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع
- ٢٥٩ المجلة التاسعة في طواف الوداع
- المجلة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها
- ٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر
- ٢٦٣ (الباب الثالث في آداب الدقة والأعمال الباطنة)
- بيان دقائق الآداب وهي عشرة
- ٢٦٧ بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره
- ٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن)
- وفيه أربعة أبواب :
- ٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذمّ للقصرين في تلاوته)
- ٢٧٣ فضيلة القرآن
- ٢٧٥ في ذم تلاوة الغافلين
- ٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)
- ٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)
- ٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)
- ٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات)
- وفيه خمسة أبواب :
- ٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته على المجلة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)
- ٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر

صفحة

- ٢٣١ (كتاب أسرار الصوم)
- وفيه ثلاثة فصول
- ٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده
- أما الواجبات الظاهرة فسته
- ٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
- ٢٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة
- ٢٣٧ الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه
- ٢٤٠ (كتاب أسرار الحج)
- وفيه ثلاثة أبواب :
- (الباب الأول وفيه فصلان)
- الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرمهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد
- ٢٤٠ فضيلة الحج
- ٢٤٢ فضيلة البيت ومكة المشرفة
- ٢٤٤ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته
- فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد
- ٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
- ٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل)
- ٢٤٧ المجلة الأولى في السير من أول الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية
- ٢٤٨ المجلة الثانية في آداب الإحرام من الليقات إلى دخول مكة وهي خمسة
- ٢٥٠ المجلة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة
- ٢٥١ المجلة الرابعة في الطواف الح
- ٢٥٣ المجلة الخامسة في السعي
- ٢٥٤ المجلة السادسة في الوقوف وما قبله

صفحة	صفحة
٣٢١ (الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكري وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)	٢٩٨ فضيلة التهليل
٣٢٤ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٠ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار
٣٢٦ (الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)	٣٠٥ (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٣٣٣ (كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل) وهو الكتاب العاشر من إحياء عساوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابان :	٣٠٥ فضيلة الدعاء
٣٣٤ (الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها)	٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٣٤ فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣٣٥ بيان أعداد الأوراد وترتيبها	٣١٣ فضيلة الاستغفار
٣٤٥ بيان أوراد الليل وهي خمسة	٣١٦ (الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبغيب كل صلاة)
٣٥٣ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ (الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل)	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٥٧ فضيلة إحياء ما بين العشائين	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٥٨ فضيلة قيام الليل	٣١٨ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه
٣٦٢ بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء قبيصة بن الحارث
٣٧٠ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه
٣٧٢ بيان الليالي والأيام الفاضلة	دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
	دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
	٣١٩ دعاء الحضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء عتبة الغلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٢٠ دعاء ابن المعتز وهو سليمان التيمي
	وتسبيحاته رضي عنه
	دعاء إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه

فهرس

ماهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	صفحة
١١١ بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد	٢ ١ - كتاب
١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد	تعريف الأحياء بفضائل الإحياء
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم	٢ خطبة الكتاب
بصحته ضعيفا وتفرد عنه المعرفة قريبا الخ	٤ المقدمة في عنوان الكتاب
١٢٨ بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد	٨ المقصد في فضل الكتاب وبعض المدائح
التقريين	والثناء من الأكابر عليه والجواب عما
١٤٤ بيان المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين	استشكل منه وطعن بسببه فيه
١٤٩ (فصل) في معنى إفشاء سر الربوبية كافر	١٦ (فصل) فيمن أثنى على الإحياء من العلماء
وغير ذلك	الأعلام
١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق	٣٠ (فصل) في بيان المواضع التي استشكل فيها
١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى	على الإحياء والجواب عنها
١٦٩ (فصل) في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين	٣٤ (خاتمة) في الإشارة إلى ترجمة الامام الغزالي
١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر	وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية
بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى	رضى الله عنهم
١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإمكان أبدع من	٥٥ ٣ - كتاب
صورة هذا العالم الخ	الإملاء في اشكالات الإحياء
١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب العقلاء	خطبة الكتاب
للجمادات غير مستنكر	٦٠ ذكر مراسم الأسئلة في المثل
١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم	٦٥ مقدمة في الألفاظ المستعملة
المملك ، وبين العلم الالهي في عالم الملكوت	٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف
١٨٧ (فصل) في حد عالم الملك	والمستشرف على كلام الناس وكتب
١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته	الحكمة
١٩٣ سؤال في بيان معنى قوله سهل رحمه الله	٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة
الالهية سر لو انكشف لبطلت النبوات ،	٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم
وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم ،	٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للنبي عن التوحيد
وللعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام	١٠٠ (فصل) فان قلت فما الذي صد هؤلاء
١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم المكتوبة في	الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن
الطلب ، وسلوك هذه القامات ، ورفق	النظر ، والبحث حتى تعلموا ، أو عن الاعتقاد
هذه الدرجات ، واستفهام هذه المخاطبات	حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

صفحة	صفحة
٢٥٧ (الباب الثالث فى بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أتموزج منها)	١٩٩ (فصل) لأى شىء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات
٢٩٦ (الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم)	٢٠٣ ٣ — (كتاب عوارف المعارف)
٣١١ (الباب الخامس فى ماهية التصوف)	خطبة الكتاب
٣٢٥ (الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم)	٢١٥ (الباب الأول فى ذكر منشأ علوم الصوفية)
٣٣٩ (الباب السابع فى ذكر التصوف والمتشبه به)	٢٣٣ (الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الامتاع)
٣٥٣ (الباب الثامن فى ذكر الملامق وشرح حاله)	



